منصة التأصيل

مقرر

توحيد الربوبية

مدرس المقرر

فضيلة الشيخ

د. أبو زيد بن محمد مكي القبي

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى

١٤٤٦هـ-١٤٤٧هـ

منقول من الشرح المرئي المبثوث على المنصة

منصة التأصيل

مُقَرَّرُ

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ

مُدَرِّسُ المُقَرَّرِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

د. أَبُو زَيْدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ القَبِّيُّ

أُسْتَاذُ العَقِيدَةِ بِجَامِعَةِ أُمِّ القُرَى

مَنْقُولٌ مِنَ الشَّرْحِ المَرْئِيِّ المَبْثُوثِ عَلَى المَنَصَّةِ

جَمِيعُ حُقُوقِ ٱلطَّبْعِ وَٱلنَّشْرِ
مَحْفُوظَةٌ لِمَنَصَّةِ ٱلتَّأْصِيلِ
وَلَا يُسْمَحُ بِٱلِاسْتِخْدَامِ ٱلتِّجَارِيِّ

مُقَرَّرُ

توحيد الربوبية

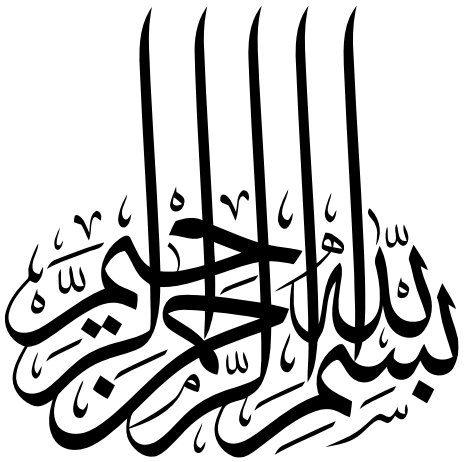
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الكونَ بإبداعٍ، وهَدى الخلقَ ببيانٍ وإيضاحٍ، وأنزلَ الحقَّ كتابًا مبينًا وأقامَهُ حُجةً ساطعةً على العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا أحدًا، فردًا صمدًا، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، خاتم النبيين وإمامُ المتقين، صلواتُ ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنَّ دراسةَ العقيدةِ الإسلاميةِ تُعدُّ من أجلِّ العلوم وأعلاها قدرًا، فهي تتناول الأسسَ الراسخةَ التي يقوم عليها دينُ الإسلام، وأعظمُ تلك الأسس هو (توحيد الربوبية)، الذي يعني إفرادَ اللهِ تعالى وحدَهُ بالخلقِ والملكِ والتدبيرِ. وهذا التوحيدُ هو الوسيلةُ التي تقودُ إلى الغايةِ العظمى التي خُلق لأجلها الإنسانُ، وهي تحقيقُ توحيدِ الألوهيةِ للهِ سبحانه.

وقد اقتضت الحكمةُ الإلهيةُ أن تكونَ معرفةُ اللهِ تعالى وربوبيتِهِ أمورًا فطريةً مغروسةً في أعماق النفوس، فجاءت النصوصُ الشرعيةُ من القرآن الكريم والسنة النبوية لتعزِّزَ هذه الفطرةَ، وتُفصِّلَ معانيها بأسلوبٍ علميٍّ محكمٍ ودقيق.

ومن هذا المنطلق، تأتي هذه المادةُ التعليميةُ بعنوان (توحيد الربوبية)، لترسيخ الإيمانِ بوجودِ اللهِ تعالى وربوبيته، من خلال دراسةٍ منهجيةٍ تقوم على التأصيلِ الشرعي والتحليل الموضوعي. تهدفُ هذه الدراسةُ إلى توضيح الأدلةِ الشرعيةِ والعقليةِ التي تثبت وجودَ اللهِ وربوبيته، وإبراز أثرِ هذا التوحيدِ في حياةِ الفردِ والمجتمعِ.

وسيتعرفُ القارئُ في هذه المادةِ على الحججِ والبراهينِ التي تدلُّ على وجودِ اللهِ تعالى وربوبيته، بالإضافة إلى بيانِ الأثر الإيجابيِّ لتوحيد الربوبيةِ في بناءِ شخصيةٍ إيمانيةٍ متزنةٍ، تُسهِمُ في تعزيز الإيمانِ وتحصينِ الفكرِ من الشبهاتِ. كما تهدفُ المادةُ إلى تمكين الطالبِ من

فهمِ ظاهرةِ الإلحادِ المعاصرِ، وتتبُّع عواملِ نشأتِها، والردِّ على شبهاتِ الملاحدةِ وأصحابِ الانحرافات الفكرية بالحُجةِ والبرهان.

وإننا لنعقدُ الأملَ على أن يُسهِمَ هذا العلمُ الجليلُ في بناءِ شخصيةٍ إسلاميةٍ واعيةٍ، تحملُ لواءَ الحقِّ، وتدافعُ عنه بعزمٍ وبصيرة.

نسألُ اللهَ العليَّ القديرَ أن يُوفِّقَنا جميعًا إلى فهمِ دينِه والعملِ به، وأن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِه الكريم.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

مَنصَّة التَّأصِيل

الدَّرْسُ الأَوَّل

مَادَّةُ تَوحِيد الربُوبيَّة وأَقْسَامُها

تنقسم هذه المادة إلى ثلاث وحدات:

- **الوحدة الأولى:** أَدِلَّة وجودِ الله.
- **الوحدة الثانية:** تَوحِيد الربُوبيَّة.
- **الوحدة الثَّالِثة:** قضيَّةُ الإِلحَاد.

❖ أهداف المادة:

من المفترض على طالب العلم أن يخرج من هذه المادة ولديه القدرة على ما يأتي:

١. **تمكين الدارس من الاستدلال على وجود الله**؛ بحيث يستطيع الدارس أن يدلل على وجود الله، فيذكر على الأقل سبعة أدلة يثبت فيها وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

٢. **أن يستطيع الدارس نَقضَ الشُّبهاتِ.**

مثل: شبهات المَلَاحِدة المتعلقة بقضية إنكار وجود الله.

إذًا: موضوع تَوحِيد الربوبية= **تَدلِيلٌ ونقضٌ وتَأصِيلٌ**؛ ليخرج الدارس من هذه المادة ولديه القدرة على:

- **الاستنباط من الآيات.**
- **والاستنباط من الأحاديث.**

وماذا يستنبط منهما؟

يستنبط منهما:

- ✓ أدلة ربُوبيَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- ✓ مقتضيات تَوحِيد الربُوبيَّة.
- ✓ مكانة تَوحِيد الربُوبيَّة.

وبهذا يصل الدارس إلى تأصيل موضوع تَوحِيد الربُوبيَّة.

٣. **أن يتمكَّن الدارس من بيانِ نواقِضِ تَوحِيد الربُوبيَّة، ونواقِصِها.**

والخلاصة أن أهداف هذه المادة: تدليلٌ ونقضٌ، وتأصيلٌ وتَمكِين.

❖ أهميَّةُ مادَّة تَوحِيد الربُوبيَّة:

هذه المادة في غاية الأهمية، وأهمِيَّتُها تبرز من جهتين:

الجهة الأولى: جهة موضوعها:

فموضوع هذه المادة تتعلق:

- ○ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- ○ وبالأدلة على وجود الله.
- ○ وتقرير أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو: المنفرد بالخلق والملك والتدبير.
- ○ وما يقتضي ذلك وينتج عنه من إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبودية، وإفراده بأسمائه وصفاته.
- ○ ومكانة تَوحِيد الربُوبيَّة.
- ○ وثمرات تَوحِيد الربُوبيَّة.

○ ونواقض تَوحِيد الربُوبيَّة.

○ ونواقص تَوحِيد الربُوبيَّة.

○ وشبهات المنكرين لوجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** والرَّد عليهم.

إذا: هذه المادة كلها تتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهذا العلم أشرَفُ مَعلوم، **وشرَفُ العِلمِ بشَرَفِ المعلُوم= فلما كان المعلوم في هذه المادة هو الله كانت هذه المادة أشرف العلوم على الإطلاق.**

الجهة الثانية: جهة ثمراتها:

وسيكون الحديث عنه فيما يأتي:

❖ ثمرات تَوحِيد الربُوبيَّة:

فمن أخذ هذه المادة، وأَصَّل نفسه فيها بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ= فسيزداد عنده:

أولًا: **زيادة اليقين بوجود الله.**

ثانيًا: **زيادة اليقين بانفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخلق والملك والتدبير.**

وهكذا تُثمِرُ هذه المادة ثمارا منها: زيادَةُ اليقين بوجود الله وربوبيته.

ثالثًا: زيادة الالتزام بمقتضيات تَوحِيد الربُوبيَّة وأعظَمُها: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإلهية.

فمن اعتقد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير= لا شَكَّ أنه سيقصِدُ الله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة، ولا يعبد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غيرَه.

رابعًا: زيادة بُعدٍ عن نواقض تَوحِيد الربُوبيَّة وعن نواقصها.

ويضاف إلى هذه الثمرات ثمرات أخرى تعد من أهمِّ ثمرات هذه المادة، وفيها تكمُن أهَمِّيَةُ هذه المادة، وهما:

خامسًا: أنها ستجعل للطالب حَصَانًا في نفسه؛ فيَتَحَصَّنُ ضِدَّ شُبُهَاتِ المَلَاحِدة.

سادسًا: أنها ستجعل للطالب حَصَانًا في غيره من أسرته وأهل حَيِّهِ ومجتَمَعِه، وأن يُحَصِّن أُمَّته الإسلامية.

فتَبرُزُ أَهمِّية هذه المادة من ناحية التَّحَصُّن في نفسه، والتَّحصِين أي: القيام بتحصين الآخرين.

سابعًا: أن الإنسان إذا أَكَّد على تَوحِيد الربُوبيَّة في نفسه؛ فستثمر له هذه المادة وهذا اليقين بتَوحِيد الربُوبيَّة= **تَذَوُّق طَعمِ الإيمان.**

مسألة: هل التَّمسُّك بالإِسلَام له حلاوة أم هو تعبٌ ومَشَقَّةٌ؟

لا شكَّ أن التَّمسُّك بدين الإِسلَام فيه تعبٌ ومَشَقَّةٌ ولا جدال في ذلك.

أمثلة:

أولًا: لا جدال في أن فعل الطاعات فيه تعب ومشقة:

- كأن تقوم للصلوات ولصلاة الفجر والعصر.
- أن تقوم الليل.
- أن تصوم رمضان.
- أن تحج إلى بيت الله الحرام.

فالطاعات بأنواعها فيها تَعبٌ ومَشَقَّة.

ثانِيًا: لا جدال في أن الابتعاد عن المعاصي فيه تعب ومَشَقَّة:

- كأن يبتعد الإنسان عن المعاصي والمنكرات.
- ويبتعد عن النظر إلى ما حرَّمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- وعن الاستماع إلى حرَّمه الله عليه.
- وألَّا يأكل مال حرام.

فكلُّ أنواع المحرَّمات تَركُها فيه مَشقَّة؛ خاصَّة التي فيها شهوةٌ للإنسان، والتي يجد فيها لَذَّته.

ثالثًا: التزام بالخلق الإسلامي:

- كبِرّ الوالدين.
- وصلة الأرحام.
- وحسن الخلق مع الجيران.

فالالتزام بهذه الأخلاق فيه تعب ومشقة.

رابعًا: التزام الشرع في المعاملات:

- كالبيع والشراء.
- والنكاح، وغير ذلك من المعاملات الشرعية.

فالتزام الإنسان بشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه تعب ومشقة؛ ذلك أن هذا الدين الإسلامي عبارةٌ عن فعلِ طاعاتٍ وتركِ معاصٍ ومُنكَرات، وأخلاق والتزام بالشرع، وعقيدة مُستَقِرَّة في القلب من حُبِّ الله، والخوف من وعيده والرجاء في ثوابه.

وهذه الأمور تحتاج إلى:

- مجاهدة.
- وصبر.
- وتحتاج لجهد يقوم به الإنسان.

وإذا لم يكن هناك تَوحِيد ربُوبيَّة مُستَقِرَّةٌ في النفس، ورضًا بالله ربًّا، وحُبٍّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ= فسيعيش الإنسان في نكدٍ وضيق، **والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما جعل هذا الإسلام للتضييق علينا؛ بل لسعادة الإنسان وليحيا حياة طيبة.**

والأدلة على ذلك:

- قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:٢]، فهذه السعادة التي يُحَقِّقُها الإنسان بالتزامه بدين الإسلام سببها: **استقرارُ تَوحِيد الربُوبيَّة في نفس الإنسان.**
- قول النبي ﷺ: "ذَاقَ طَعْمُ الإِيمَانِ مَن رَضِيَ بالله رَبًّا وبالإِسلام دِينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا"(١).
- وقول النبي ﷺ: "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوَةَ الإِيمَان: أن يكونَ اللهُ ورسولهُ أَحَبَّ إليه مما سِواهُما، وأن يُحِبَّ المَرءُ لا يُحِبُّه إلا لله وأن يَكرَهَ أن يَعُودَ في الكُفرِ بَعدَ أن أَنقذَهُ اللهُ منه، كما يَكرَهُ أن يُقذَفَ في النَّار"(٢).

فإذا استقر تَوحِيد ربُوبيَّة في نفسِ الإنسان ورَضِيَ الإنسان بأنه عبدٌ للرَبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأَحَبَّ هذا الرَّب= **فعندئذ تَتَحَوَّل هذه المتَاعِبُ والمصاعِبُ والمَشَاقُّ التي يَجِدُها المُتَمَسِّك بدينه إلى حَلَاوة**، وهذه الحلاوة:

- ✓ يَجِدُها في قلبه سعادةً وسرورًا وطمأنِينَةً.
- ✓ يجدها في حياته من الانشراح والرضا.
- ✓ وتتيسر أمور الدنيا.

فعندما يكون الإنسانُ ملتزمًا بدين الله فهو يُحقِّق سعادَتَيْن:

١. يُحقِّقُ سعادةَ الدنيا.

٢. ويُحقِّقُ سعادة الآخرة.

وهو بهذا ينال سعادة الدارين.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

الدليل على سعادة الدنيا: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل:٩٧].

ومن لم يجد هذه الحياة الطيبة وهذه السعادة في الدنيا في تمسكه بدين الإسلام= فعنده مشكلةٌ في تَوحِيد الربُوبيَّة، ولديه مشكلةٌ عمومًا في الإيمَان أو في العمل الصالح؛ لا سيما في موضوع تَوحِيد الربُوبيَّة.

الدليل على سعادة الآخرة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

ثامنًا: أن الإنسان إذا تَمَسَّك بتَوحِيد الربُوبيَّة نتج عنه صلاح الفرد والمجتمع، ونتحدث عنه فيما يأتي:

أثر تَوحِيد الربُوبيَّة علىٰ الفرد والمجتمع:

أولًا: إن تمسَّك الفرد بتَوحِيد الربُوبيَّة= فسيكون هذا الإنسان صالحًا؛ لأن تَوحِيد الربُوبيَّة يقتضي:

- تَوحِيد الألوهيَّة.
- وتَوحِيد الأسماء والصفات.
- والالتزام بدين الله وبالإسلام.

وسيُنتِج تَوحِيد الربُوبيَّة أفرادا صالحين.

ثانيًا: نفع تَوحِيد الربُوبيَّة للمجتمع عندما ينتشر؛ **فمن الأمور المندرجة ضمن تَوحِيد الربُوبيَّة: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتشريع**؛ فعندما تكون الشريعة الإسلامية حاكمةً للمجتمع:

- فسيكونُ أفراده مؤمنين.
- ويعملون الصالحات.
- ويلتزمون بتَوحِيد الربُوبيَّة.

- ويكونونَ أفرادًا صَالِحين.
- ويكونُ المُجتمَعُ محكُومًا بالشريعة.
- وأخلاق الإسلام الاجتماعية هي التي تؤلف بين أفراد المجتمع، من:
  - الاحترام.
  - والصدق.
  - والعدل.
  - والموالاة.

فلا شك أن هذا المجتمع سيكون مجتمعًا صالحًا، **فمن ثمرات تَوحِيد الربُوبيَّة إذن: إصلاح الأفراد وإصلاح المجتمعات.**

❖ مُقَدّمة أَدِلَّة وُجودِ الله:

أولًا: تعريف الدين:

الدين في اللغة:

مأخوذٌ من الفعل: دَانَ، والفعل دان له حالتان:

الحالة الأولى: أن يأتي متعديًّا إلى مفعوله بنفسه، تقول: دان فلانٌ فلانًا، أي: أخضعه وسَاسَهُ وقهره وحَكَمَه.

الحالة الثانية: أن يأتي متعديًّا إلى من يُضاف إليه بصِلَة، وهي على نوعين:

- تارةً تكون **الباء** تقول: دان فلانٌ بكذا، أي: خضعَ به وانقاد به.
- وتارة تكون **اللام**، تقول: دان فلان لفلان، أي: خضع له وانقاد له.

فالدين في اللغة يدور معناه حول الخُضوع والانقِياد، ومن هنا أَخَذَ علماء الأديان تعريف الدين بالمعنى الاصطلاحي فقالوا: لا بد أن يكون هناك ذاتان:

إحداهما: تَحكُم وتُخضِع وتقهر وتَقُود وتَسُوس.

الأخرى: تَخضَع وتَنقَاد وفق شريعة تكون بينهما.

والعلاقة بين هاتين الذاتين تكون علاقةً مُقدَّسةً.

وبهذا تتضح معالم التعريف الاصطلاحي.

الدين في الاصطلاح:

"**علاقةٌ مقدَّسةٌ فيها حُبٌّ وخضوعٌ وذلٌّ وتعظيمٌ**"، وهذا التعريف العامُّ للدين سواءً كان:

- **الدِّين الوَضعيُّ:** فيكون الواضع للشريعة هو الذي خَضَع وانقاد؛ فهو يعبد الشمس والقمر فيَضَعُ شريعةً يتعبَّد بها للشمس وللقمر وللبشر وللحجر.

أمثلة الأديان الوضعية:

☒ البوذية.

☒ الهندوسية.

☒ الشنتوية.

☒ الكنفوشية.

فهذه الأديان الوضعية أي: التي وضعها البشر.

- **أو الدين المنزَّل: فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي وضع للناس هذه الشريعة.**

أمثلة الأديان المنزّلة:

☒ الإسلام.

☒ اليهودية.

☒ النصرانيَّة.

فهذه الأديان المنزلة من عند الله تعالى.

ثانيًا: تعريف الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي العام: وهو على طرفين:

الطرف الأول: خضوع المسلم وانقِيَادِه واستسلَامِه وعبوديَّتِه الخالصة؛ وهذا بالنسبة للطرف الأول.

الطرف الثاني: هو الله وحده لا شريك له المُنفَرِدُ بالخلقِ والملكِ والتدبيرِ وِفقَ الشريعة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام.

هذا تعريف الدين الإسلامي عمومًا.

الدين الإسلامي الخاص:

هو: "استسلام العبد وخضوعه وانقياده لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما جاء به النبي محمد بن عبد الله ﷺ"؛ ويكون هذا الخضوع وهذا الانقياد في جميعِ مَنَاحِي الحياة.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

فنعتقد بأن التَّمَسُّك بهذا الدين الإسلامي به يكون:

- ✓ صلاح الفرد والمجتمع.
- ✓ سعادة الدنيا والآخرة.
- ✓ سعادة الروح والبدن.

أقسام الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي قولٌ وعملٌ:

فما يتعلق بالقلب:

١. قولُ القلبِ.

٢. وعملُ القلب.

وما يتعلق بالجوارح:

١. قولُ اللِّسان.

٢. وعملُ الجوارح.

فبذلك انقسم الدين الإسلامي إلى قسمين:

- **قسم باطن، وهو ما يتعلق بالقلب وهو:** قولُ القلبِ وعملُ القلب؛ فهو قسم باطن.
- **وقسم ظاهر، وهو:** قول اللسان وعمل الجوارح.

إذا؛ الدين الإسلامي ظاهرٌ وباطن.

مثال:

ومَثَله مَثَلُ الشَّجرة؛ فالشَّجرةُ لها:

١. جذور في باطنِ الأرض.

٢. ولها ساق وفروع وثمار وأوراق على ظاهر الأرض.

وهناك علاقةٌ كبيرةٌ في الشجرة بين الظاهر والباطن، ولا يكون هناك مُسمَّى شجرةٍ على باطنٍ لا ظاهر له؛ فهذه لا تُسمى شجرة، ولا نعرفها أصلًا ولا نَرَاها حتى تُسمَّى شجرة؛ إنما تصبح شجرة إذا خرج السَّاق إلى ظاهر الأرض.

وهكذا ديننا الإسلامي؛ فهناك أشياء تتعلَّقُ بالقلب قولًا وعملًا:

- **فقول القلب هو:** أن يُصَدِّق ويُقِرّ بأن الله حقٌّ، وأن الرسول حق وأن الدين الإسلامي حق.
- **وعمل القلب هو:** أن يعمل بقلبه إخلاصًا وحبًّا وخوفًا ورجاءً وتوكُّلًا، إلى آخر أعمال القلوب، وإيمانًا بالله وملائكتِه وكتُبِه ورسُلِه.

فهذا قول القلب وعمل القلب.

وقول القلب وعمل القلب يُثمِر:

- **فيَخرُج قولُ اللسان** فينطِق الإنسان بلسانه، **والدليل على ذلك:** ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦].
- **ويعملُ بجوارحِه** فيُصلِّي ويصوم، ويترك المعاصي والمنكرات، ويترك الشرك.

فهذا ديننا الإسلامي قولٌ وعملٌ.

- مثال على الظاهر من الدين الإسلامي: النطق بالشهادتين والصلاة والصوم؛ **ويُسمَّى إسلامًا.**
- مثال على الباطن في الدين الإسلامي: المتعلق بالقلب؛ كالإيمان بالله وملائكته؛ **ويُسمَّى إيمانًا،** وإحسان المعتقد كإحسان الإيمان والإسلام **يُسمَّى إحسانًا،** فالإحسان يتعلق بأركان الإسلام ويتعلق بأركان الإيمان.

مراتب الدين الإسلامي:

وإذا سُئِل الإنسان عن الدين الإسلامي فيقول:

الدين الإسلامي ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام؛ فمن نطق بالشهادتين:

- عالمًا بمعناهما.
- ملتزمًا العمل بمقتضاهما.
- وأن الله أكبر= دخل في الإسلام.

المرتبة الثانية: فإذا استقرتِ الشَّهادتان في قلبه فقَوِيَ الإيمان في قلبه: بالله والرسول والدين والملائكة= صعد الدرجة الثانية؛ **وهي مرتبة الإيمان.**

المرتبة الثالثة: فإذا أحسن الإنسان عبوديَّته لله فيما يتعلق بالقلب وفيما يتعلق بالجوارح= صَعَدَ إلى **مرتبة الإحسان**؛ فصَارَ يعبُدُ الله كأنه يراه أمامه؛ فيُحسِن معتقده والتزامه بهذا الدين.

إطلاق اسم الإسلام والإيمان على الدين الإسلامي:

وهنا تنبيه: أنه أحيانًا يُطلَقُ على الدين الإسلامي: إيمَان، ويُطلَق على الدين الإسلامي: إسلَام، وتفصيل معناها على النحو الآتي:

أولًا: إذا وَرَدَ الإسلام والإيمان في النصوص الشرعية مُطلَقين غيرَ مُقترَنَين بعضهما ببعض= فإن معناهما واحد وهو الدين الإسلامي كاملًا.

مثال على إطلاق الإيمان: يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، فإذا أُطلِقَ الإيمان شَمِل الكلام عن الدين الإسلامي كاملًا.

مثال على إطلاق الإسلام: يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فإذا أُطلِقَ الإسلام شَمِل الدين الإسلامي كاملًا، ويكون أَوَّل هذا الإسلام الإيمان.

وهكذا ما يقوم مقام الإسلام من العمل الصالح والتقوى إذا ذُكِرَت مطلقة بلفظ الإيمان فإنها يراد بها الدين الإسلامي كاملًا.

ثانيًا: إذا وَرَد الإسلام والإيمان في النصوص الشرعية مقترنين.

أمثلة:

- حديث جبريل.
- آية الذاريات.
- آية الحجرات.

فإذا ورد الإسلام والإيمان في نص شرعي واحد:

- ✓ **فإنه يراد بالإسلام الجانب العلني والظاهر من الدين الإسلامي**، وهو المُتعلق بالجوارح والذي يقوم على خمسة أركان.
- ✓ ويُرَادُ بالإيمان الجانب الغيبي من الدين الإسلامي، وهو المتعلق بالقلب والذي يقوم على ستة أركان.

وبالتالي إذا ورد في النصوص الشرعية الإسلام والإيمان والإحسان مع بعضهم البعض فيكون:

- **كل محسن مؤمن مسلم.**
- **وكل مؤمن مسلم.**
- لكن ليس بالضرورة كل مسلم مؤمن.

أركان الإيمان:

وهي: ستة أركان:

١. الإيمان بالله.

٢. الإيمان بالملائكة.

٣. الإيمان بالكتب.

٤. الإيمان بالرسل.

٥. الإيمان باليوم الآخر.

٦. الإيمان بالقضاء والقدر.

علاقة العبادات الظاهرة بالإيمان:

ويندَرِجُ تحت أركانِ الإيمَانِ السِّتةِ الإيمَانُ بهذا الدين الإسلامي.

مثل: أمور الصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك من أمور العبادات الظاهرة؛ **فعلاقتها بالإيمان: أن تؤمن بأن هذا شرعُ الله،** وأن الله فرَضَ الصلاة والصوم، فلها جانبٌ من ناحية الإيمان.

ويندرج ضمن الإيمان بالله: أن الله أرسل جبريل عليه السلام بالقرآن على محمد ﷺ بهذا الدين الإسلامي؛ **فكُلُّ الدين الإسلامي له تَعَلُّقٌ بالإيمان بالله وبشريعته.**

وهكذا هذا الجانب، فالإيمان بالله يقوم على ستة أركان، ويندرج تحتها كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة فتؤمن به.

وهكذا تُسمَّى عقيدة بعد ذلك أي: أن الإنسان يَعقِدُ قلبه وضميره على كل ما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، فنؤمن به إيمانًا جازمًا لا شك فيه، **فيُسمَّى هذا الأمر عقيدةً إسلاميَّة،** أي: أن تعتقد بأركان الإيمان الستة وتعتقد بهذا الدين وما جاء فيه من الشرائع وتؤمن بذلك إيمانًا جازمًا لا شك فيه، وتعمل بهذه الشريعة وما فيها من العمل الصالح من الصلاة والصوم والزكاة، وإحكَام الشرع المتنوعة، فهذه كلها تسمى شريعة.

وعندما نقول شريعة يدخل فيها: أن تعمل بعقيدة الإسلام، وتؤمن بها، فتدخل من ناحية أخرى في أنها من الشرائع ومن المنهج.

ولذلك الشريعة في معناها حالتان:

- **عند الإطلاق** يدخل فيها العقيدة.
- **أما إذا جاءت العقيدة والشريعة مقيدة** فيصبح المراد بالشريعة الإسلام، والمراد بالعقيدة الإيمان، فهذا في حال التقييد.

لكن في حال الإطلاق يدخل في العقيدة الإسلامية أن تعتقد جميع ما شرعه الله ﷻ لنا.

وكذلك الشريعة الإسلامية عند الإطلاق يدخل فيها الإيمان وأركان الإيمان وأن تؤمن بخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أصلَيْ الإيمان بالله:

يقوم الإيمان بالله على أصلين اثنين:

الأصل الأول: الإيمان بوجوده.

الأصل الثاني: الإيمان بوحدانيته.

والإيمان بوحدانية الله المقصود بها: الإيمان بذلك في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ وحينئذ نقول:

الإيمان بالله يقوم على أربعة أركان:

١. **الإيمان بوجوده.**

٢. **الإيمان بربوبيته**، أي: أنه واحد في ربوبيته، ومعناها: الرب الصاحب، ففي اللغة الصاحب أي: المالك.

مثل: رب هذا الدار، ورب هذا الفرس.

فالإيمان بربُوبيَّة الله، أي: أن الله هو رب هذا الكون المنفرد بخلقه وملكه وتدبيره.

٣. **الإيمان بألوهيته**، وهو من التَّأَلُّه؛ لكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير فيجب أن يكون التَّأَلُّه له وحده لا شريك له؛ **فهذا تَوحِيد الألوهيَّة:** إفراد الله بالتَّأَلُّه والعبادة، ذلك أن الرب المنفرد بالخلق والملك والتدبير هو المستحق وحده للعبادة.

٤. **الإيمان بأسمائه وصفاته**، فلا يمكن أن يكون له مثيل في ذاته ولا يمكن أن يكون له مثيل في أسمائه وصفاته، فهو واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وجوده، لم يُسبَق بعدم ولا يلحقه فناء، وواحد

في ذاته وأسمائه وصفاته ليس كمثله شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، وهو في الوقت ذاته سميعٌ بصيرٌ عليمٌ قديرٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، **وهذا تَوحِيد الأسماء والصفات.**

❖ أسباب عدم وُرود أدلة وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتب السلف:

أما الكلام عن وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فقد يقول القائل: **ما وجدنا في كثير من كتب السلف الكلام عن أدلة وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى!**

فالجواب: نعم صحيح؛ قد لا تجد ذلك في كتب السلف المُتقَدِّمة؛ لكونها لم تكن إشكالية في ذلك العهد.

فعلماء السلف كانوا يتحدثون ويُكثرون من الكلام عن قضية من القضايا إذا ظهرت الحاجة إليها.

أمثلة:

المثال الأول: موضوع تَوحِيد الأسماء والصفات:

قد تكون الإشكالية عندهم في موضوع **تَوحِيد الأسماء والصفات**، فتأتي الفِرَق الكلاميَّة وتتحدث بهذا الأمر، ويجعلون علمَ الكلامِ ميزانًا لنصوص الشرع، ويحدث الانحراف بعد ذلك= فيأتي أهل السنة والجماعة ويُكثِرُون من الكلام في موضوع تَوحِيد الأسماء والصفات، ويردُّون على شبهات الملحدين في باب الأسماء والصفات، فيكون الكلام في هذا المستوى في تلك الكتب عن تَوحِيد الأسماء والصفات أكثر.

المثال الثاني: موضوع تَوحِيد الألوهيَّة:

قد تكون الإشكالية في عصر من العصور في تَوحِيد الألوهيَّة **مثل:** أن الناس اتَّخذوا شفعاء، ويتوجَّهُون إلى الموتى، وإلى الجن والشجر، وذلك بصرف شيء من أنواع العبادة لهم؛ فيكون التركيز أكثر على تَوحِيد الألوهيَّة.

وهكذا: قد يأتي عصرٌ من العصور تحدث مشاكل فيقوم أناسٌ معينون بنشر الإلحَاد، ويتخذون ذلك وسيلةً لمواجهة أهل الأديان عمومًا، وأهل الدين الإسلامي خصوصًا.

على الرغم من أن المَلَاحِدة بشكلٍ عامّ لا يسعون إلى نشر إلحَادهم؛ لكونهم لا يريدون من أحد جزاءً؛ إذ لا محرِّك لهم حتى ينشروا هذا الإلحَاد، والأصل أن الإلحَاد لا ينتشر هكذا بذاته؛ لأنه مخالف لفطرة الإنسان.

لكن إذا جاء في عصر من العصور وأصبح الإلحَاد يُموَّل سياسيًّا من قبل جمعيات ومراكز ودُوَل لنَشرِه، وتحوَّل هذا الإلحَاد إلى مشكلة كبرى= فيبدأ بعض طلاب العلم وبعض العلماء يؤلفون الكتب في هذا الموضوع التي فيها الكلام عن أدلة وجود الله، ورَدِّ شبهات المَلَاحِدة لكون ذلك العصر انتشر فيه هذا الموضوع فيحتاج إلى التأليف وكتابة الردود فيه.

ولهذا السبب: قد تجد في كتب السلف أنهم يبدؤون كتبهم بالتحدث عن تَوحِيد الربُوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات، ثم عن الانفراد بالخلق والملك، ولا يتحدثون عن أدلة وجود الله؛ لعدم الحاجة في ذلك العصر إلى مثل هذه الأمور.

الدَّرسُ الثَّانِي

الوِحدَةُ الأُولَىٰ: أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (١)

موضوعات هذه المحاضرة:

نبدأ من هذه المحاضرة الحديث عن أدلة وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسنتناول سبعة أَدلَّة، وهي على النحو الآتي:

١. دليل الفطرة.

٢. دليل الخَلقِ والإِيجَادِ.

٣. دليل الإِحكَام والإِتقَان.

٤. دليل التَّخصِيص.

٥. دليل التَّقدِير.

٦. دليل دلائل النبوة.

٧. دليل مكارم الأخلاق.

❖ أولًا: دليل الفطرة:

تعريف الفطرة

الأول: تعريف الفطرة في اللغة:

الخِلقَة، ففي اللغة فتحُ شيءٍ وإبرَازُه لتظهر أصلُ خِلقته التي خَلَقَه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليها من غير تغيير أو تبديل.

إذًا؛ أصل الفطرة في اللغة الخِلقَة التي خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الشيءَ عليها.

فتقول هذا الشيء على الفطرة يعني: على الخِلقَةِ التي خَلَقَه اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليها، دون أن تأتي البيئة والناس ويُغَيِّرون ويُعدِّلون.

الثاني: تعريف الفطرة في الشرع:

وهذا التعريف متعلِّقٌ بالإنسان أي: أنه باقٍ على أصل الخلقة التي خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليها، من غير تغيير:

- من جهة الأبوين.
- أو من جهة البيئة.

فيكونُ أصلُ خِلقَةِ الإنسان على: **الإقرَارِ بوجودِ الله، وعلى وحدانية الله، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُستَحِقٌّ وحدَه للعبادة**؛ فيكونُ الإنسانُ خُلِقَ وهو:

- يُحِبُّ الخير ويرجوه لنفسه.
- ويكرَهُ الشر وينفر منه ويبتعد عنه.

وهكذا هذه الفطرة في الشرع.

مُقتَضَىٰ الفطرة:

مقتضى الفطرة أي: ما توجِبُه وتَحكُمُ به الفطرةُ السَّليمةُ الباقيةُ على خِلقتِها التي خَلَقَها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليها، ولم تتعرَّض لتغييره وتبديله.

مثال: إذا قلت: هذا شيءٌ فطريٌّ معنى ذلك: هذا الشيء خُلِقَ ووُجِدَ في نفس الإنسان؛ بحيث لا يحتاج فيه إلى استدلال ولا إلى نظر.

المعارف الفطرية:

وهناك معارف تُسَمَّى: مَعارِف فطريَّة بمعنى: أن الفِطرَة تَحكُمُ بصحَّتِها من غير أن يتدخل شيءٌ فيها.

فهكذا خُلِقَ الإنسان وهو يؤمن بهذه الأشياء، فهذه المعلومات التي يُحكَمُ بصِدقِها بمجردِ تَصَوُّرِها، أي: بمجرد ما تتصور الشيءَ في الذِّهنِ تَحكُمُ عليه أنه صحيح أو أنه باطل، فلا تحتاج في إثبات صدقها سواء كان إيجابًا أو سلبًا إلى نظر ولا استدلال؛ لأنها مفروضة على الذهن فرضًا.

وهكذا خَلَق الله ذِهنَ الإنسانِ وجَعَلَ هذا الذِّهن يَحكُمُ على هذه الأشياء بمجرد أن يَتَصَوَّرَها؛ فهناك قوَّةٌ خلقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الإنسان، وهذه قوة علميّة خلقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وجَعَلَها في أَصلِ عقلِ الإنسان وفي أصل هذه الغريزة المدركة عند الإنسان.

أمثلة على المعارف الفطرية:

المثال الأول: السببية.

ومن ذلك:

- أن كلَّ ضربة لا بُدَّ لها من ضارب، فكلُّ شيءٍ له سبب، فلو جاء الطفل فوَجَدَ ماءً في هذا المكان فسيقول: من أوجد هذا الماء؟ لا بد أن يكون له موجِد.

فهذا ما يُسمَّى بالمعارف الفطرية أي: يعرِفُه الناس من غير أن يحتاجوا إلى استدلال ولا إلى نظر، مثل: البعرة تدُلُّ على البعير والأثر يدل على المسير.

- فإذا دخلتَ غرفَةً ووجَدتَ أَثَرَ أقدامٍ فلا بُدَّ أن يكون هناك من دخل الغرفة قبلك؛ فهذه لا تحتاج إلى نظر ولا استدلال.
- وإذا وَجَدتَ أثَرًا يدل على أن هناك بعيرًا مَرَّ بهذا المكان فلا بد أنه مرَّ.

وهكذا أيُّ شيءٍ من قانون السببيَّةِ أمرُه فِطرِيٌّ لا يحتاج فيه إلى نظر ولا استدلال:

- ✓ فالحَادث لا بد له من مُحدِث.
- ✓ والموجود لا بد له من مُوجِد.

المثال الثاني: الجزء أصغر من الكل:

فهذه معرفةٌ فِطرِيَّة، ومن أبرَز الأمثلة عليه:

الطفلُ الصغير إذا أردتَ أن تعطيه بسكويتًا كاملًا ثم قَسَّمتَه قسمين فسيبدأ بالبكاء؛ لأنَّه يعرِفُ أنه إذا صار فيه جزء= فسيكون أصغرَ من هذا الكُل.

المثال الثالث: النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آنٍ واحد:

فلو قُلتَ لشخص: هذا الكأس موجودٌ ومعدومٌ في الوقت ذاته= لن يَقبَلَه الشخص بفطرته.

فهذه أمورٌ ومعارفُ فطرية فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان عليها.

أصول الدِّين من المعارف الفطريَّة:

فأصُول هذا الدين من المعارف الفطرية، **ومن هذه الأصول: الإقرار بوجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ،** وهناك أمور كثيرة تدل على هذا منها:

الأول: فطرية قانون السببية ودلالته علىٰ وجود الله:

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خَلَقَ الإنسان، وعندما خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خَلَقَ له السمع والبصر والفؤاد؛ والفؤاد اسمٌ من أسماء العقل، فخَلْقُ الله لهذا على التفصيل الآتي:

- **خَلَقَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سمعَ الإنسانِ كاملًا**، وأوَّلُ ما يُولَدُ الإنسان يُولَدُ بسمعه كاملًا؛ ولذلك لا يحتاج أثناء الأذان في الأذن اليمنى للطفل أن ترفع صوتك، وإذا فعلت قد يبكي الطفل؛ لظَنِّه أنَّك تصرخ فيبكي، فإذا أذَّنتَ بأذانٍ معتدلٍ عادي فستجده يستمع لهذا الأذان ولا يبكي، وبعضهم إذا سمع الطفل يبكي ظَنَّ أن به شيء، بل الطفل إذا رفعت صوتك بالأذان آذيتَه؛ فهو يُولَدُ وسمعُه كاملٌ.
- **ثم يأتي بعده في النموِّ البصر**؛ فينمو في البداية لا يرى إلا القريب جدًّا؛ ولذلك أول وجه يتعرف عليه الطفل هو وجهُ أمه بسبب الرضاع، ثم النظر لا يكون كاملًا بحيث يرى جميع الألوان، فهو لا يرى إلا ألوانًا معينة، فيبدأُ بالأسود والأبيض ثم تكتملُ الألوان ثم يبدأ يرى البعيد وهكذا، فينمو البصر تدريجيًّا.
- **كذلك العقل عند الإنسان ونقصد بالعقل: الغريزة التي جعلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الإنسان**؛ ولذلك العقل غريزة ليس جزءًا مثل العين والسمع ونحو ذلك؛ إنما هي غريزة مدركة.

مثل:

- إدراك الحار والبارد.
- إدراك الخير والشر.

فالعقل غَرِيزَةٌ مُدرِكة، وعلومٌ ضرورية جعلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في عقل الإنسان وفي فؤاده – الذي له تعلُّق بالقلب وله تعلُّق بالدماغ–.

أسماء المعارف الفطرية:

وهذا اسم آخر للمعارف الفطرية فلها عدة أسماء، منها:

- العلوم الضرورية.
- المعارف الفطرية.
- الأوليات العقلية.
- المقدمات الأولية أو المقدمات الضرورية.

أصل العقل موجودٌ في الإنسان وينمو تدريجيًّا:

إذًا؛ هذه أشياء جعلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في أصل خِلقَة الإنسان ضرورةً.

ثم مع نموِّ العقل ومعرفته للعلوم النَظَرِيَّة اليقينية يزداد عقلُ الإنسان **فيعمل بمقتضاه.**

مثال: امتناع الإنسان عما يضره، وفعله ما ينفعه، فالذي يفعل هذا يسمى عاقلًا.

الخلاصة: العقلُ له أربعة معانٍ:

١. غريزةٌ مُدرِكة.

٢. وعلوم ضرورية.

٣. وعلوم نَظَرِيَّة يقينية.

٤. وعمل بمقتضى العلم.

إذًا؛ العقل ينمو عند الإنسان تدريجيًّا لكنه موجودٌ في الإنسان مثلَ وُجودِ البصر والسمع، فيوجد هذا العقل في الإنسان؛ لكنه ينمو ويخرج تدريجيًّا، ويتفاوت الأطفال في نموِّ العقل عندهم.

مثال: بعضُ الأطفال منذ تفتُّح العقل عنده لا يمكن أن يكون في مكانٍ مرتفع فيرمي بنفسه منه، وبعض الأطفال بعد أن يرمي بنفسه ويرى العاقبة لا يعود لرمي نفسه.

فهذا تأخرٌ بينهم في هذا الإدراك.

مثال آخر: بعضُ الأطفالِ لا يحتاج -إذا قلت له: هذا شيء حار- إلى تجربة؛ فلا يضع يده، بل يفهم الحار من البارد ولا يضع يده، لكن بعض الأطفال لا يدرك ذلك إلى أن يضع يده ثم يعرف هذه الحرارة.

فهذا العقل الموجود في الإنسان يُسمَّى قوةً علميّة؛ وهذه القوة العلميَّة أوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في نفوسنا رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنا، وهذه القوة العلميَّة تنمو تدريجيًّا حتى يصل الإنسان إلى سن التمييز ويُميِّز بين الأمور، وقبلها يُميِّز الإنسان بين الحار والبارد، فكلُّ هذا نموٌّ عقلي.

فهذا العقل يوجد فيه أشياء تَحكُم بأنَّ هذا الكون لا يمكن أن يكون أوجد نفسه بنفسه، وهذا قانونُ السبَبِيَّة.

فهذا الكون مخلوقٌ، وبمجرد المشاهدة يحكم الإنسان أن هذا الكون مخلوق؛ لأنه كان معدومًا ثم وُجِد، فهذا الكون بأكمله كان معدومًا ثم وُجِد= فلابد له من خالقٍ أَوجَدَه.

القوة العلميَّة والقوة الإرادية فطرة موجودة قبل الحِسّ:

١. وهذه الأمور قوة علميّة موجودة في الإنسان مفطورٌ عليها، تنمو عنده وهو صغير؛ فيعلم أنَّ لهذا الكون خالقٌ، وهذا الخالقُ واحدٌ لابدَّ أن يُشكَر، **فهذه قوةٌ علميّة** موجودة في الإنسان، ما لم يحصل فيها تغيير وتبديلٌ وذلك:

- من قِبَل الوالدين.
- والبيئة.
- والمجتمع.

فهو يولد هكذا مُقرًّا به.

فمن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنا جعل في نفوسنا هذه القوة العلميَّة.

٢. وهناك قوة إرادية خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فينا، وهذه القُوَّة الإرادية تَحكُم بأنَّ هذا الإله يجب أن يُشكَر فهو:

- خلقَكَ من عدم.
- وأدَرَّ عليك أنواع النِّعم.

فلابد أن يُشكَر، ثم تأتي بعد ذلك الشريعة التي يتعلم منها الإنسان كيف يَشكُرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

أما هذه القوة العلميَّة والقوة الإرادية فقد جَعَلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فينا منذ أن خلقنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكنها تنمو تدريجيًّا.

أما العلوم النَظَرِيَّة اليقينية فهي تزيدُ هذه المعارف الفطرية قوة، لكن هذه المعارف النَظَرِيَّة اليقينية تَالِيَة، وهي: التي اكتسبناها عن طريق الحِسِّ والتجربة، ثم هي ترسل للعقل والعقل يَحكُم على هذه الأشياء.

لكن العلوم الضرورية والمبادئ العقلية القبلية -أي: قبل الحس والتجربة- موجودةٌ فينا؛ ولذلك بعض الناس يخلِط في هذه القضية ويقول: العقل ما جاء إلا بعد الحس والتجربة.

وهذا غيرُ صحيح؛ فالقوة العلميَّة والقوة الإرادية موجودةٌ قبل الحِسِّ يولَدُ الإنسان وهي موجودة معه مع السمع والبصر، فهذا الفؤاد موجود معه، وموجود فيه هذه القوة العلميَّة والإرادية الذي هو عقل الإنسان.

وهذا النمو التدريجي يساعد ويسهم فيه الحس والتجربة، والاستفادة من المبادئ العقلية في معرفة أشياء أخرى تزيد من عقل الإنسان.

ثم يبدأ هذا الإنسان فيمتنع ويعقل نفسه عما يضره من الأشياء القبيحة، فيبدأ بمعرفتها ويتوسع فيها ويمتنع ويزداد عقله ويسمى هذا الإنسان عاقلًا.

الخلاصة: الإقرار بوجود الله أمر فطريٌّ لا نحتاج في إثباته إلى نظر ولا استدلال، بل خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان وجعل في أصل خِلقَتِه الإقرار بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أمر فطري.

الثاني: ظهور فطرية الالتجاء إلىٰ الله في الشدائد:

وتتكشف هذه الفطرة أثناء المصائب، فحتى هذا الملحد عندما تضيق به الأمور يشعر أن هناك قوة بيدها تدبير هذا الكون فتجده يقول: يا الله!

الثالث: ظهور فطرية البحث عن الخالق عند رؤية الصنع المتقن:

فهذا الإنسان عندما يرى بديع خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يملك نفسه إلا أن يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، سبحان الله!

مثال: مما يُذكَر أن أحد رُوَّاد الفضاء سافر في رحلة، ويُقَال إنه ثاني رائد فضاء أثناء قوة الاتحاد السوفيتي؛ فذهب إلى الفضاء ورجع، فالتقت به المجلات والجرائد والإعلام يسجلون هذا اللقاء معه، فذكر مما رأى يقول: (رأيت الأرض معلَّقة في الفضاء، فقلت: من يُمسِكها؟ فذهبت أبحث عن الله).

لابد أن يكون لها ممسك ومنظم لهذا الكون، وهذا ما نقصد بالفطرة، فبمجرد أن تحدث مثل هذه الأشياء تَصفُو فطرة هذا الإنسان فتخرج بهذا المعتقد.

وعندما نُشِر هذا المقال غضب قادة الحزب الحاكم، ثم سجلوا اعتذارًا بيَّنوا فيه أنه قال: (فذهبت أبحث عن الله فلم أجده)، لكن الناس عرفوا وانتبهوا أنه لا يمكن أن يكون سَقطٌ من جميع المجلات وجميع الجرائد وجميع الصحف.

فهذه الفطرة هي الدليل الأول وهو أعظم الأدلة على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن تقول: هذا الأمر مفروض على ذهني فرضا بحيث لا أحتاج فيه إلى نظر ولا استدلال.

ويمكننا توضيح ذلك في المقدمات الآتية:

١. أن هذا العالم مخلوق.

٢. أن المخلوق لابد له من خالق، وهذا الشيء موجود ولابد له من موجِد، والمخلوق لابد له من خالق.

٣. أن هذا الخالق لا يمكن أن يكون مثل هذه الموجودات، بل يكون مخالفًا في وجوده لهذه المخلوقات:

- فلا يُسبَق بعدم.
- ولا يلحقُه فناء.

لأن هذه المخلوقات مسبوقة بعدم ويلحقها فناء.

وهذه الصفات لا يتصف بها إلا الله سبحانه، **وهذا أعظم دليل من أدلة وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، ويحكم به جميع العقلاء، فبمجرد أن يعود الإنسان إلى نفسه وإلى فطرته يحكم بأن هذا الكون لابد له من خالق.

أدلة الكتاب والسنة علىٰ فطرية معرفة الله:

الدليل الأول: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، فيُخبِرُنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الدين الحنيف هو الإيمان بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه هو المستحق وحده للعبادة ﷻ؛ فهذا هو الدين الحنيف.

وهذا هو الذي يولد الإنسان وهو مُزَوَّدٌ به، فبمجرد أن يخرج هذا الطفل وينمو= ينمو معه هذا الدين الحنيف فيَتَفَتَّق عنه الخِلقَة التي خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان عليها وهي: الإقرار بالدين الحنيف.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، هذا له معنيان:

المعنى الأول: لا تبديل لخلق الله، أي: لا تُبدِّلوا خلق الله، فتُغَيِّروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها= فيكون خبرًا بمعنى الطلب.

المعنى الثاني: أنه خبرٌ على بابه، لا تبديل لخلق الله، أي: هكذا خلق الله جميع الناس سواسية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل في أصل خلقتهم الدين الحنيف، فبمجرد خروج الإنسان للوجود يخرج وفي أصل خلقته هذا الدين الحنيف.

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

الدليل الثاني: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[إبراهيم: ١٠].

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: أَفِي وجود الله شك؟ وكلَّ ما ترون من الآيات مما في السماوات والأرض؟!

فهذه كلُّها أدِلَّة على وجوده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أفي وجودِه شك والفِطَرُ شاهدةٌ على وجوده، مجبولةٌ على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفِطَر السليمة.

أفي الله شكٌّ وأنتم تنظرون إلى السماوات والأرض، وأنها مَفطُورَة مخلوقة من قِبَل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فاطر السماوات والأرض، الذي خَلَقَها وابتَدَعَها على غير مثال سبق.

فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليها، فلابد لها من صانع، وهو: الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

وما إن تصورتَ هذه السماوات والأرض حَكَم هذا العقل أنه لابد لها من خالق، فكيف تشك في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والسماوات والأرض كلها أدلة على وجودها؟

الآيات المبثوثة في السماوات، والآيات المبثوثة في الأرض وما بين السماوات والأرض، كلُّها أدلة على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فكيف يكون في الله شك؟!

فهذه الآية لها معنيان:

المعنى الأول: أفي الله شك، أي: في ألوهيَّتِه ووجوبِ العبادة له وحده لا شريك له، فهو المُنفَرِد بخلق السماوات والأرض، وهو الله الذي:

- ✓ خلقك.
- ✓ والذي يملك أمورك.
- ✓ والذي يُدَبِّرُك.
- ✓ والذي أنعَمَ عليك بجميع أنواع النعم وهو المنفرد بذلك.

فكيف تشكر غيره على الخلق أو على الملك أو على التدبير أو على النعم، وكل هذا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

فكيف يكون شكٌّ في الله وهو المنفرد بخلق السماوات والأرض، والمنفرد بملكها وتدبيرها.

المعنى الثاني: أفي الله شك، أي: في وجوده.

فلا يمكن أن يكون في وجود الله شك والله قد خَلَقَ وجَعَل في أصل خِلقَة الإنسان أنه إذا نظر إلى السماوات والأرض حَكَم بوجود خالقٍ لهما.

الدليل الثالث: قال ﷺ: **"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه"**[1].

والفطرة هنا أي: الخِلقَة التي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها وهي: الإسلام، فكل مولود يولد على الدين الحنيف وعلى الإسلام، ثم الأبوان والبيئة تبدأ في تغيير ما خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الطفل عليه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

الخلاصة: أن الفطرة المراد بها الإسلام؛ وذلك من جهة أنه ذكر الملل الأخرى ولم يذكر الإسلام، فذُكِرت اليهودية والنصرانيَّة والمجوسية، ولم يذكر الإسلام= فدلَّ على أن الفطرة المقصودة بها الإسلام.

وفي رواية أخرى لمسلم فيها نص صريح على أن المراد الإسلام: "**كل مولود يولد على هذه الملة**"(١)، أي: على ملة الإسلام.

الدليل الرابع: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل في أصل خِلقَة الإنسان الإقرار بوجوده.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ اختلف العلماء في معناه:

المعنى الأول: إما أن يكون المراد به الفطرة، أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الإقرار بربُوبيَّة الله في أصل خلقة الإنسان، فالله خَلَقَ الإنسان وهو مُقِرٌّ أن له ربًّا، ويقتضي ذلك وجوب التعبد له وحده ولا شريك له، فهذا يكون أصل الخلق التي خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها.

ويكون المقصود بالإشهاد: إشهادُ الفطرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٨).

المعنى الثاني: أنه بالإضافة إلى إشهاد الفطرة -وهذه الفطرة لا شك فيها- فمن الدلائل الأخرى **أن هناك ميثاق مقاليٌّ حقيقي**؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مسح على ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريَّته أمثال الذر إلى يوم القيامة وأشهدهم بلسان المقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾.

ووقع في الآية خلاف بين العلماء: هل هذا الإشهاد هو إشهاد الفطرة، أو إشهاد مقاليّ؟

وهناك من أهل العلم من قال لا مانع من الأمرين.

الدَّرسُ الثَّالِث
أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٢)

توضيح المراد بفطرية معرفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتَوحِيده:

والمراد بمعرفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتَوحِيده الفطرية: المعرفة الإجمالية المتعلقة بوجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

- فالإقرار بوجود الله فطرة.
- والإقرار بأن له الكمال المطلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فطرة.
- والإقرار بأنه المحبوب والمقصود وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة.

إذًا؛ هو الرب وحده وهو المألوف وحده، **أما تفصيلاتُ العبادة والصِّفات فسبيلها الوحي**.

هذا المراد بفطرية معرفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتَوحِيده، أن الإنسان إذا مَيَّز وعَقِل فلا يحتاج في إثبات وجود الله إلى نظر ولا استدلال، بل بمجرد التصور:

- أن لهذا الكون خالق= أُقِرُّ به.
- أن هذا الكون مخلوق= فلابد له من خالق.

فهذه معرفة فطرية، وهذا الخالق له الكمال المطلق، وتجِبُ محبته؛ لأنه هو الخالق المالك المدبِّر المُنعِم، له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فتجب محبته ويجب قصده وحده بالشكر على الخلق والملك والتدبير، فهذه معارف فطرية، ثم يأتي الوحي ليُبيِّن ذلك.

القوة العلميَّة الفطرية:

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ زوَّد الإنسان في أصل خلقته بقوة علميّة وقوة إرادية، فالقوة العلميَّة توجب:

- معرفة الله.
- وأنه له الكمال المطلق.
- وأنه وحده المنفرد بخلق هذا الكون وملكه وتدبيره.

فهذه القوة العلميَّة إذا لم تُغَيَّر ولم تُبدل ولا حدث لها شيء من قِبَل الأبويين والبيئة، فَستُقرُّ بنفسها بوجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

القوة الإرادية الفطرية:

ثم القوة الإرادية عنده تدلُّه إلى أن هذا المنفرد بالخلق والملك والتدبير الذي له الكمال المطلق= **فإنه يجب قصده وحده بالشكر وبالعبادة.**

فهاتان قوتان:

- قوة علميّة.
- وقوة إرادية.

زوَّدَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الإنسان بها منذ أن خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

كيف نستدل بدليل الفطرة؟

نقول: إن الإقرار بوجود الله أمر مفروضٌ على الذهن فرضًا، ولا يحتاج فيه إلى نظر ولا استدلال غيرَ مجرد التَّصوُّر، فبمجرد النظر في المخلوقات نعلمُ يقينًا بأن لها خالق.

استدلال الأعرابي بالفطرة:

والمَثَلُ العربي يقول: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير.

ومعنى قول الأعرابي: إذا كنا نعرف أن البعير مَرَّ بهذا الطريق بسبب هذه البعرة، ونعرف بآثار الأقدام أن شخصًا مَرَّ بهذا المكان، **فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير؟!**

استدلال أبي حنيفة بالفطرة:

قال أبو حنيفة في القصة التي ذُكِرَت عنه أن ناسًا من المَلَاحِدة أرادوا مناظرته فتأخر عليهم، فقال عندما جاء: "أخبروني عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلِئُ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها فتُرسِي بنفسها، وتُفرِغُ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبَّرها أحد".

فقالوا: "هذا محال لا يمكن أبدا".

فقال لهم: "إذا كان هذا محالًا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟".

إذًا؛ هذا دليل الفطرة لا يُناقِش فيه أحد، لكن إذا تَغيَّرت فطرةُ الإنسان بسبب:

- الأبوين.
- أو المعلم.
- أو البيئة.

فشُوِّهت هذه الفطرة، فيحتاج الإنسان عند ذلك إلى بعض الأدلة التي توضِّح له هذا الأمر.

❖ ثانيًا: دليل الخَلقِ والإيجَادِ:

والمراد بدليل الخَلقِ والإيجَادِ: أن كل مخلوق من مخلوقات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يدل على وجود الله.

وعدد أدلة وجود الله من خلال هذا الدليل بعدَدِ المخلوقات، فكل مخلوقٍ يدلُّ بنفسه على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الدليل: قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وسُمِّيَ العالَمُ عالمًا:

✓ لكونه يُعلَم به وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

✓ ويدل على وجوده.

كما أن الخَاتَم سمي خاتمًا لكونه يُختَم به= فكذلك العالَمُ على وزن الخاتم، يُعلَم به وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو عالَمٌ وبُرهَان.

فكُلُّ عالَمٍ وكل مخلوق= فهو دليلٌ على وجود الخالقِ ﷻ.

الدليل: قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤]، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له السيادة والملك والتدبير لكلِّ شيء، وذلك من لوازم الخلق.

كيف نستدل بهذا الدليل علىٰ وجود الله؟

يمكننا تقرير هذا الدليل من خلال المقدمات الآتية:

المقدمة الأولى: أن العالم مخلوق.

والدليل على كون العالم مخلوقًا: المشاهدة والحِسّ، أي: أننا نرى آحاد هذا العالم كان معدومًا ثم وُجِد، ثم بعد وُجُودِه يَعدَم= فحَكَمنا على هذا العالم بأنه موجود.

مثال: أنتَ مخلوق، والدليل على كونك مخلوقًا: أنكَ سُبِقتَ بعدمٍ ويَلحَقُكَ فناء؛ فهذا هو تعريف المخلوق فهو: الذي يُسبَق بعدم ويَلحَقُه فناء.

فنحن نرى هذا العالَمَ آحاده سُبِقَت بعدم ويلحقُه فناء؛ فهكذا العالَمَ كله، فيصبح هذا العالَمَ مخلوقًا، ودليله **المشاهدة**.

وهناك مخلوقاتٌ لم نشاهدها ولم نشاهد أنها كانت معدومة ثم وُجِدَت؛ فنقول **بالقياس** فتأخُذُ نفس حُكم المُشاهَد، فما دامت موجودة مخلوقة فهي سُبِقَتْ بعدم ويلحقها فناء، فقِسنَا ما غاب عنَّا من مخلوقاتٍ على ما شاهدناه= فصار هذا العالَمَ كلُّه مخلوق، والدليل على ذلك المشاهدة.

يقول ابن تيمية ﷺ: "نفسُ حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلومٌ بالضرورة، بل مشهورٌ لا يحتاج إلى دليل، وإنما يُعلَمُ بالدليل ما لم يُعلَمُ بالحس وبالضرورة؛ فالعلم بحدوث هذه المُحدَثَات علمٌ ضروريٌّ لا يحتاج إلى دليل".

المقدمة الثانية: المخلوق لابد له من خالق.

والدليل على ذلك: الضرورة العقليَّة، وقلنا في الدرس السابق أن قانون السببية هو أمرٌ فطريٌّ ضروريٌّ خَلَقَه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وجعلَه في أصل خِلقَتِنا؛ بحيث لا يصبح الطفل مميزًا وينمو عقلُه إلا وهذا الأمر عنده مستقرٌّ تامٌّ.

مثال: إذا وضعتَ كأسًا أمام إنسانٍ فسيقول: لابُدَّ أن هناك من جاء ووضع هذا الكأس في هذا المكان. ولا يَقبَلُ أن يُقَال له: إن الكأس جاء من المطبخ بمفرده ووقع في هذا المكان، فهذا مما لا يقبله العقل.

إذًا: هذه ضرورة عقلية، ولا يُجادِلُ في كونِ الحَادث -الذي كان مُعدَمًا ثم وُجِد- لابُدَّ له من مُحدِث إلا من فَقَد العقل.

مثال آخر: إذا جئتَ إلى طفلٍ صغير ضربتَه من الخلف التفتَ يُريدُ أن يعرف من ضربه من خلفه؟

فإذا قيل له: إنَّ هذه الصفعَة تكوَّنت في الهواء ثم نزلت عليك من غير صافع لن يقبله هذا المُمَيِّز.

فالعِلمُ بأنَّ المُحدَث لابد له من مُحدِث علمٌ فطريٌّ ضروريٌّ معلومٌ بالفطرة التي فَطَرَ الله عليها عباده بصريح العقل.

والنتيجة من هذه المقدمات: العالَم مخلوق، وكلُّ مخلوقٍ لابد له من خالق= إذًا العالَم لابد له من خالق.

فمن سَلَّم بالأدلة يلزمه التسليم بهذه النتيجة.

من هو هذا الخالق؟

لا يوجد إنسانٌ عاقلٌ إلا ويقول هذا العالَم لابد له من خالق، لكن هناك من يأتي ويختلف: من هو هذا الخالق؟

أول احتمال عند المَلَاحِدة أن يُقَال: خالق هذا العالَمِ هو (العدم).

والذي يقول هذا رَجَع مرةً أخرى وتراجع وتناقض، فكيف تقول: العالَم لابُدَّ له من خالق ثم تقول: الخالق هو العدم؟! فمعنى هذا أن العالَم ليس له خالق؟!

وهذا تراجعٌ لا يُقبَل، فعندما تقول: الخالق العدم معناه: العالَمُ من غير خالق.

فتكون قد أقرَرتَ بأمرين ثم تراجعت عنهما ونقضتهما، وهما:

١. العالم مخلوق

٢. والمخلوق لا بد له من خالق والنتيجة: إذا العالم لا بد له من خالق.

ثم تراجعت ونقضت هاتين المقدمتين حين سئِلتَ: من هذا الخالق؟ فأجبت: العدم أي: لا يوجد خالق! مع أنك قررت أنه لا بد من خالق.

فهذا باطل؛ لأن هذا العدم= شيء غير موجود، **فكيف يكون غير الموجود مُوجِدًا لهذه الموجُودَات؟!** ففاقد الشيءِ لا يُعطيه.

وهذه قضية واضحة، يستحيل أن يكون الخالقُ هو العدم؛ لكونه غير موجود فكيف يوجِدُ غيرَه وهو لا يستطيع إيجاد نفسِه؟!

فاستحالة وجود مخلوق من غير موجود ضرورة عقلية.

وهذا من أقوى الاحتمالات عندهم: أن الخالق هو العدم، وهي واضحةُ البطلانِ، ولا يمكن ذلك ولا يقبله عقلٌ.

مثال: الطفل الصغير لا يقبل أن تقول له: هذا الكأس له موجِد.

ثم إذا قال: من أوجده؟

تقول له: العدم.

فلن يقبل ذلك لأنك أنت اتفقت معه على: أن هذا الكأس لا بد لهم من موجِد ثم تقول: لا يوجد أحدٌ أوجَدَه؟! فهذا تناقض.

الاحتمال الثاني عندهم: وهي القضية الكبرى أن يُقَال: (إن وجود هذا العالم وجودٌ ذاتيٌّ).

أي: الذي أَوجَدَ هذا العالم هو الطبيعة، ويُقصَدُ بالطبيعة: القوانين والسنن والأسباب الموجودة في هذا العالم.

فهذه أكبر حجة وبرهانٍ وأقواها على الإطلاق عند المَلَاحِدة، وهي أن يقولوا: إن هناك قوانين وسننًا وأسبابًا موجودة في هذا العالم= هي التي أَوجَدَت هذا العالم.

أي: أن مُوجِدَ هذا العالَمَ داخل العالَمَ ليس خارجَه، فهذه القوانين والسنن والأسباب تفاعلت مع بعضها البعض فأوجدت هذا العالم.

وهذا باطل لما يأتي:

أن هذا حيدة عن محل السؤال، لأن السؤال عن (من هو الخالق؟) لا (كيف خُلِقت المخلوقات)؟

مثال يُوضِّح بطلان حجَّة المَلَاحِدة:

لو أن أعرابيا جاء من البادية، وكانت طريقته في الحصول على الماء عن طريق الآبار؛ فهو يرمي بالدَّلو داخل البئر ثم يستخرج الماء.

فلما جاء إلى المدينة وَجَدَ أن الماء يخرج من الجدار عن طريق قطعة حديد تُحَرَّك فإذا بالماء يخرج!

فهذا الأعرابي قال: أُريدُ أن أعرف من أحضر هذا الماء إلى داخل هذا المنزل؟

فبدأ يضرب الجدار ويتتبع المواسير؛ فإذا بها تتصل بالخزان داخل الماء، ثم يفتح الخزان فيجده مليئًا بالماء، لكن لم يَزُل عنه تساؤُلُه عن طريقة وصول الماء، ومن أتى به إلى داخل هذا الخزان؟!

فتتبع ذلك وأَجهَدَ نفسَه ومرَّت السنين وهو يبحث، حتى وصل -إذا كان في جدة- إلى التحلية وإلى البحر= فصَاحَ صيحَتَه وقال: عرفتُ من أحضر هذا الماء إلى داخل المنزل: **هذه المواسير هي التي أحضَرَت الماء وسَكَبَتَه داخل الخزان،** ثم من خلال الخزان ارتفع إلى الخزان العلوي ثم بعد ذلك توزع إلى داخل المنزل!

فهذا الذي أَجهَدَ نفسَه وأتعَبَها ثم تحدَّث عن **كيفية انتقال الماء**، وما هو الوعاء الذي اندفع من خلاله الماء حتى وصل إلى المنزل، **لكن لم يتحدث من الذي أوجدَ هذا الماء؟!**

فجوابه الذي أجاب به إنما هو جوابٌ عن الكيفية.

أما سؤال: من أحضر الماء داخل المنزل؟

فجوابه: صاحب المنزل، أو البلدية، أو الحكومة، فهؤلاء هم الذين أدخلوا الماء إلى داخل المنزل.

فإذا سُئلت: كيف؟

فالجواب: عن طريق هذه المواسير والوسائل المتخذة لنقل الماء، وهي الوعاء الذي انتقل عبره الماء حتى وصل إلى المنزل.

فأقوى حجة عند المَلَاحِدة متهافتة وليست بتلك الصعوبة.

لكن بعض الناس تَحدُث لهم مغالطةٌ فكرية؛ فيظُنُّ أن إجابتَهُم بالطبيعة إجابةٌ قوية، وأن هناك قوانين تُمسِك هذا العالَم، وأن هناك أسبابًا وسننًا ونحو ذلك.

فمِثلُ القوانين والأسباب والسنن التي يدَّعون أنها الخالق= مِثلُ الوسائل التي وصلَ من خلالها الماء؛ وهذا في حالة معرفتهم للسبب الحقيقي، **أما هم فحتى القوانين التي عرفوها ليست صحيحة.**

لكن إذا تحدَّثنا عمَّا صحَّ من القوانين والسنن والأسباب الموجودة في الكون التي تجعل هذا الكون متماسكًا ويسير وِفقَ نظامٍ دقيق، **فهذه الأسباب والقوانين إنما هي تتعلق بكيفيات سَيرِ هذا العالَم.**

مثال ثان يُوضِّح بُطلان حجة المَلَاحِدة:

إذا تحدَّثُ شخصٌ عن مسألة حدوث الخسوف والكسوف فقال: يحدث الخسوف والكسوف عندما تأتي الأرض بين الشمس والقمر، وبدأ يتحدث عن الكيفية.

ثم لو سُئِل من الذي خلق الشمس والقمر والأرض؟

قال: هذه القوانين.

وهذا مخطئ غير مصيب؛ فما العلاقة؟ لا علاقة لها بما تبحث عنه.

لكن: كيف يحدث المغالطة في الذهن مع وضوح الخطأ وبُعدِ كلامهم عن الحق؟

أظن أنه اتضح وجه المغالطة وسينكشف الأمر أكثر.

مثال ثالث يُوضِّح بُطلان حجة المَلَاحِدة:

وهذا مثال آخر حتى تتضح كيف تحدث هذه المغالطة: لو خرجنا فوجدنا خارج المبنى سيارة فخمة وجميلة، فأردنا أن نعرف: **من صنعها؟**

فكان أحدنا عنده معرفة عن كيفية عمل السيارات وكيفية صنعها وحركتها؛ فبدأ يشرح لنا الكيفية ثم دخل في التفصيلات، وتَحدَّث ساعة كاملة عن كيفية صنع السيارة وكيف تعمل وكيف تنطلق.

وبطبيعة الحال نحن -غير المتخصصين- لا نفهم بعض الأسرار، فهو يشرح لنا عن أشياء لا خلفية لنا عنها.

ولكن يجب ألا نغفل أننا لا نسأل عن الكيفية والتفاصيل، بل نسأل عمَّن صنع السيارة؟

فأجابنا بكيف صُنِعتِ وكيف تعمل؛ فهو عندما يُجيبُ إجابةً صحيحة لكنه في غير محلِّ السؤال= **يغلَطُ ذهن المستمع، فيَظُنُّ أنه أجاب عن السؤال؛ لكون الإجابة صحيحة.**

ومثل هذا إجابة المَلَاحِدة عمَّن خلق العالَم، فتحدث المغالطة ويظنُّ الظَّان أن هؤلاء أجابوا إجابةً قوية وخطيرة، وأن سبب الإيمان بوجود الله: أنهم لم يكتشفوا هذا القانون، فلما اكتشفوه أصبح يغنيهم عن رد هذه الأمور.

معرفة كيفية الصنع ودقته تُقوي اليقين بصانعه ولا تدل على إنكار وجوده:

والواقع: أن هذا القانون إنما يزيد إيمان الإنسان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لِمَا يَرَى في هذا الكون من الدِّقة والنظام والإتقَان= فيزيدُ إيمانُه بالله، فكيف يجعلك هذا الأمر تجحد وجود الله وتنكر وجوده أو تشك في ذلك؟!

بل كلما اكتشفت هذه القوانين والسنن كلما قلت: سبحان الله، لا إله إلا الله، الحمد لله، الله أكبر، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

كيف خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا الإنسان ودَبَّره وجعله وفق هذه الكيفية حتى يعيش المُدَّة التي أرادها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذه الحياة.

فهذه القوانين والسنن والأسباب -الحَقَّة الصحيحة- تَزِيدُ من الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا تُضعِف الإيمان بالله، **بل هي أدلَّةٌ على وجود الله ﷻ.**

يقول ابن تيمية رحمه الله: "معلومٌ أنَّ الشيء لا يُوجِدُ نفسَه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكونُ موجودًا بنفسِه، بل إن حَصَلَ ما يُوجِدُه، وإلا كان معدومًا، كلُّ ما أمكن وجودُه بدلًا من عَدَمِه، وعدَمُه بدلًا عن وجودِه= فليس له من نفسِه فيه وُجودٌ ولا عدم، وهذا بَيِّن".

والخلاصة: أن هذه القوانين التي يقولون أنها: هي التي أوجدت هذا العالم.

قلنا: **إن الجواب الصحيح على هذا أن نقول: إن هذه القوانين والسنن والأسباب والكيفية جوابٌ عن: كيف، وليس جوابٌ عن: من.**

الاحتمال الثالث عند المَلَاحِدة: وهو (أن يكون الخالق مخلوق آخر)، وهذا هو التسلسل.

مثال: من خَلَقَ الإنسان؟ يقولون: خلقه أبوه، فمن خَلَقَ أباه؟ خلقه أبوه، وهكذا بالتسلسل، فيقولون: المخلوق الذي خَلَقَ هذا العالَمَ مخلوقٌ آخر، فكُلَّ مخلوقٍ يخلق مخلوقًا وهكذا!

والرد عليهم أن يقال:

هذا مستحيل؛ لِقولِنا: مخلوق وهذا يعني أنه سبُق بعدم، فهو محتاجٌ إلى من يُوجِده، **فتسلسلُ الفاعلين ممتنعٌ، وهذه ضرورة عقليَّة.**

فمعلوم بضرورةِ العقل: أن المُحدَث لا بد له من مُحدِث، وأنه يمتنع تسلسل المُحدَثات؛ بأن يكون للمحدَث محدِث، وللمحدَث محدِث إلى غير نهاية، **فهذا يسمَّى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء.**

سؤال: من خَلَق الله وتسلسل الفاعلين؟

ولذلك أفضل علاجٍ عندما يقع في نفس الإنسان سؤال: الذي خلقني هو الله، فمن خلق الله؟ -وهذا في الأصل لا يسأله إنسان، بل هي من وسوسة الشيطان-؛ لذلك العلاج أن تقول: **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.**

والسبب: أنك عندما تقول: خلقني الله، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يُسبَق بعدم= هذا تناقض.

فكيف تقول: من خلق الله وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يُسبَق بعدم ولا يلحقه فناء؟!

فنحن المخلوقات مَرجِعُنا إلى الخالق المُخالِفِ لنا في وجوده وذاته وأسمائه وصفاته، فنحن سُبِقنا بعدمٍ ويلحقُنَا فناء؛ فكنَّا محتاجين إلى من يوجِدُنا= حتى وصلنا إلى أنَّ الذي أوجدنا هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي لم يُسبَق بعدم ولا يلحقه فناء، فلا يصح أن نقول: من خلق الله؟

فهذه وسوسة من الشيطان؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يُسبَق بعدمٍ، فلا يحتاج إلى خالق، بل هو مُستَغنٍ عن الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، مُستَغنٍ عن الأب، فهو:

- ✓ الأول الذي ليس قبله شيء.
- ✓ وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.
- ✓ لم يُسبَق بعدم ولا يلحقه فناء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الاحتمال الأخير: بقِيَ أن يُقَال: إن هذا الخالِق غيرُ مُحدَثٍ، ولم يُسبَق بعدمٍ ولا يَلحقُه فناء، وهذا هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وهذا هو المطلوب إثباته.

فخلاصة الجواب عن: من هو الخالق؟

- ☒ العدم، أي: من غير خالق؛ فهو مستحيل.
- ☒ الطبيعة، أي: وُجُودُه من ذاتِه؛ وهو مستحيل.
- ☒ مخلوق آخر، أي: تسلسل الفاعلين؛ وهو مستحيل.

بقيَ احتمال: أنه الأول الذي ليس قبله شيء فهو لم يُسبَق بعدم وهو غيرُ مُحدَثٍ، مُخالِفٌ لجميع المخلوقات في وجوده وذاته وصفاته، ولا يلحقه فناء؛ فهذا هو المطلوب إثباته.

دلالة الوحي علىٰ دليل الخَلقِ والإيجَادِ:

وقد دل الوحي على هذا الذي قررناه:

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور:٣٥].

فقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾[الطور:٣٥]، يعني من غير خالق أي: العدم، وهذا باطل؛ ولذلك لا يحتاج إلى جواب.

ثم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، يعني خلقوا أنفسهم بأنفسهم، أي: وجودهم وجودٌ ذاتيٌّ طبيعي، وهذا باطل.

ثم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[الطور:٣٦]، **فذكر الله في الآية كل شبهاتهم وحججهم.**

ثم قال الله: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾، فالذي بقيَ أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلقهم ﷻ.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "هذا تقسيمٌ حاصِرٌ يقول:

- أُخلِقُوا من غير خالق خلقَهم؟ هذا ممتنع في بدائه العقول.
- أم هم خَلَقوا أنفسهم؟ هذا أشدُّ امتناعًا.

فعُلِمَ أن لهم خالقًا خَلقهم وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ".

فذكَرَ الدليل بصيغة الاستفهام الإنكاري ليُبيِّن أن هذه القضية التي استدل بها: فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن لأحد إنكارها.

فلا يمكن لصحيحِ الفطرة أن يَدَّعي وجودَ حادِث بدون مُحدِث أحدَثه، ولا يمكنُه أن يقول: هو أحدَث نفسه، **فهذا هو دليل الخَلقِ والإيجَادِ.**

خلاصة هذا الدليل:

نحن نستدل بكلِّ مخلوقٍ خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على وجود الخالق ﷻ، فتقول:

أولًا: هذا عالَمٌ مخلوق، ودليله: المشاهدة.

ثانيًا: المخلوق لا بُدَّ له من خالقٍ، ودليله: الضرورة العقليَّة.

النتيجة: العالَم لا بدَّ له من خالق.

وخالِقُ هذا العالَم لا بد أن يكونُ مخالفًا للعالَم في وجوده، لم يُسبَق بعدم ولا لحِقَه فناء، لا مثيل له في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، فلا هو مثل المخلوقات ﷻ ولا شيء من المخلوقات مثل الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هذا خالقٌ وهذا مخلوق، فبالعقل يمتنع التماثل، وهذا التماثل ممتنع شرعًا أيضا، فلا بد لهذا العالم من خالق وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الدَّرسُ الرَّابِع
أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٣)

❖ ثالثًا: دليل الإِحكَام والإِتقَان:

والفرق بين هذا الدليل والذي قبله:

أن هذا دليل في المخلوق لا من ناحية وجوده، وإنما من ناحية ما يُرَى فيه من مظاهر الإِحكَام والإِتقَان؛ فنستدل على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما نراه في كل مخلوق من مخلوقات الله، صغُر هذا المخلوق أو كَبُر سنرى فيه آثار الإِحكَام والإِتقَان.

وهذه الرؤية تختلف بحسَبِ علم الإنسان بهذا المخلوق؛ وكلُّ أهلِ تخصص وصنعةٍ وبلدٍ ينظرون إلى ما يعرفونه من مخلوقات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فكلُّ مخلوق يُرَى فيه آثار الإِحكَام والإِتقَان بحسَب كثرة علم ذلك الرائي وحسَبِ دراسته وطبيعته؛ فسيرى فيه آثار إِحكَام وإِتقَان الخلق الشيء العجيب.

أمثلة:

المثال الأول: الذين يعرفون **الجِمَال** لهم أشياء عجيبة في الاستدلال، ما في الجِمَال من خِلقَة وسنَام وخُفٍّ ونحو ذلك، فيستدِلُّون بخِلقَة هذا البعير على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

المثال الثاني: بعض الناس عند أكلِ **الموز** يقول: لا إله إلا الله سبحان الله، كيف جعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا الطعم اللذيذ وهذا المخلوق الليِّن محفوظًا في الجلد، ثم تُزِيل عنه الجلد ثم تأكل؛ فهذا لا يمكن أن يكون من صُنع الموز نفسِه بنفسِه، لا بُدَّ أن وراءَه حكيمٌ مُتقِنٌ؛ أَحكَمَه وأتقَنَه حتى جعله بهذا الشكل.

وهكذا الإِحكَام والإِتقَان يَراهُ كلٌّ في بيئته، فمنهم من يراه في:

- البحار.
- أو في الكائنات البحرية التي في البحار.
- أو في الطير.
- أو في النمل.
- أو في نفسِه.

فكلُّ مخلوقٍ من مخلوقاتِ الله لابد أن ترى فيه آثار الإِحكَام والإِتقَان، ولا يمكن أن يكون الإِتقَان هكذا من غير سبب أو يكون بذاته جَعَل نفسَه محكمًا ومُتقَنًا، **بل لا بُدَّ أن يكون وراءَه مُحكِمٌ مُتقِن هو الذي خَلَقَه بهذا الشكل، ولا يكونُ هذا المتقِن والمحكِمُ إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.**

فالمراد بدليل الإِحكَام والإِتقَان: أننا بمجرد النظر إلى أي مخلوقٍ من مخلوقاتِ الله= نستدل به على وجوده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكيف لو كان شخصًا متخصِّصًا عنده علم بما ينظر فيه؛ فسيرى فيه أشياء أخرى أعظمُ وأعجبُ.

فبمجرَّد النظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله سنشاهد فيه آثار الإِحكَام والإِتقَان؛ وهذا يدل على أن وراءَهُ خالقٌ حكيمٌ عالِم.

مُقَدّمَتَي دليلِ الإحكَام والإتقَان:

المقدمة الأولىٰ: يوجدُ إحكَامٌ وإتقَانٌ في أيِّ مخلوقٍ من مخلُوقاتِ الله.

الدليل: المشاهدةُ فهذا أمرٌ مُدرَكٌ بالحِس.

المقدمة الثانية: الإحكَام والإتقَان المُدرَك حِسًّا لا يمكن أن يكون من غير سبب، أو يوجد من ذاته.

الدليل: الضرورة العقلية.

النتيجة: وجود خالقٍ عليمٍ حكيمٍ، خَلَقَ هذه المخلوقات بهذا الإحكَام وهذا الإتقَان، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو المطلوب إثباته.

دلالة الوحي علىٰ دليل الإحكَام والإتقَان:

وقد دل الوحي على هذا الذي قررناه بأكثر من دليل:

الدليل الأول: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة:٧]؛ لأننا نرى كل مخلوق خُلِقَ على وجه الإحسان والإحكَام والإتقَان والنظام والإبداع.

الدليلُ الثاني: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٥٠].

فهو أعطى خلقه المناسب له، فترى في مخلوقات الله هذا الإحكَام والإتقَان بهذا الشكل العجيب.

الدليل الثالث: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [النمل:٨٨]؛ فهذا الإتقَان الموجود في كل مخلوقات الله يدلُّ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى أنه صُنعُ الله ﷻ.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك ومنها:

مثال: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؛ فانظر إلى **العينين** في نفسك: أين أوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

أوجدها في مُقدِّمة الرأس وجَعَلَ فيها تجويفًا؛ حتى تكون في مَأمَن، ثم انظر إلى المكان الذي خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العينين فيهما وكيف حماهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأجفان، وزيَّنهما بالحواجب والرموش، فهذه آية من آيات الله، وهي بحدِّ ذاتها تُثبِت لك وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي المقابل:

- لو كانت العينان في البطن لعالج من الصعوبة الشيء الكثير، فقد يتأذى إن كان في الزحام يتدافع من خلفه ومن ورائه.
- أو لو كانت العين من الخلف فكيف يمشي أمامه وعينيه في الخلف؟!

فهذه أمور يسيرة سهلة لا يملك الإنسان وهو يتأملها إلا أن يقول: سبحان الله، لا إله إلا الله.

مثال ثان: تأمَّل في خلق **الأذنَين** وفي طريقة الخلق وكيف جوَّفها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بحيث إذا جاء الكلام يصل إلى الأذن يلف كالحلزون، ثم يصل بهدوء إلى الأذن، وجعلها في الجانبين للرأس حتى يسمع الإنسان الكلام.

مثال ثالث: تأمل في خلق **الفم** وما فيه من الأسنان واللسان وكيف حماه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالشَّفَتَين، فلو كان الإنسان بلا شفتين وأَكَلَ كيف ستكون أسنانه وظهورها أمام الناس؟!

فهذا شيء عجيب لا يملك الإنسان إلا أن يقول: لا إله إلا الله.

مثال رابع: تأمل في خلق **اليد** وكيف جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأربع أصابع في جهة وجعل الإبهام في جهة؛ بحيث تُحكِم وتُتقِن أخذ الأشياء.

فهذا الإحكَام والإتقَان في خلق الإنسان.

مثال خامس: تأمل في خلق الجَمَل وكيف جعل للجَمَل هذا الخف حتى يسير في الصحراء، ولو لم يكن الجَمَل وفق هذا الإِحكَام والإِتقَان وكان له حَافرٌ فسيغوص في الصحراء.

مثال سادس: انظُر إلى المَاعِز كيف جعل لها حَافرًا ولم يجعل لها خُفًّا؛ حتى تصعد الجبال.

أمثلة أخرى: تأمل في خلق الطيور والنحل وخلق الأسماك، وفي خلق الحيوانات البحرية وخلق الشمس، وكيف خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **فالشمس** لو اقتربت قليلًا عمَّا هي عليه لما أمكننا العيش ولمات الناس، ولو ابتعدت قليلًا عمَّا هي عليه لتجمَّدت البحار وفسدت الحياة.
- ولو اقترب **القمر** عما هو عليه الآن لطغى الماء، ولو ابتعد قليلًا عما هو عليه لحدث الجَزْرُ وجفَّت البحار وماتت الكائنات البحرية.
- ولو زادت نسبة **الأكسجين** عمّا هي عليه الآن لما استطعت أن تُشعِلَ الثِّقَابَ بل سيحدث انفجار، ولو قلّت قليلًا عمّا هي عليه الآن لما استطعنا التَّنفُّس.

فهل هذا كله صدفة؟

وهل هذا من غيرِ حكيمٍ مبدِعٍ متقنٍ لطيفٍ خَبِيرٍ؟

لا يمكن ذلك.

❖ رابعًا: دليل التَّخصِيص:

وهذا نوع من أنواع الإِحكَام والإِتقَان.

مقدِّمَتي دليل التَّخصِيص:

المقدمة الأولىٰ: أنه يوجد في المخلوق خواصٌّ مميزةٌ له عن غيره:

وهذا سواء في كلِّه أو أجزاءٍ منه أو في عضوٍ من أعضائه، فلو لم يكن هذا المخلوقُ مخلوقًا بهذه الخواص المعينة لفَسَد.

والدليل: المشاهدة.

مثال: الماء الذي نشربه خَصَّه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذا الطَّعم العَذْب، لو لم يكن كذلك لما استطعنا أن نشربه؛ فالتَّخصِيص بأن جعل ماء النهر وماء المطر عذبًا، وجعل ماء البحر بتلك الملوحة، كلٌّ يستفاد منه في محله.

فهذا علمناه بالمشاهدةِ أن الله خَصَّ بعض المخلوقات -كاملًا أو جزءًا منه- بأن جعله على هيئة مخصوصة؛ بحيث لو لم يكن بهذه الخواص لفسد.

المقدمة الثانية: هذا التَّخصِيص المُدرَك حِسًّا لا يمكن أن يكون من غير سبب ولا يمكن أن يوجد له لذاته:

والمقصود بهذا: أن هذا التَّخصِيص المُدرَك حِسًّا لا يمكن أن يكون من غير سبب ولا يمكن أن يوجد له لذاته فهي ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالقٍ عليمٍ حكيمٍ، خَلَقَ المخلوقات بهذه الخواص:

- ✓ ليتحقَّقَ في الكون النِّظام.
- ✓ وينتفي عنه الاضطراب والتَّناقض.

هذا الخالق العليم هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا هو المطلوب إثباته.

فمعنى دليل التَّخصِيص بعبارة أخرى:

أ. **أن كلَّ مخلوقٍ قد خُصَّ بشكلٍ وهيئةٍ ومقادِيرٍ محدَّدةٍ**؛ بها يظهر التفاوت بينه وبين مخلوق آخر، وكذلك أعضاء المخلوق الواحد قد خُصَّ كلٌّ منها بوظيفة وهيئة مختلفة عن بقية الأعضاء.

ب. **يجوز عقلًا أن يكونَ ذلك المخلوقُ أو العُضو على خِلافِ الصُّورة التي هو عليها الآن.**

فالنتيجة: أن تخصِيصَ المخلوقِ أو العُضوِ بصورته التي هو عليها الآن= يحتاج إلى مخصِّص؛ وهذا المخصِّص لا يمكن أن يكونَ:

- ☒ جامدًا لا حياة فيه.
- ☒ أو جاهلًا لا يعلم ولا يعقل.

فهذه ضرورة عقلية: لا بُدَّ أن يكون المخصِّص عليمًا حكيمًا، عَلِمَ خصوصِيَّات الأشياء وما يصلح لكلٍّ منها، فصَوَّرَهَا وِفقَ علمِه وحكمتِه على هذه الأوجه المخصُوصَة المُتقَنَة.

وهذا هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

دلالة الوحي علىٰ دليل التَّخصِيص:

فالمستند الشرعي لهذا الدليل: يكمنُ في الآيات القرآنيَّة التي تدلُّ على إمكان تحوُّل المخلوقاتِ إلى مقاديرَ وصفاتٍ مُضادَّةٍ تمامًا لما هي عليه الآن، ولو تَحوَّلت لن تكون صالحة؛ **فتخصيصها**

بصفاتها التي هي عليها الآن؛ لتكون نافعة= دالة على مَشِيئَةٍ مُخصِّصٍ مُتَّصِفٍ بالعلم والحكمة وهو الله.

ومن تلك الأدلة ما يأتي:

الدليل الأول: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:٦٥]، فيمكن أن يكون هذا النبات حطامًا، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يجعله كذلك؛ من أجل أن يستفيد الناس منه.

الدليل الثاني: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]، إلى آخر الآيات.

فمن الملاحظ في خلق الماء التخصيص: فهو في الإنسان يوجد في العين وفي الفم وفي الأذن، لكن هناك اختلافٌ بَينَ هذه المياه:

- **فماء العين مالح**، ويمكن أن يكون عذبًا، ولو كان لما استطاعت العين البقاء سالمةً فترةً طويلة؛ فستفسد وتذوب تنتهي.

لكن من الذي جعل هذا العين -مثل السمكة- تعيش في المالح؛ فتبقى محفوظة؟

فماء العين مالحٌ حتى تُحفَظَ هذه العين.

- **وماء الفمِ عذبٌ**، ويمكن أن يكون مالحًا، ولو كان لما استعذبنا الشاي ولا استفدنا من الطعام ولا كان لنا أكلًا حلالًا.
- **وماء الأُذن مُرٌّ**، ويمكن أن يكون عذبًا، ولو كان لتوجَّهتِ الذباب والحشرات ودخلت في أذن الإنسان، فجعل الله ماء الأذن مرًّا يبعَثُ رائحةً لا يكاد يشمها الإنسان، فإذا اقتربت الحشرات نفَرَتْ من هذه الرائحة.

فهل هذا التَّخصِيص للأعضاء؛ بأن يكون ماء العين مالحًا وماءُ الفَمِ عذبًا وماء الأُذن مُرًّا، يكونُ من غير سبب؟

أو يكون لها لذاتها؟

لا يمكن ذلك، بل لا بدَّ أن يكونَ وراءَهَا مُخصِّصٌ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❖ خامسًا: دليل التَّقدِير:

والفرق بين هذا والذي سبق: أن هذا دليل بالنظر إلى هذه المخلوقات، أي: أن نرى أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أقدر هذا العضو على أن يقوم بهذا الأمر، أو جعله وِفقَ مِقدارٍ وطول وحجم ووزن وشكل مُعَيَّن.

وَجهَيْ دليل التَّقدِير:

تقدير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأشياء على وجهين:

الوجه الأول: إعطاؤها القدرة على ما أقدرها عليهم.

الوجه الثاني: جعلها على مقدارٍ ووجه مخصوص دونَ زيادَةٍ أو نقصان، وِفقَ حكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالمراد بهذا الدليل: أن نستدل بما نراه في النفس وما نراه في الآفاق من التَّقدِير المُشاهد فيها على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

مُقدّمتَي دليل التَّقدِير:

المقدمة الأولىٰ:

وُجُودُ مظاهِرِ التَّقدِير دون زيادة أو نقصان في أي مخلوقٍ من مخلوقاتِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الأدلة على ذلك:

- قال الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].
- وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢].
- وقال ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[المؤمنون:١٨].

- وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]
- وقال الله ﷻ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[عبس:١٩].
- وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩].

وهذا التَّقدِير سواءً في:

- تقديرِ المخلوقات على القيام بما فيه نفع لهم.
- أو أن جعلها وفق بعضها البعض، أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل هذا المخلوق وفق حجم معين بلون وشكل معين، حتى يُنتَفَع به.

وهذا التَّقدِير مُدرَكٌ مشاهد حسًّا.

المقدمة الثانية:

أن هذا التَّقدِير المتقن المحكم المدرك حسًّا لا يمكن أن يكون بغير سبب، ولا يمكن أن يوجد لذاته، وهذه ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالق عليم حكيم خَلَقَ المخلوقات بهذا التَّقدِير المحكم المتقن، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا هو المطلوب إثباته.

أمثلة على التقدير:

مثال: يمكن أن نتأمل في **خلق المطر**؛ إذ يخلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويجعل له وزنًا معينًا، وينزل من السماء من العلو، ثم من السحاب وينزل على الأرض= فنحن نستطيع أن نخرج في هذا المطر ونعرض أجسامنا ونعرض رؤوسنا ونعرض أنفسنا لهذا المطر ونستمتع به، مع أن هذا المطر يأتي من هذه المسافة الكبيرة.

ولو قدَّر الله لهذا المطر بأن يجعل حجمه أكبر مما هو عليه الآن؛ لكان مثل الحجارة فيتحوَّل إلى ضررٍ وعذاب.

فمثلًا: الطيور إذا ارتفعت وأخذت الحجارة ثم أفلتتها؛ لخرقت الناس حتى كانوا كالعصف المأكول أي: كالورقة عندما تأتي الدودة تأكلها وتخرقها= مثل ذلك عندما نزلت على أولئك الحجارة فخرقتهم فأصبحوا كالعصف المأكول.

مثال ثان: خلق البرَد؛ فالبرَد يجعله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بحجم متناسب، ولو زاد حجمه لأصبح نوعًا من أنواع العذاب؛ فيحطم للناس سياراتهم ومنازلهم ويؤذيهم لو زاد عن حجمه الذي أراده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

مثال ثالث: وحتى نرى هذا التقدير وحتى نعلم نعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علينا: انظروا إلى تلك المناطق التي ينزل عليهم **الجليد** لا يضرهم وأيضا يستطيعون السير والحركة يسخن الجو والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُكيِّف لهم الحياة فيعيشوا.

مثال رابع: كل مخلوق سترى فيه آثار تقدير أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ إذ يجعله بهذا **الحجم** بحيث ينتفع هو بجسمه وبحجمه، وينتفع به الآخرون؛ فتجد بعض الدواب صغيرة جدًّا لا تكاد تُرى، وبعضها كبيرة الحجم، وهذه لها فوائد وهذه لها فوائد.

وهذا من حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الدَّرسُ الخَامِس
أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٤)

خلاصة الأدلة السابقة:

الدليل الأول هو: **دليل الفطرة**؛ وهو أقوى دليل نُثبت به وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❖ الإِلحَاد ليس قائما علىٰ وجود أدلة تنكر وجود الله بل لعوامل خارجية:

وهؤلاء الذين ينكرون وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يوجد لديهم دليلًا في الحقيقة، ولا يوجد لديهم إلا ما يُعارض فِطَرَهُم.

مثال: لا نجد شخصًا عاقلًا يقول: هذه الغرفة بَنَت نفسَها بنفسها، هل يمكن أن يكون هناك عاقل يزعم أن مواد البناء جاءت تركض بنفسها، ثم ركَّبَت بعضَها بعضًا فكوَّنَت الجدار، ثم وَضَعَت السقف، ثم أكملت البناء؟ لا يمكن أن يقول بهذا عاقل.

فإذا وجدنا عاقلًا ليس بمجنونٍ يُنكِر أن يكون لهذه الغرفة بنَّاءً ويقول: هذه الغرفة بَنَت نفسَها بنفسِها، ويكون هذا الشخص مثلًا مهندسًا أو طبيبًا= فنستغرب منه كلَّ الاستغراب؛ فنحن لن نناقشه ولن نأتيَ بأدلة نثبت من خلالها أن لهذه الغرفة بانٍ، وإنما نناقش: **ما الذي دعاه إلى القول بأن هذه الغرفة لم يَبنِها بانٍ.**

عوامل إنكار وجود الله تعالىٰ:

لا بد أن يكون هنالك عوامل ودواعٍ دعته؛ إذا كان عاقلا مثلا مهندسا أو طبيبا، **والذي قد يدعو شخصًا إلى الإنكار بهذه الصورة أحد أمرين:**

١. **إما أنه ضُغِطَ عليه حتى قال بهذا القول**؛ بحيث أنه جعل له خيارين:

أولهما: أن يقول: إن هذه الغرفة بنت نفسها بنفسها.

الثاني: أن يقول: إن هذا الشخص الفلاني هو الذي بنى هذه الغرفة؛ فإذا نظرنا فيه وجدنا أن البَانِي المُشار إليه مشلولٌ شللًا كاملًا، لا يتحرك فيه إلا رأسه.

فلما كان كذلك اختار هذا المُنكِر الشيء الأعظم والأسوأ: أن الغرفة بَنَت نفسها بنفسها، ويستحيل أن يكون هذا الشخص المشلول هو الذي بَنَاها.

إذًا: لم يكن هناك خيار إلا أن يجحَدَ الشخصَ العاجزَ عن الحركة ويقول: بَنَتْ نفسها بنفسها.

فهو في الحقيقة غير مقتنع بهذا لكنه يرى أنه لا خيار عنده.

٢. **ويحتمل أنه عندما أراد أن يدخل هذه الغرفة قيل له: إن الذي بنى هذه الغرفة وضع نظامًا لمن يريد الدخول إليها**، فإذا أردت أن تدخل هذه الغرفة لا بد أن تدفع عشرة آلاف ريال.

فعندها سيقول هذا المُنكِر: أنا لا أعترف بأن هذا الشخص بناها، بل هذه الغرفة بنت نفسها بنفسها؛ وذلك فرارًا من الالتزام بالنظام الذي وضعه صاحب الغرفة.

وهذا حال غالب هؤلاء الذين ينكرون وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا فكيف يقول هؤلاء: إن هذا الكون بِسمائِه وأرضِه وشمسِه وقمرِه ونجومِه أوجدَ نفسَهُ بنفسِه؟ أو أنها وُجِدَت من غيرِ مُوجِد؟!

هذا لا يقول به عاقل في غرفة، فكيف بهذا الكون بأكملِه بشمسِه وقمرِه ونجومِه.

إذًا؛ نجد أن سبب هذه المقولة التي تخالف كل عاقل يعود إلى أحد سَبَبين:

السبب الأول: الصورة التي قُدِّمَت لهم عن هذا الخالق، فقالوا: إنه عيسى ابن مريم، وهو بشرٌ خرج من بطن امرأة، وكان يأكل ويشرب ويُؤذَى.

وهم يرون أنه لا يمكن أن يكون خالق هذا الكون بشرًا؛ فالخيار والبديل عندهم: أن هذا الكون أوجَدَ نفسَه بنفسِه.

السبب الثاني: أن هذه الشريعة النصرانيَّة المحرفة فيها تعذيب للبدن؛ وفيها إفسادٌ للدنيا وللحضارة وفيها أمور أُخَر، فإذا قالوا: إن خالق هذا العالَم هو هذا الإله= لزمهم الالتزام بالشريعة التي نُسِبَت إليه -فهذه الشريعة لم ينزِّلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإنما شريعة مبتدعة من تلقاء أنفسهم-.

القوَّتَان العلميَّة الإرادية الفطريتان تقرران وجود الله:

فالمقصود: أن هذا مُخالِفٌ للفطرة؛ لذلك فإنَّ فطرةَ أيِّ إنسانٍ تشهَدُ بأن لهذا الكون خالقًا، فالقوة العلميَّة والقوة الإرادية التي خلقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الإنسان تشهد بهذا من غيرِ أن نحتاج إلى استدلال ونظر.

فالقوة العلميَّة هي:

أن الإنسان عندما يرى هذا الكون يقول: لا بد له من خالق، هذا الخالق واحد وهو الذي يُشكَرُ على هذا الخلق.

والقوة الإرادية هي:

أن هذا الخالق تجبُ محبَّتُه وتجبُ طاعتُه وإخلاصُ العبُودِيَّةِ له.

فهاتان قوَّتان داخل كلِّ إنسانٍ سَوِيٍّ عاقلٍ؛ فحتى لو تدَخَّل الأبوان والتربية وتدخَّل كِبَارُ المَلَاحِدة وأرادوا الإفساد= تبقى الفطرةُ موجودةً داخِلَ كلِّ إنسانٍ، فلا يقبل هذا أي:

- أن يكون هذا الكون من غير خالق.
- أو أن وُجودَه ذاتيٌّ؛ أوجَدَ نفسَه بنفسِه.

فلا يقبل به عاقل، **بل يعلم كل عاقلٍ أنَّ هذا الخالق المنفرد بالخلق:**

- لا بد من طاعته.
- ولا بد من شكره.

ولا يمكن أن يكونَ:

- خَلَقَ هذا الخَلقِ ثم تَرَكه.
- أو أنه خَلَقَه عبثًا.

فالقوةُ العلميَّة والقوةُ الإراديَّة التي أودعها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في نفسِ كلِّ إنسانٍ تَشهَدُ بأن هذا الكون لا بد له من خالِق، وهذا الخالق:

- ✓ واحدٌ له الكمال المطلق وله الأسماء الحُسنَى والصفات العلى.
- ✓ وتجبُ محبته وقصدُه بالعبادة.

ثم تأتي بعد ذلك الشريعة الإسلامية فتفصِّل كيف تكون هذه العبادة.

ويُستدل بدليل الفطرة على وجود الله أن يُقال: إن الإقرار بوجود الله وبوحدانيته أمرٌ مفروضٌ على الذهن فرضًا، لا يحتاج فيه إلى نظر ولا استدلال.

الدليل الثاني من أدلة وجود الله: دليل الخَلقِ والإيجَادِ:

وسبق أن كل مخلوق على حِدَة هو دليلٌ على الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فهذا المخلوق الذي وُجِدَ بعدَ عدمٍ ويعدَمُ بعدَ وُجودِه= لا بُدَّ له من مُوجِد؛ وهذا هو: **قانون السببية**.

وقانون السببية قانون فطريٌّ في الإنسان؛ فمنذ أن يُصبِحَ الإنسانُ مميِّزًا ويعقِل= يكون قانون السببية عنده واضحًا تمامًا وهو: **أن الفِعلَ الحَادث لا بُدَّ له من مُحدِث**.

الخلاصة: هذا العالَم مخلوق والدليل: المشاهدة؛ والمخلوق لا بُدَّ له من خالِق؛ ضرورةً عقليَّة، إذًا= **العالم لا بد له من خالِق.**

وهذا الخالق:

☒ إما أن يكون العدم؛ فيكون العالَم من غير خالق.

☒ أو أن يكونَ وُجودُه ذاتيًّا؛ أي: بالقوانين والأسباب.

☒ أو يكونَ وُجِد بتسلسل الفاعلين.

وهذا مستحيل، وذلك للعِلَلِ الآتية:

الأول: العدم؛ وهو تناقض مستحيلٌ؛ لأنه تراجُع، فالقول: بأن هذا العالم لا بُدَّ له من خالقٍ ثم القول: لا يوجد له خالق، قولٌ متناقض باطل.

الثاني: أنَّ وجودَه ذاتيٌّ، أي: أوجَد نفسَه بنفسِه، وقد كان معدومًا فكيف أوجَدَ نفسَه بنفسِه؟!

فالوجود الذاتي مستحيل؛ لأن هذا الموجِد مخلوق، إذن لا بد له من خالق.

الثالث: تسلسُل الفَاعِلين، وهو مستحيلٌ عقلًا، ولا بُدَّ أن يكون هذا الفاعل منتَهٍ إلى فاعلٍ مُخالِفٍ للمخلوقات:

- ✓ في وجوده.
- ✓ ولم يُسبَق بعدم.
- ✓ ولا يلحقه فناء.

فهذا هو الاحتمال الرابع والأخير وهو:

أن لهذا الكونِ وهذه المخلوقات خَالِق، وهو مُخالِف في وجوده وأسمائه وصفاته لهذه المخلوقات؛ فلم يُسبَق بعدَمٍ ولا يَلحقُه فَنَاء، ولا مَثِيلَ له في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا دليل الخَلقِ والإيجَادِ.

الدليل الثالث: دليل الإحكَام والإتقَان:

وهو في المخلوق نفسِه؛ ننظرُ فنرَى في ذاتِ المخلوق **آثار الإحكَام وآثار الإتقَان**، وآثار إحسان الخلق الذي فيه.

فالمقدمة الأولى: أن آثار الإحكَام والإتقَان والإحسان والاعتناء موجودٌ في كلِّ مخلوقٍ مهما صَغُر أو كَبُر.

والدليل: المشاهدة، فهذا الإِحكَام والإِتقَان والإحسان الموجود في هذا المخلوق لا يمكن أن يكون:

- من غيرِ سببٍ.
- أو يكون هذا الإحسان والإِتقَان حصل بذاته من تلقاء نفسه.

وهذه ضرورةٌ عقليَّة، فهو ممتَنِعٌ بضرورة العقل.

فبقِيَ أن يكونَ وراءَ هذا الإحسانِ والإِتقَان والإبداعِ والاعتناءِ: حكيمٌ مُتقِنٌ مُحسِنٌ، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو المطلوب إثباته.

الدليل الرابع: دليلُ التَّخصِيص:

وهو يدخل ضمن الإِحكَام والإِتقَان، لكن نبرِزُه لأهميته.

والمقصود بالتخصيص: أن يُخصِّصَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك العضو أو ذلك المخلوق بخصائِص، ويمكن أن يكون على غير هذه الخصائص، لكنَّه لو كان على غيرِ تلكَ الخصائِص لفَسَدَ ذلك العضو= فدَلَّ ذلك على أن هناك مُخصِّصٌ خَصَّه بهذا لحكمَةٍ يُريدُها، وهذا المُخصِّصُ عليمٌ حكيمٌ مُتقِنٌ خالقٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو الله ﷻ.

ومن أمثلة ذلك:

- ماء العين.
- ماء الفم.
- ماء الأذن وهكذا.

الدليل الخامس: دليلُ التَّقدِير:

وهو قريبٌ من دليلِ التَّخصِيص، وقريبٌ من دليلِ الإِحكَام والإِتقَان، **لكن له ميزة أخرى وهي:**

أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جَعَلَ ذلك المخلوق أو العضو ذاتَ قدرةٍ معينة يستطيع أن يُؤدِّي بها ما أُنِيطَ به من مهامٍ في هذه الحياة، وهذه القدرة التي أعطاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إياها جَعَلَ لها وزنًا معينًا ومقدارًا لا يزيد عنه ولا ينقص.

ولو زادَ هذا المقدار أو نَقَصَ:

- لما استطاع ذلك العضو أو ذلك المخلوق أن يُؤدِّي ما أوجده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أجله.
- أو لتحوَّل ذلك إلى نوعٍ من أنواع العذاب.

مثال: **المطر** الذي ينزل من السماء له مقدارٌ ووزنٌ معين، لو زاد عن ذلك لأَضَرَّ بالناس، ولو قلَّ عن ذلك لما وصل إلى الأرض.

فهذا دليلٌ يُسمى **دليل التَّقدِير** أي: جعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمخلوق قدرةً وِفقَ مقدارٍ معين لا يزيد عنه ولا ينقص.

وهذه خلاصة الأدلَّة الخمس التي سبق ذكرها.

❖ سادسًا: دليل دلائل النبوة:

وهذا دليلٌ مليءٌ بالأدلة؛ فكلُّ دليلٍ دلَّ على صِدقِ الرسول ﷺ وأنه مُرسَلٌ من عند الله ﷻ= فهو دالٌّ على وجود الله؛ لأن الذي أعطى هذا الدليل ليُثبِتَ أنه رسول الله هو الله؛ **فأصبح كلُّ دليلٍ يُستَدَلُّ به على صدق رسالة النبي ﷺ وعلى صدق دعوته= يدلُّ على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.**

ومن ذلك الآيات والبراهين التي أتى بها الأنبياء؛ ليُثبِتُوا بها أنهم رسُلُ الله.

أمثلة ذلك:

- إجابة دعوات الأنبياء.
- النصر على الأعداء.
- الدين الذي جاء به كل نبي.
- شخصية كل نبي.
- المبشرات في الكتب السابقة.

هذه كلها تدل على نبوة النبي ﷺ، وفي الوقت ذاته تدل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أمثلة لبعض دلائل النبوة الدالة علىٰ وجود الله:

المثال الأول: دلائل النبوة في قصة أبي هريرة رضي الله عنه:

روى البخاري بسنده عن مجاهد، أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: "والله الذي لا إله إلا هو؛ إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأَشُدُّ الحَجَر على بطني من الجوع"، فأبو هريرة كان من فقراء الصحابة رضي الله عنهم، فيذكر ما أصابه من الجوع، وفي فترةٍ كان الجوع قد أصاب كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم، وأصاب رسول الله ﷺ.

يقول أبو هريرة: "ولقد قعدت يومًا على طريقهم -على ممشى الصحابة- الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر ﷺ، فسألتُه عن آيةٍ بكتاب الله، ما سألتُه إلا ليُشبِعَني، فمرَّ ولم يفعل -وقد يكون أبو بكر أدرك أنه محتاج لكن ليس عنده شيء-، ثم مرَّ بي عمر ﷺ فسألتُه عن آيةٍ من كتاب الله، ما سألتُه إلا ليُشبِعَني، فمَرَّ ولم يفعل، ثم مَرَّ بي أبو القاسم ﷺ، فتبَسَّم حين رآني، وعَرَف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: "أبا هِر"، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول الله، قال: "إلحق"، ومضى فتبِعتُه فدَخَل فاستأذن -أي: دخل بيتَه فاستأذن لأبي هريرة- فأُذِنَ لي، فدَخَلَ فوجَدَ لبنًا في قَدَحٍ، فقال ﷺ لأهلِ بيتِه: "من أين هذا اللبن؟" قالوا: "أهداه لك فلان أو فلان"، فقال ﷺ: "أبا هِرّ"، قلتُ: "لبَّيك يا رسول الله".

فأبو هريرة الآن يظُنُّ أنه سيُعطِيه هذا القدح من اللبن حتى يشربَ منه، قال: "إلحق إلى أهل الصُّفَّة فادعُهُم".

وأهل الصُّفة هم: أناسٌ كانوا يأتونَ من مسافاتٍ بعيدة من أجل طلب العلم عند رسول الله ﷺ، ثم يعودون إلى أهلهم يُعلِّمونَهُم، فكانوا يجتمعون في مؤخرَةِ المسجد، فأُطلِقَ عليهم: أهل الصُّفة.

قال أبو هريرة يشرح من هم أهل الصُّفة:

"أضيافُ الإسلام، لا يَؤوُن إلى أهل ولا مال ولا على أحد"، ثم يحكي ويقول: "إذا أتَته صدقة بعَثَ بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها".

يقول أبو هريرة: "فساءَني ذلك"، فهو يُخبِرُ بما وَقَع في نفسه أنه ما سُرَّ أن يأتي بأولئك؛ لأنه بنفسه يكادُ يتلوَّى من شدة الجوع، وهذا قدحُ لبنٍ، قال: "فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنتُ أحَقُّ أن أصيبَ من هذا اللبن شربةً أتقوَّى بها"!

قال: "فإذا جاء أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن"، يقول: "ولم يَكُن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ"، يقول: "فأتيتُهم فدعوتُهم فأقبَلُوا فاستأذنوا فأَذِنَ لهم ﷺ وأخذوا مجالسهم من البيت".

قال ﷺ: "يا أبا هِرّ"، قلتُ: "لبيك يا رسول الله"، قال ﷺ: "خُذ فأَعطِهم".

قال: "فأَخَذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجل، فيَشرَبُ حتى يروى، ثم يردّ عليَّ القدح فأعطيه الرجل فيَشرَب حتى يَروى، ثم يرُدُّ عليَّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد رويَ القومُ كلُّهم، فأخذ القدحَ فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال ﷺ: "أبا هِرّ"، قلتُ: "لبَّيكَ يا رسول الله"، قال: "بقيتُ أنا وأنت"، قلتُ: "صدقتَ يا رسول الله"، قال ﷺ: "اقعد فاشرب"، فقعدتُ فشربتُ، فقال ﷺ: "اشرب"، فشربتُ: فما زال يقول: "اشرب" حتى قلتُ: "والذي بعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا"، قال: ﷺ: "فأَرِنِي" فَأَعطيْتُهُ القَدَحَ، فحَمِدَ الله وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ"(١).

الدلائل في هذه القصة دلائل كثيرة:

أولًا: الدلائل التي في شخصيته ﷺ؛ فشخصِيَّته ليست:

☒ شخصية ملِكٍ من الملوك.

☒ ولا شخصية زعيم من الزعماء.

☒ ولا شخصية جبار.

☒ ولا شخصية ساحر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

إنما هذه شخصية نبيٍّ قطعًا، ومن ذلك:

✓ **تبسُّمه** حين رآه وحين سقاه، فهذا التبسُّم يكونُ من شخصٍ يعطِفُ على هذا الفقير فيتبسَّم حين يَرَاه وحين يَسقِيه.

✓ **الكرم بلبنٍ مُهدًى له ﷺ**؛ فهو ليس عنده شيء سواه، ثم يأتي ويطلبُ أهلَ الصُّفةِ ويُكرِمهم بهذا اللبن.

فهذا لا يمكن أن يفعله ملِكٌ من الملوك ولا زعيمٌ ولا حتَّى آحادُ الناس، فهو ﷺ:

- أصابه من الجوع ما أصاب أبا هريرة، ومع هذا يُكرِمُ بهذا اللبن أضيافَ الإسلام.
- ثم يستضيفُ أبا هريرة وهو فقيرٌ معدَم، فيستضيفه ﷺ في بيتِه، ثم يشربُ النبي ﷺ آخرَ القوم.
- وما قال ﷺ مثلًا: آخُذُ لي شيئًا من الكأس أعزِلُها لنفسي، لكن النبي ﷺ يشربُ آخر القوم.
- ويشرب من الإناء نفسِه الذي سَبَقَه الفقراء في الشرب منه.

فهذه هي شخصية النبي ﷺ.

ثانيًا: قولُ أبو هريرة ﷺ: "والذي بعثك بالحق"؛ وذلك لِمَا رأى في دعوة النبي ﷺ من الدلائل على صدقه، ومن ذلك:

- الأمر بالتَّوحِيد.
- وحسن الخلق.
- وإطعام الطعام.
- وإكرام الضيف.

فها هو ﷺ يُكرِم أبا هريرة ويضيِّفُ أهلَ الصُّفة.

ثالثًا: في هذه القِصَّة آياتٌ تدل على صدق النبي ﷺ، وهي تدل على وجود الله.

مثال: المبشِّرات في الكتب السابقة؛ إذ قال أبو هريرة: "إذا أتته صدقة بَعَثَ بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصابَ منها"، أي: كان النبي ﷺ يأكلُ الهديَّة ولا يأكل الصدقة.

رابعًا: من الآيات التي أَجرَاهَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على يديه: القدح الذي فيه لبنٌ، وكان لا يكفي شخصًا، فكثَّره الله على يديه حتى يشرب الجميع، ويشرب أبو هريرة رضي الله عنه حتى لا يجد له مسلكًا؛ فما يملك نفسَه حتى يُقسِم بالله ويَشهَد للنبي ﷺ بالرسالة، ويَشهَد لدينه بأنه حقّ وصدق.

المقصود: هذه الآيات والدلائل على صدق النبي ﷺ من:

- شخصيته.
- ودعوته.
- والآيات المبشِّرات.
- وإجابة الدعاء.

فكلُّ هذه الآيات تدلُّ على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الذي أعطاه هذه الآيات هو الله ﷻ.

المثال الثاني: دلائل النبوة في آية الأعراف:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

أولًا: هذا أول دليل من دلائل نبوة نبينا ﷺ المذكورة في هذا النص: **أنه أُمِّيٌّ ويأتي بهذا القرآن المعجِز في نظمِه وفي موضُوعاتِه**، وهذا لا يمكن أن يأتي به أُميٌّ؛ ولذلك الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨].

بل النبي ﷺ بَلَغَ في الأُمِّيَّة مبلغًا عظيمًا، أراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذلك له حتى يكون هذا القرآن من أعظم الأدلة على نبوة نبينا محمد ﷺ.

فهذا القرآن الذي يُتلَى على الناس في كلِّ حين، وموجودٌ في كل زمان، ويتلوه الناس= لا يمكن أن يُؤَلِّفَه بشرٌ بهذا النَّظم، ثم بهذه المعلومات التي اشتملت على أخبار ما سبق، وأخبار ما سيكون.

هذا لا يمكن أن يكون إلا من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: ثم قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فهذه مبشِّرات من الكتب السابقة بذكر صفاته، وهذا نوع آخر من دلائل النبوة الدالة على وجود الله.

ثالثًا: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فهذا الدين الذي جاء به بما فيه من عقائد وشرائع وأوامر ونواهي وتحليل وتحريم آية أخرى من آيات النبوة الدالة على وجود الله.

رابعًا: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فهذا النصر على الأعداء، والفلاح في الدنيا وفي الآخرة لهؤلاء الأتبَاع كذلك نوع آخر من دلائل النبوة الدالة على وجود الله.

فهذه كلها من الدلائل على صدق نبوة نبينا ﷺ= وهي أدلة على وجود الله.

المثال الثالث: دلائل النبوة في قصة أنس ﷺ:

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن أعرابيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: "يا رسول الله، هلَكَ المال وجاع العيال فادعُ الله لنا"، فرفع يديه ودعا فَثَارَ السَّحاب أمثال الجبال، يقول أنس بن مالك: "فلم ينزل عن منبره ﷺ حتى رأيت المطر يَتَحَادر على لحيته".

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: "يا رسول الله تهدَّم البناء وغرق المال، فادعُ الله لنا"، فرفع يديه وقال: "**اللهم حَوالَينا ولا عَلينَا**"، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت"[1].

فكون الله يجيب دعوته مباشرة، من الأدلة على صدق نبوته= وهذا يدل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

❖ سابعًا: دليل مكارم الأخلاق:

هذا الدليل من الأدلة التي تغيظ هؤلاء المَلَاحِدة وتُتعِبُهم جدًّا؛ لأن المَلَاحِدة يدعون الناس إلى الالتزام بمكارم الأخلاق ويرون أن بها تصلُح حياة الناس وتصلح الحياة الاجتماعية.

أمثلة ذلك:

- ✓ العدل.
- ✓ الصدق.
- ✓ الاحترام.
- ✓ الأمانة.

فيرون أن هذه الأخلاق الاجتماعية هي مِلَاطُ المجتمع التي تؤدِّي إلى تماسكه، **ولكن هذه الأخلاق تدل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من عدة جوانب على النحو الآتي:**

أولًا: مكارمُ الأخلاق من الخيرِ الواجبِ التزامُه، ويدل على ذلك الوازع الفطري؛ حيث فطرها الخالق على ذلك؛ وإلا فمن أوجد في الإنسان هذه الفطرة.

ثانيًا: صاحبُ مكارِمِ الأخلاق من الواجب ثوابه، وسيءُ الأخلاق من الواجب عقابه، **والدليل: الضرورة العقلية.**

لكننا أحيانًا نجِد أن هذا لا يحصل في هذه الدنيا، بل نجد أن صاحب مكارم الأخلاق يخسر ويهان، وأن صاحب الأخلاق السيئة يُكرَّم ويكسَب، وهذا مخالفٌ للعقلانية.

النتيجة: أن الإنسان بين أحد ثلاثة أحوال:

- إما أن نترك مكارم الأخلاق فنخالف الفطرة وهذا مذموم.
- وإما أن نتمسَّك بالأخلاق فنخالف العقلانية وهذا مذموم.

وماذا بقي هل من خيار آخر؟

- **بقيَ أنه لا بُدَّ من دارٍ أخرى فيها يكونُ الثَّواب والعقاب.**

فإذا قلنا: إنه لا بد من دارٍ فيها ثوابٌ وعقاب، **فلا بُدَّ لهذه الدار من إلهٍ** كان يسمعُ ويُبصِرُ ويعلَمُ أحوال الناس؛ ليجزيهم على أعمالهم في الدار الأخرى.

فهذا الدليل بعبارةٍ أخرى أن نقول:

أولا: الأخلاق من الخير الذي فطر الله عليها عباده، وهذا وازِع داخلي.

ثانيًا: هذه الأخلاق نفسُها تقتضي أن يُثاب المحسِن على إحسانه ويُعاقَب المسيءُ على إساءته، فهذه عقلانية:

- ثم هذا الحساب لا يتأَتَّى في الدار الدنيا كما هو مشاهَد، فلا يُمكِنُ إذًا أن يتأَتَّى إلا في حياةٍ أخرى بعد هذه الحياة.
- ثم لا يتأَتَّى الحساب في تلك الحياة الثانية إلا إذا كان هناك إلهٌ عليمٌ عادلٌ حكيم، يعلم ما يعمل الناس الآن ليجازيهم عليها.

إذًا: هي على هذه المراحل:

١. إذا أرَدنا أن نلتزم بمكارم الأخلاق= لا بُدَّ أن نؤمن باليوم الآخر.

٢. والإيمان باليوم الآخر يتطلَّب: أن نثبت أن هناك إلهًا كان يرى أعمال الناس ويسمع كلامهم ومُطَّلِعٌ على أحوالهم.

٣. وعندما تأتي الدار الآخرة سيجازيهم على ذلك.

ولذلك مكارم الأخلاق من الأدلة الدالة على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الدَّرسُ السَّادِس

الوِحدَةُ الثَّانِيَة: تَوحِيد الربُوبيَّة

موضوعات هذه الوِحدة:

١. تعريف تَوحِيد الربُوبيَّة.

٢. مقتضيات تَوحِيد الربُوبيَّة.

٣. نواقض تَوحِيد الربُوبيَّة.

٤. نواقص تَوحِيد الربُوبيَّة.

٥. ثمرات تَوحِيد الربُوبيَّة.

فهذه الوحدة تتعلق بتأصيل موضوع تَوحِيد الربُوبيَّة.

❖ تعريف تَوحِيد الربُوبيَّة:

أولًا: تعريف التَّوحِيد:

التَّوحِيد في اللغة:

يدور معناه حول: الإفراد والانفراد وعدم وجود المثل والنظير.

فالإفراد: أنتَ تقوم به، والانفراد: الشخص نفسه يكونُ منفردًا، وعدم وجود المثل والنظير لذلك الشخص.

التَّوحِيد في الاصطلاح:

يتعلق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو: إفرادُ الله ﷻ بما هو من خصائصه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، **وهو على التفصيل الآتي:**

- إفراد الله **بربوبيَّته**، فلا رب سواه.
- **وبألوهيَّته**، فلا مستحقَّ للعبادة إلا إياه.
- **وبأسمائه وصفاته**، فلا ندَّ له فيه ولا نظير.

حقيقة التَّوحِيد:

التَّوحِيد قولٌ وعمل، فهو:

- قول القلب وعمله.
- وقول اللسان وعمل الجوارح.

المقصود بقول القلب وعمله:

أولا: قول القلبِ:

والمقصود به: تصديقُه وإقرارُه ويقينُه، فيصدِّقُ القلب ويقرُّ بوجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وبإفراده بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

فيُقرِّ ويصدق القلب بهذا التَّوحِيد، وذلك بما يأتي:

- أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ موجود.
- وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا مثيل له في الخلق ولا في الملك.
- وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واحد في الخلق والملك والتدبير الكوني والتشريعي.
- وبأن هذا المنفرد بالخلق والملك والتدبير هو المستحق وحدَهُ للعبادة ﷻ.
- وأن هذا الإله لا مثيل له: في ذاته، ولا مثيل له في أسمائه وصفاته.

فهذا ما يُقِرُّ به القلب.

ثانيًا: عمل القلبِ:

ثم يعمل القلب بوفق ما أقرَّ القلب به؛ فيعمل بأن:

- يخضع هذا القلب.
- وأن يتعبَّد هذا القلب لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حبًّا وخوفًا ورجاءً.
- وأن يُطهِّر هذا القلب من الشرك بجميع أنواعه.
- ويُطهِّر هذا القلب من التعلق بغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في جلب المنافع ودفع المَضَارّ.
- ويمتلئ هذا القلب بالعبودية الحَقَّة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حبًّا وخوفًا ورجاءً وتوكُّلًا ورضًا ويقينًا.

فهذا عملُ القلبِ بما أَقَرَّ به القلب من وجود الله ووحدانيته، فيعمل القلب بمقتضى ذلك بأن: يخضع ويستسلم ويُخلِص لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في جميع أنواع العبادة.

المقصود بقول اللسان:

أن يقول الإنسان هذا الأمر بلسانه، فينفي الشريك عن الله ويقرَّ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالتَّوحِيد، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله؛ معلنًا التزامه بالعبودية الخالصة لله بما شرعه في حياته كلها.

والنطق بالشهادتين يتضمن: إعلان انفراد الله:

- ✓ بربوبيته.
- ✓ وأسمائه.
- ✓ وصفاته.

لكونه أعلن أنه لا يُعبَد إلا الله= فتضمَّن هذا الإعلان العبودية الخالصة لـ: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله).

المقصود بعمل الجوارح:

أن يعمل بجوارحه، فهو أقرَّ وعمِلَ بقلبه، ونطق بلسانه؛ وكل ذلك يستلزم أن يعمل بجوارحه؛ فيمتثل لما طلبه الله ﷻ منه فعلًا أو تركًا.

ويمتثل بدون:

- ☒ اعتراض.
- ☒ أو شرك.
- ☒ أو ابتداع في ذلك.

بل يلتزم الشرع الذي جاء به محمد ﷺ عبوديةً خالصة لله، حبًّا فيه وخوفًا من سخطه، ورجاءً لرحمته **موقنًا بأن في ذلك:**

- سعادته روحًا وبَدنًا.

- وصلاح دُنيَاه وأُخراه.
- وصلاح الفرد وصلاح المجتمع.

فهذه حقيقة التَّوحِيد قولٌ وعمل:

- **قول القلب:** تصديقُه وإقرارُه.
- **وعملُ القلبِ:** خضوعُه وعبوديَّتُه وإخلاصُه.
- **وقولُ اللسانِ:** بنفي الشَّريك عن الله والإقرار بالتَّوحِيد له.
- **وعملُ الجوارِحِ:** بامتثال ما طلبه الله منه فعلًا أو تركًا بدون اعتراض أو شرك أو ابتداع.

أقسام التَّوحِيد:

قسم العلماء التَّوحِيد تقسيمات كثيرة بأكثر من اعتبار، ومن ذلك:

أولا: أقسام التَّوحِيد من جهة ما يقوم به العبد:

١. أن يعلم أنه لا إله إلا الله، **وهذا التَّوحِيد العلميّ.**

٢. وأن يعمل وفق مقتضاه، **وهذا التَّوحِيد العملي.**

فهو علمٌ وعمل، فأقسام التَّوحِيد من جهة ما يقوم به العبد نوعان: تَوحِيد علميّ وتَوحِيد عمليّ.

القسم الأول: التَّوحِيد العلميّ (أو القولي أو الخبري):

وهو: أن يعلم العبد بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحدٌ لا شريك له.

الدليل: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، فهو اعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المستحقُّ واحدة للعبادة، وأن عبادة ما سواه باطلة؛ لأنه هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير لا شريك له.

فهذا التَّوحِيد يسمى:

- **التَّوحِيد العلميّ.**
- **التَّوحِيد الخبري.**
- **تَوحِيد المعرفة والإثبات،** أي: المعرفة للأخبار التي بيّن الله لنا فيها أسماءَه وصفاته، ونثبتها له موحّدين له نافِين عنه المثيل.

فهذا تَوحِيد المعرفة أن يعرف العبد ويعلم:

- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موجود.
- وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى.
- ويثبت له ما ثبت له من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة ويقر بذلك.
- وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شريك له في أسمائه ولا في صفاته.

فالتَّوحِيد الخبري يبدأ: بتَوحِيد الربُوبيَّة وتَوحِيد الأسماء والصفات.

وينتهي: أن هذا الرب المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وأنه لا مثيل له، وأن يُقر ويعلم أنه هو وحده المستحق للعبادة ﷻ.

القسم الثاني: التَّوحِيد العملي الإرادي:

وهو: أن يترك العبد عبادة كلّ من سوى الله ﷻ، ويتوجَّه بالعبادة لله وحده لا شريك له.

فالتَّوحِيد العملي الإرادي هو: العبودية الخالصة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حبًّا وخوفًا ورجاءً؛ بامتثال ما طلبه الله منا فعلًا أو تركًا سواءً من:

- الأقوال.
- والأفعال.
- الظاهرة.
- والباطنة.

بدون:

- اعتراض.
- أو شرك.
- أو ابتداع.

هذا التَّوحِيد هو التَّوحِيد العملي الإرادي وهو مقتضى التَّوحِيد العلميّ الخبري السابق؛ فمن علم أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير= وَجَب عليه إخلاص العبادة لله.

وهذا التَّوحِيد يسمى:

- التَّوحِيد العملي الإراديّ.
- التَّوحِيد الطلبيّ.
- تَوحِيد العبادة.

ثانيًا: أقسام التَّوحِيد من جهة ما يستحقه الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

فالله ﷻ واحد في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته؛ فبذلك ينقسم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام:

١. تَوحِيد الربُوبيَّة.

٢. تَوحِيد الألوهيَّة.

٣. تَوحِيد الأسماء والصفات.

القسم الأول: تَوحِيد الربُوبيَّة:

فهو من الرب وهو الصاحب السيد المالك، وبالتالي نقول: تَوحِيد الربُوبيَّة هو: **إفراد الله بربوبيته لهذا العالم**، أي: أنه منفرد بخلقه وملكه وتدبيره.

وتدبير هذا العالم:

- تدبيرا كونيًّا.
- وتدبير حياة الناس تدبيرا شرعيًّا.

فهذا التَّوحِيد يسمى تَوحِيد الربُوبيَّة.

القسم الثاني: تَوحِيد الألوهيَّة:

والألوهيَّة من التَّأَلُّه أي: إفراد الله بالتَّأَلُّه.

والتَّأَلُّه هو: التعبد، أي: شدة التعلق القلبي بالمحبوب الموجب قصده بأنواع العبادة.

فتَوحِيد الألوهيَّة هو: تَوحِيد الله بالتَّأَلُّه، أي: هذا النوع من أنواع التعلق والمحبة المقتضية للعبودية الخالصة لله.

وتَوحِيد الألوهيَّة هو: إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة فنعتقد:

- ✓ أن الله وحده هو المستحقُّ للعبادة.
- ✓ ونعتقد بطلان عبادة كل من سواه.

ونقوم بذلك بأن:

- نعبد الله وحده.
- ونترك عبادة كل من سوى الله.
- ونتوجه بالعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

القسم الثالث: تَوحِيد الأسماء والصفات:

وهو: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما ثبت له من الأسماء والصفات، أي: نؤمن بكل ما أخبرنا الله به عن نفسه في الكتاب أو السنة، نفيًا أو إثباتًا، بدون تمثيل فننفي عن الله المكافئ والنظير.

أدلة أقسام التَّوحِيد:

وأما من يأتي ويقول: أنتم ابتدعتم وأتيتم بأقسام التَّوحِيد= **نرد عليه:** بأن هذا موجود في القرآن والسنة، **وهناك أدلة كثيرة جدًّا، ومنها:**

الدليل الأول: أن هذا التَّوحِيد مصطلح شرعي ورد في صحيح مسلم في وصف حجة النبي ﷺ، وفيه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "فأهلَّ بالتَّوحِيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".

فالأقسام في هذا الحديث على النحو الآتي:

- تَوحِيد الألوهيَّة في: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك".
- وتَوحِيد الربُوبيَّة في: "إن الحمد والنعمة لك".
- وتَوحِيد الأسماء والصفات في: "والملك لا شريك لك"

الدليل الثاني: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فهذه آية واحدة اشتملت على أقسام التَّوحِيد الثلاثة، **وتوضيح أقسام التَّوحِيد في الآية على النحو الآتي:**

أولًا: تَوحِيد الربُوبيَّة في: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم:٦٥].

ثانيًا: تَوحِيد الألوهيَّة في: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥].

ثالثًا: تَوحِيد الأسماء والصفات في: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

فهذه أقسام التَّوحِيد من جهة ما يستحقه الرب.

- والتَّوحِيد القولي العلميّ= هو تَوحِيد الربُوبيَّة والأسماء والصفات.
- والتَّوحِيد العملي الإرادي والطّلبي هو: تَوحِيد الألوهيَّة.

الدليل الثالث: سورة الإخلاص.

فالأقسام فيه على النحو الآتي:

- في الربُوبيَّة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فهو أحدٌ في ربوبيته، فهو الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك له بالخلق والملك والتدبير.
- في الألوهيَّة: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]، فالصمد هو: المستحق وحده للعبادة.
- في تَوحِيد الأسماء والصفات: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: هو غني عن الولد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لكونه هو الآخر الذي ليس بعده شيء.

٢. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: هو غني عن الوالد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وعن الخالق؛ لكونه هو الأول الذي ليس قبله شيء؛ لم يتقدمه شيء ولم يُسبق بعدم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يلحقه فناء، هذا في ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهذا يدلُّ على وجود الله.

٣. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، أي: في أسمائه وصفاته كما هو ليس له كفوًا في ذاته ﷻ.

الخلاصة:

سورة الإخلاص اشتملت على أنواع التَّوحِيد؛ فهو أحدٌ في ربوبيته، الصَّمَدُ في ألوهيته، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فهو الذي لا مثيل ولا نظير له في ذاته ولا في وجوده ولا في أسمائه ولا في صفاته.

الدليل الرابع: سورة الفاتحة.

وهي مشتملَةٌ على أنواع التَّوحِيد، وذلك على التفصيل الآتي:

- تَوحِيد الربُوبيَّة في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة:٢].
- تَوحِيد الأسماء والصفات في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة:٤].
- تَوحِيد الألوهيَّة في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

الواجب علينا في تَوحِيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

كلامُ أيِّ متكلِّمٍ في هذه الحياة لا يخرج عن هذين الأمرين -وهو معلومٌ بالاستقراء-:

١. إما أن يكون الكلام خبر.

وهو يدور بين:

- النفي.
- والإثبات.

٢. أو يكون طلب وإنشاء.

وهو إما أن يكون:

- **أمر.**
- **نهي.**

أمثلة من آية الكرسي:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ نفي.
- ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إثبات.
- ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إثبات.
- ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ نفي.
- ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إثبات.

وهكذا لو استمررنا في الآية نجدها منقسمةً إلى نفي وإثبات؛ لأنه خبر.

✓ **فالكلام في تَوحِيد الربُوبيَّة وتَوحِيد الأسماء والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات.**

✓ **والكلام في الألوهيَّة هو من باب الطلب الدائر بين الأمر والنهي.**

أمثلة:

١. قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أمر.

٢. ثم بدأ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُخبِر عن نفسه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢].

٣. وقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، فهذا يعني نهي.

حالُ المستمع مع الخبر والطلب:

- المستمع لأي خبر بغض النظر عن قائله إما أن يصدق أو يكذب.
- والمستمع للطلب بغض النظر عن قائله إما أن يمتثل أو لا يمتثل.

فإذا كان المتكلم هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو أخبرنا عن:

- نفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ.
- وأخبرنا عن ملائكته.
- وعن كتبه.
- وعن دينه.
- وعن شرعه.

هذا الخبر من الله يجب أن نؤمن به وأن نصدق به.

الواجب علينا في الخبر:

فالواجب علينا أن **نؤمن بكل ما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** به نفيا أو إثباتا، وأن نؤمن بلا شك؛ لأن هذا هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الذي أخبرنا به، فنحن نؤمن به دون شك.

الدليل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥].

الواجب علينا في الطلب:

وبالنسبة للطلب فنحن **نمتثل ما طلبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** منَّا فعلًا أو تركًا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أمرنا وهو الذي نهانا.

فالواجب علينا في تَوحِيد الألوهيَّة كمستمعين لما يطلبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منَّا فعلا أو تركا في الكتاب أو السنة: **الامتثال بلا شرك.**

والواجب علينا في تَوحِيد الربُوبيَّة وتَوحِيد الأسماء والصفات: **أن نؤمن بلا شك.**

❖ الخلاصة:

الواجب علينا في التَّوحِيد أن نؤمن بالخبرِ بلا شك، وأن نمتثل الطلب بلا شرك.

وأن نؤمن بتَوحِيد الربُوبيَّة وتَوحِيد الأسماء والصفات بلا شك، ونؤمن بتَوحِيد الألوهيَّة بلا شرك؛ فهذا هو الواجب علينا في التَّوحِيد.

ستة قواعد في خبر الله:

١. أن نؤمن بما صحَّ عن الله وصحَّ عن رسول ﷺ.

فنؤمن بالقرآن ونؤمن بما صح من أحاديث النبي ﷺ، وما صحَّ عن نبينا ﷺ فنؤمن به سواء كان متوترًا أو كان آحادًا، فالمهم أن ننتبه إلى صحَّة النص.

٢. عندما نتعامل مع النصوص المتعلقة بالله وبالملائكة وبالكتب= **يجب علينا أن نفهمها الفهم الصحيح.**

كيف نعرف أن فهمنا للنصوص المتعلقة بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء القدر أو الدين فهمٌ صحيح؟

علينا أن نعرض هذا الفهم على فهم السلف الصالح؛ فلا يكون مضادًّا لما فهِمَهُ سلفُنَا الصالح من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فنفهم هذا القرآن من خلال:

- ✓ القرآن.
- ✓ ثم الحديث.
- ✓ ثم من خلال كلام الصحابة.
- ✓ ثم من خلال الإجماع.
- ✓ ثم من خلال اللغة العربية.

وهكذا نفهمه فهمًا صحيحًا، ونتأكَّد من فهمنا أنه فهمٌ صحيح= بألا يكون مضادًّا لما فهمه سلفنا الصالح.

٣. **أن ننظر إلى النصوص نظرًا صحيحًا**، فكل النصوص الواردة عن الله، وكلُّ ما أُخبِرنَاه في الكتاب والسنة= يجب أن ننظر إليه نظرًا صحيحًا.

والنظر الصحيح يتضمن أمرين اثنين:

الأمر الأول: أنه كافٍ بنفسه؛ فلا يحتاج إلى أن نأتي بأشياء من خارج القرآن والسنة حتى نثبت وندعم الإيمان بهذا الأمر.

فأيُّ مسألةٍ عقدية أو خبرية نحتاج فيها إلى أدلةٍ عقلية= فقد وردت في الكتاب والسنة، ولا يحتاج إلى أدلة من خارجه فقد جاءت كلُّ مسألة متضمِّنة لأدلتها العقلية.

وما لم نكن بحاجة إلى دليل عقلي له لا يُذكَر له دليل عقلي.

فنصوص الوحي كافية بنفسها في إثبات تلك الأخبار الواردة:

- عن الله.
- وملائكته.
- وكتبه.
- ورسله.
- واليوم الآخر.
- والقضاء والقدر.

فلا نحتاج إلى أن نأتي بعلمِ كلامٍ ولا إلى علمِ الفلسفة ولا علمِ المنطق لنؤيد بها ما ثبت في الكتاب والسنة، فالكتاب والسنة كافيان بنفسيهما لا يحتاجان إلى أدلة من خارج القرآن والسنة. والأدلة العقلية موجودة في الكتاب والسنة بأسهل طريقة.

الأمر الثاني: أنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الخبر الوارد في الكتاب والسنة مع ما أثبتته العقول السليمة، فننظر إلى القرآن والسنة بهذا النظر الصحيح.

٤. **أن نؤمن بلا شك،** فلا نقبل التشكيك في الملائكة والكتب والرسُل، ولا في الأسماء والصفات، فنؤمن بهذا الخبر عن الله وعن الرسول بلا شك نفيًا أو إثباتًا.

٥. **ولا تقدُّم،** فلا نتقدَّم على كلام الله وكلام رسوله، ولا نجعل كلام الله وكلام رسوله موزونًا بأمور أخرى.

مثل:

- علم الكلام.
- علم الفلسفة.
- علم المنطق.
- الحضارات الغربية والمُعَاصِرة.

أو أي شيء غيره، إنما نجعل الكتاب والسنة هما الميزان ولا نجعلهما موزونان أبدًا، فهما المقدمة وغيرهما تابع لهما، وليس هما تابعان لغيرهما ولا تقدم.

الدليل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١].

٦. **نؤمن بهذا الخبر بلا إلحَاد**، فلا نميل عن الحق الثابت في هذا الخبر ذات اليمين أو ذات الشمال.

الخلاصة:

أن نؤمن:

- ✓ بالصحيح.
- ✓ بفهم صحيح.
- ✓ بنظر صحيح.
- ✓ بلا شك.
- ✓ ولا تقدم.
- ✓ ولا إلحَاد.

قواعد في الطلب:

١. **أن نمتثل الامتثال الصحيح**، ونتأكد من صحة هذا الطلب بأن يكون في القرآن أو يكون صح عن النبي ﷺ سواء كان متواترًا أو كان آحادًا.

وفي مسألة الطلب لا نجد مشاكل في مسألة أحاديث الآحاد، **إنما المشاكل موجودة في مسألة العقيدة والخبر**، لكن نحن لا نفرق بين الخبر وبين الطلب، بل كل ما صح عن النبي ﷺ سواء كان آحادًا أو كان متواترا فنحن نعمل به سواء خبرًا أو سواء طلبًا.

٢. **الفهم الصحيح**، أي: أننا لا نفهم الشريعة الإسلامية بفهم مخالفٍ لفهم سلفنا الصالح.

مثل: أن يأتي بعض الأشخاص ويفهمونه فهمًا باطنيًّا أو نحو ذلك من الفهم، فلا نفهم الكتاب والسنة بفهم مضاد لما فهمه سلفنا الصالح.

بل نفهم الكتاب والسنة:

- بالكتاب.
- وبالسنة.
- وبكلام الصحابة.
- وبلغة العرب.

وهكذا نفهم الفهم صحيح.

٣. **النظر الصحيح** في أمور الطلب أي: أنه لا يمكن أن يكون في هذا الطلب ما يُشقِينا وما يفسد حياتنا، فالقرآن والسنة جاءَا بالمصالح ودرءِ المفاسد، وكل ما في القرآن والسنة هو مصلحةٌ في ذاته.

ولسنا نقصد محاولة تأويل ما في الكتاب والسنة لتحقِّق مصالح الناس، بل هو كما هو فيه المصلحة للناس.

الدليل: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[طه:٢].

فهذا التمسك بالكتاب والسنة، وهذه الشريعة الموجودة في الكتاب والسنة، وهذا الطلب الموجود في الكتاب والسنة= فيه:

- مصلحةٌ للناس.
- مصلحة للفرد.
- ومصلحة للمجتمع.
- فيه إصلاح للبدن.

- وإصلاح للروح.
- وإصلاح للدنيا.
- وإصلاح للآخرة.

وأن هذه الشريعة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تأتي مخالفةً سواءً:

- للعقول السليمة.
- أو الفطر المستقيمة.

٤. **فنمتثل هذه الشريعة بلا شرك** بجميع أنواعه صغيره وكبيره، فلا نتوجه بعبادةٍ ثبتت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى غير الله **سواء كانوا:**

- أمواتًا.
- أو أحياءً.

وسواء كانوا:

- إنسًا.
- أو جنًّا.
- أو شجرًا.
- أو حجرًا.

أو أي شيء غيره، إنما نتوجه بالعبودية الخالصة لله بما شرعه، خالصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا شرك ولا اعتراض.

٥. **ولا نعترض على هذه الأوامر والنواهي بالآتي:**

- لا بالمصالح الدنيوية.
- ولا بالمصالح الاقتصادية.
- ولا العادات.

فلا نعترض على شرع الله بشيء.

٦. **ولا نبتدع في شرع الله**؛ إنما نلتزم هذا الشرع كما طلبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى منَّا، **ونلتزم به في:**

- عدده.
- وفي جنسه.
- ومقداره.
- وصفته.
- وكيفيته.
- وزمانه.
- ومكانه.

نلتزم بهذه الشريعة بدون ابتداع.

الخلاصة:

فالواجب علينا فيما طلبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى:

- ✓ أن نمتثل الصحيح.
- ✓ بفهم صحيح.
- ✓ بنظر صحيح.
- ✓ بلا شرك.
- ✓ ولا اعتراض.
- ✓ ولا ابتداع.

والواجب علينا في الخبر:

- أن نؤمن بالصحيح.
- بفهم صحيح.

- بنظر صحيح.
- بلا شك.
- ولا تقدم.
- ولا إلحَاد.

نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من أهل التَّوحِيد الخالص.

الدَّرسُ السَّابِع
تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٢)

مراجعة للدرس السابق:

التَّوحِيد في اللغة: يدور معناه حول الإفراد والانفراد، وعدم وجود المثل والنظير.

التَّوحِيد اصطلاحا: هو إفراد الله بثلاثة أمور:

١. **بالرُّبُوبِيَّة؛** فلا رب سواه.

٢. **وبالألوهية؛** فلا مستحق للعبادة إلا إياه.

٣. **وبأسمائه وصفاته؛** فلا مثيل له فيها ولا نظير.

ويمكن أن ينظر إلى أقسام التَّوحِيد من جهة العبد، أو من جهة الرب.

فأقسام التَّوحِيد من جهة العبد= فينقسم التَّوحِيد إلى قسمين:

القسم الأول: التَّوحِيد العلميّ الخبري؛ وهو أن يعلم الإنسان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكمال المطلق في الأسماء والصفات، ولا مثل له فيها ولا نظير، وأنه هو المستحق وحده للعبادة.

القسم الثاني: التَّوحِيد العملي الطلبي، وهو: أن يُفرِد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجميع أنواع العبادة؛ لكونه هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، الذي لا مثيل له في أسمائه ولا في الصفات.

وأقسام التَّوحِيد من جهة الرب= ينقسم إلى ثلاثة:

١. **القسم الأول: تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة،** وهو: إفراد الله بربوبيته لهذا العالم بالخلق والملك والتدبير.

٢. **القسم الثاني: تَوحِيد الألوهية،** وهو: إفراد الله بألوهيته، أي: أنه هو المستحق وحده للعبادة فنفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجميع أنواع العبادة.

٣. القسم الثالث: **تَوحِيد الأسماء والصفات**، وهو: أن نُفرِد الله بأسمائه وصفاته، وأنه لا مثيل له فيها ولا نظير.

وتقسيم التَّوحِيد من جهة العبد ومن جهة الرب هو تقسيم واحد، والذي يختلف هو الاصطلاح؛ وذلك على التفصيل الآتي:

- **فالتَّوحِيد العلميّ الخبري**= يقابله تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة وتَوحِيد الأسماء والصفات.
- **والتَّوحِيد الطلبي العملي**= يقابله تَوحِيد الألوهية.

ومن الأدلة على التَّوحِيد: "أهلَّ بالتَّوحِيد"، وهذا واردٌ في صحيح مسلم، فالتَّوحِيد مصطلحٌ شرعِيّ.

وأقسام التَّوحِيد هذه موجودة في القرآن، والدليل:

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

- فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.
- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، تَوحِيد الألوهية.
- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، تَوحِيد الأسماء والصفات.

والواجب علينا في كل قسم على النحو التالي:

فالواجب علينا في التَّوحِيد العلميّ والخبري: أن نؤمن به بلا شك.

والواجب علينا في التَّوحِيد العملي الطلبي: أن نمتثل بلا شرك.

فالتَّوحِيد هو: إيمان بالخبر بلا شك، وامتثال للطلب بلا شرك.

وعلينا أن ننتبه في باب الخبر إلى ستة أمور:

١. أن نؤمن بالصحيح.

٢. بفهم صحيح.

٣. بنظر صحيح.

٤. بلا شك.

٥. ولا تقدم.

٦. ولا إلحَاد.

وأننا بالنسبة للأمور الطلبية:

١. نمتثل الصحيح.

٢. بفهم صحيح.

٣. بنظر صحيح.

٤. بلا شرك.

٥. ولا اعتراض.

٦. ولا ابتداع.

٧. أو تبعيض.

موضوعات هذه المحاضرة:

أولًا: تعريف تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

ثانيًا: أدلة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

ثالثًا: مكانة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

رابعًا: معنى لا إله إلا الله.

❖ الموضوع الأول: تعريف تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

ونستعرض فيه:

- تعرِيف الرَّبَّ في اللغة، ومن خلاله نعرِفُ تعريفَ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.
- الأصول التي يقوم عليها تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.
- أنواع ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لخلقه.

أولًا: تعريف الرَّب والرُّبُوبِيَّة:

الرب في اللغة العربية له حالتان:

الحالة الأولى: أن تأتي خالية من (أل) التعريف، لكنها تُذكَر مقيدة ومضافة.

أمثلة:

- ربُّ العالمين.
- ربُّ الدار.
- ربُّ الفرس.
- ربُّ الغلام.

ففي هذه الحالة: يمكن أن تُطلَقَ على الخالق، ويمكن أن تطلق على المخلوق.

مثال:

- تطلق على الخالق مثل قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].
- وتطلق على المخلوق مثل: رب الدار، رب الفرس، رب الغلام، أي: مالكها وصاحبها وسيدها وربها ومصلحها.

الحالة الثانية لكلمة الرب: أنها تأتي معرَّفة بأل، مطلقة بدون تقييد أو إضافة.

ففي هذه الحالة: لا تُطلق إلا على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أي: الرب لخلقه، فيكون معناه: الخالق المالك المدبر المصلِح لأحوال خلقه.

فهذا معنى الرب في اللغة، وبالتالي فإن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة مأخوذ من كلمة الرب الخالق المالك المدبر.

فيكون تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة هو: اعتقاد انفراد الله بربوبيته، فنعتقد ونؤمن بدون شك أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو:

- المنفرد بخلق هذا العالم لا شريك له في ذلك.
- وأنه منفردٌ بملكِ هذا العالم لا شريك له في الملك.
- وأنه منفرد بتدبير أمرِ هذا العالم لا شريك له في التدبير.
- **وأن التدبير والأمر الذي هو لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذا العالم نوعان:**

١. أمر وتدبير كوني.

٢. أمر شرعي.

فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة هو: اعتقاد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والأمر.

ويدخل في الأمر شيئَان:

الأمر الكوني: المتعلق بالسماء والشمس والقمر والنجوم والأرض والكواكب؛ كلٌّ يسيرُ وِفقَ نظام سيَّرَه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه لا يخالِفُه.

والأمر الشرعي: أن الله وَضَعَ شريعةً للناس وَجَبَ عليهم أن يلتزموا بها، وأن يسيروا عليها في هذه الحياة.

ثانيًا: الأصول التي يقوم عليها تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يقوم على أصلين اثنين:

الأصل الأول هو: عموم خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وربوبيته لهذا العالم، لا يخرج عنها ذرة من ذرات هذا الكون لتكون خارجة عن خلق الله وعن ربوبية الله، فجميع المخلوقات لله= سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو خالقها وربُّها.

الأصل الثاني: عموم إحسانه وحكمته؛ فعموم إحسانه في خلقه لهذا العالم، وحكمته في خلق هذا العالم.

الدليل على عموم إحسانه: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، فهذا عموم إحسانه لجميع مخلوقاته.

الدليل على حكمته: وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، أي: خَلْقَه المناسب له، ثم هداه لكيفية استعمال هذه الخِلقَة ليَعِيش بها في هذه الدنيا.

دليل آخر اشتمل على الأصلين: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، فهنا آيتان اشتملتا على الأصلين:

- فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أي: لا يخرج عن عموم ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء.
- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أي: عموم إحسانه وحكمته في هذه المخلوقات.

ثالثًا: أنواعُ ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لخَلقِه:

ربوبية الله لخلقه على نوعين:

النوع الأول: الرُّبُوبِيَّة العامة:

وهذه تشمل جميع المخلوقات، ويدخل فيها من البشر المخلوق الكافر والمخلوق المؤمن، فهذه ربوبية الله عامَّةٌ لجميع المخلوقات.

فالرُّبُوبِيَّة العامة هي: خَلْقُهُ للمَخلُوقِين، ورِزقُهُم وهدايتُهُم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في هذه الدنيا، فهذه ربوبيةٌ عامة.

النوع الثاني: الرُّبُوبِيَّة الخاصة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لبعض مخلوقاته:

وهي: تربيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لأوليائه؛ فيُربِّيهم بالإِيمَان ويوفقهم له ويكمله لهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

حقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر؛ فهذه تربية خاصة لأوليائه المؤمنين.

❖ الموضوع الثاني: أدلة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

أدلة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة كثيرة ومنها:

الأدلة العامة لتَوحِيد الرُّبُوبيَّة:

الدليل الأول: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾، ثم بدأ يُبيِّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربوبيته.

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، وهذا التدبير.

الدليل الثاني: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر: ٣].

فهذه الأدلة تدل على ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخلقه.

وقد يقول قائل: قد يكون رب الأرض ورب السماء ورب الشمس والقمر واحد، لكن هناك ربٌّ آخر لبعض المخلوقات الأخرى!

فنقول له: لا يمكن ذلك؛ لكون هذا العالم مُنتظِمًا مُتقنًا مُحكمًا، فلابد أن يكون خالقه واحد.

الدليل: دليل التمانع، وهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى نفى الشريك ونفى أن يكون له ولد، وأن الله لا شريك له في خلقه.

ولو كان هناك شريك فستكون هناك عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾، فكلُّ واحدٍ يريد أن ينفرد بخلقه، ويريد أن يدبر بما يراه مناسبًا، فلو ذهب كل إله بما خلق لذهب إله الشمس بالشمس، وذهب إله الأرض بالأرض، وذهب إله القمر بالقمر= ثم سيحدث الفساد.

الاحتمال الثاني: أن تحدث المغالبة.

مثال: لو أن هناك شريكٌ في خلق الشمس، فالأول يريد أن تخرج الشمس من المشرق، والآخر لا يريدها أن تخرج في هذا الوقت= فسيحدث التغالب، ثم ما الذي سيحدث؟

- إما أن تنفُذ الإرادتان، وهذا مستحيل، فالشمس إما أن تخرج أو لا تخرج.
- أو تبطل الإرادتان في الوقت ذاته، وهذا أيضًا مستحيل.

ماذا بقي؟ بقي أن تنفُذَ إرادة أحدهما؛ فالذي تنفذ إرادته هو المدبر.

إذن لا بد أن يكون لهذا الكون مدبرٌ واحدٌ.

مثال آخر: لو كان للعالم صانعان، مثل: أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد إحياءه والآخر يريد إماتته:

- فإما أن يحصل مرادهما.
- أو لا يحصل مراد واحد منهما.
- أو يحصل مراد أحدهما.

فالأول: ممتنعٌ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين.

والثاني: ممتنعٌ؛ لأنه يلزم خلوَّ الجسمِ عن الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهًا.

فالاحتمال الثالث وهو: أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر:

- فيكون الذي حصل مراده هو الإله القادر.
- والآخر عاجزٌ لا يصلح للإلهية.

فانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره= أدَلُّ دليلٍ على أن:

- ✓ مدبره إلهٌ واحد.
- ✓ وملك واحد.
- ✓ وربٌّ واحد.

لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه.

فالعلمُ بأنَّ وجودَ العالَمِ عن صانعَين متماثِلَين ممتنعٌ لذاته، مُستقِرٌّ في الفِطَر، معلومٌ بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين.

فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفِطَر من تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة الدالة المثبتة المستلزمة لتَوحِيد الإلهية، فلما كان الرب واحدًا= إذا فيكون المعبود واحدًا.

❖ الموضوع الثالث: مكانة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في دين الإسلام.

هل يصح الإنكار علىٰ من يتحدث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؟

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة له مكانة عظيمة في دين الإسلام، **وأعجَبُ مِن بعض مَن يُهوِّن من هذا التَّوحِيد، وينكر على من يتحدَّث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.**

إنما الذي تنكره على من يتحدَّث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة إذا قال: **أنه يكفي للنجاة بمفرده. فهذا ما عَرَف التَّوحِيد.**

أما من يتحدث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، ويُعظِّم تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفوس الناس، وأنه هو الأصل الذي يقوم عليه تَوحِيد الإلهية= فهذا لا بأس به، بل هو من الأهمية بمكان؛ ذلك أنه إن لم يستقر هذا الأصل= لم يثبت ولم يرسخ في نفوس الناس: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الرب وحده لا شريك له، المنفرد بالخلق والملك والتدبير.

وإذا لم يستقر هذا في نفوس الناس ولم يرسخ هذا الأمر وصار ضعيفا عندهم= فسيضعف تَوحِيد الإلهية بلا شك؛ ولذلك الذي يُنكَر عليه هو: الذي لا يتحدث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

فحتى وإن كان تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة فطريًّا، فإن القضايا الفطرية تحتاج إلى:

- ✓ تحريكٍ.
- ✓ وتنظيفٍ.
- ✓ وتهذِيبٍ.
- ✓ ومراعاة.
- ✓ واهتمام.
- ✓ وعناية.

وهكذا فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ركنٌ من أركان التَّوحِيد لا يصح تَوحِيد الإنسان إلا به، فلا بد من أن يأتي بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

وبعض من يهتمُّ بتَوحِيد الإلهية ويُعظِّم تَوحِيد الإلهية= نجده في الوقت ذاته يُضعِّف الكلام عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة حتى يُخرِج منه مسألة التشريع، أي: أن المشرِّع هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو المنفرد بالتشريع، وأن من يُشرِّع مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُصبح طاغوتًا، فمن يُشرِّع مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرفع نفسَه حتى يُخرِج نفسَه من مقام البشرية إلى مقام الرُّبُوبِيَّة.

فهذا أمرٌ في غاية الأهمية، ويجب أن نتنبه إلى: أن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ركن في التَّوحِيد لا يتم تَوحِيد الإنسان إلا بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، لكننا نقول إن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ليس هو الغاية في التَّوحِيد إنما هي وسيلةٌ لبلوغِ الغَاية.

فالغاية: إفراد الله بالعبادة، ولا بد أن تصل إلى هذه الغاية.

فإن وقفت عند تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، ثم لم تصل ولم تبلغِ الغاية وهي: أنك تفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجميع أنواع العبادة= فما فعلت شيئا.

فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة وسيلةٌ لبلوغِ الغاية، والغاية هي: إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة.

ذلك أن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يستلزم تَوحِيد الألوهية، ومن علم أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير= وجب عليه أن يفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة.

أما تَوحِيد الألوهية: فالذي يأتي به ويفهمه على الوجه الصحيح= فهذا يتضمن إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالرُّبُوبِيَّة.

ومن ناحية السعادة والنجاة: فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة لا يكفي وحده في حصول السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، بل لابد معه من إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالتعبُّد وِفقَ شرع الله، والبراءة من عبادة كل ما سوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فطريَّةُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة فطريٌّ في النفوس، فالقلوب مفطورةٌ على الإقرار به أعظمُ من كونِها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات.

الأدلة:

- ما قالت الرسل فيما حكى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠].
- والمشركون من العرب كانوا يُقرون بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة وأن خالقَ السماواتِ والأرضِ واحدٌ كما أخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان:٢٥].
- وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[المؤمنون:٨٥].

غالب مشركي الأمم مقرون بأصل الرُّبُوبِيَّة:

فالمشركون العرب لَمْ يَكُونوا يَعتقدُونَ في الأصنامِ أنَّها مُشارِكةٌ لله في خَلقِ العالَمِ، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم: أنها تشفع لهم عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إذًا: تَوحِيد الألوهية يتضمن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة لا العكس.

فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا.

الأدلة:

- قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:١٩١].
- وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:١٧].

○ وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

فالمشركون كانوا يقرون بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ولكن لم ينفعهم ذلك الإقرار.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، **تعلمون ماذا؟**

تعلمون أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، ثم تجعلون لله شركاء تتوجهون إليهم بالعبادة.

فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة وحده لا يُنجي من النار ولا يُدخل الجنة، **بل التَّوحِيد المُنجِّي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ بحيث يُقرُّ بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن محمدًا رسوله ﷺ، فيعبد الله بما جاء به رسول الله ﷺ.**

الخلاصة: لم ينازع في أصلِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة أحدٌ من بني آدم، وإنما نازع في بعض تفاصيله.

❖ الموضوع الرابع: معنىٰ لا إله إلا الله:

هناك من يفسر لا إله إلا الله بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، فيقول: معنى لا إله إلا الله:

١. لا خالق إلا الله.

٢. ولا صانع إلا الله.

٣. ولا مدبر إلا الله.

فما هو المعنى الصحيح لـ (لا إله إلا الله)؟

- **هل معناها لا خالق إلا الله؟**
- **أم معناها لا معبود بحق إلا الله؟**

القول الأول: لا خالق إلا الله.

ودليلهم على ذلك: يستدلُّون باللغة على ذلك، فيقولون: (إله) في اللغة على وزن فِعَال، بمعنى: فاعل، أي: خالق رازق مدبر صانع مُؤثِّر.

القول الثاني: لا معبود بحق الله إلا الله، فهم يقولون: (إله) على وزن فِعَال بمعنى: مفعول؛ وهذا هو المعروف في اللغة العربية، أي: مألوه معبود تألهه القلوب أي: تتعلق به وذلك:

- ✓ لما عنده من جلب المنافع ودفع المضار.
- ✓ ولنعمه العظيمة.
- ✓ ولأسمائه الحسنى وصفاته العُلى.

هل الخلاف في معنىٰ كلمة التَّوحِيد له ثمرة؟ أم هو خلافٌ لفظيٌّ لا ثمرة له؟

ونعرف ذلك بأن ننظر في الواقع:

مثال: لو أن هناك قبرٌ لأحد الأولياء، ولنُسلِّم أنه كان رجلًا صالحًا ووليًّا من أولياء الله، **فجاء إلى هذا القبر اثنان:**

أحدهما: لا يعتقد في هذا المقبُور أنه خالق مالك رازق مدبر، ولا يعتقد فيه شيئًا من تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، بل يعتقد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، ويعتقد أن صاحب هذا القبر من أولياء الله؛ **فجاءه فصرف العبادة له:**

- فذبح له.
- ونذر له.
- ودعاه.
- واستغاث به.
- وأنزل به حاجته وفَقرَه إلى مغفرة الذنوب وإلى سَعَةِ الرزق وإلى الرزق بالولد وغير ذلك.

فأنزل حاجته بهذا الميت، مع أنه لا يعتقد أن الميت في نفسه سيُعطيه؛ بل يعتقد أن الله هو المعطي وهو المانع، إنما يعتقد أن له مكانًا عند الله فهو رجلٌ صالح= فصرف له:

- الذبح.
- والنذر.
- والاستعاذة.
- والاستغاثة.
- والدعاء.
- والتضرع.
- والإلحاح.

صرفه له من أجل أن يشفع له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا عند الذين يقولون إن معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله يحكمون بأنه:

سليمٌ في مسألة الشهادة، فتَوحِيده سليم، ولا إله إلا الله سليمة، وبالتالي هذا الرجل فعل هذا الفعل ولا علاقة له بموضوع التَّوحِيد.

فيصبح الخلاف له ثمرة؛ لأن هؤلاء يقولون: إن هذا الإنسان فعل ذلك من تعظيمه لله، وأنه لا يدخل على الله مباشرة، بل يأخذ معه شفيع يشفع له عند الله، وأن هذا الفعل تَشَفُّع وتوسُّلٌ لا شيء فيه، وإن كان فيه شيءٌ فهو من المكروهات.

أما أصحاب القول الثاني الذين يقولون إن المعنى: لا معبود بحق إلا الله، فقالوا:

هذا الإنسان نقضَ معنى لا إله إلا الله، ونقض تَوحِيده وشهادة لا إله إلا الله؛ بأن صرف أنواعًا من العبادة، **ومن ذلك:**

☒ **الذبح** لهذا الميت كما يذبح لله ويتقرب له بالدم؛ فهذا الميت لن يأكل هذا اللحم، وهذا ذبح شركي.

☒ **ودعاؤه** هو دعاءٌ في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهو يقول له: يا سيدي فلان اغفر لي!

ويقول: أنا أقصد أنه يطلب لي المغفرة، لكنه يقول: اغفر لي، اشفع لي، ارزقني، ارحمني وهكذا، فيتوجه إليه بالدعاء والتضرع وينزل به حاجته.

فقالوا: هذا نقضَ لا إله إلا الله.

ونتيجة لهذا الخلاف عظُمت المشكلة بين الطائفتين:

فالأولون الذين يقولون: لا خالق إلا الله= قالوا لأصحاب القول الثاني: هؤلاء يُكفِّرون المسلمين وهم خوارج، ويصفونهم بصفات عجيبة، وأنهم لا يبالون بأهل الإسلام، وأنهم تكفيريُّون وغلاة في التكفير، وغيرها من الصفات التي يطلقونها عليهم.

والآخرون أصحاب القول الثاني يقولون عن الذي ذهب للقبر وصرف العبادة لصاحبها: هؤلاء مشركون وهذه أفعال المشركين، فهؤلاء مشركو هذا الزمان، بل إن شركهم أعظم من شرك الأوَّلِين؛ لأن الأوَّلِين كانوا يشركون في حال الرخاء، وفي حال الشدة يخلصون، أما هؤلاء فيشركون في حال الرخاء وحال الشدة.

فصارت مشكلة كبرى بين الطرفين: هؤلاء يسمُّون هؤلاء مشركين وقبوريين، والآخرون يسمونهم خوارج وغلاة في التكفير وهكذا.

إذًا: الخلاف في هذه المسألة له ثمرة، وسبَّبَ انقسامًا في العالم الإسلامي؛ ولذلك نحن نحتاج أن نبيّن ما هو الحق في هذه المسألة.

نقد أدلة القائلين بأن معناها: لا خالق إلا الله.

فالذين يقولون معناها: لا خالق إلا الله، اعتمدوا على اللغة، وقالوا: إله في اللغة بمعنى فِعَال أي: فاعل فيصبح لا إله إلا الله بمعنى: لا خالق إلا الله.

والرد في النقاط الآتية:

- **أولا: إن هذا لم يذكره أحدٌ من علماء اللغة أبدًا،** بل جميع علماء اللغة يقولون: إله بمعنى مألوه أي: معبود.

مثل:

- كتاب بمعنى: مكتوب.
- فراش بمعنى: مفروش.
- إمام بمعنى: يؤتمُّ به

فلا يوجد أحدٌ من علماء اللغة يقول: إله معناه: آله أي: فاعل لا يوجد ذلك أبدًا.

- **ثانيًا: على قولهم إلَه بمعنى آلِه= يصبح: لا آلِه إلا الله**، أي: لا عابد لا عابد إلا الله! استغفر الله! فيصبح كلامهم خطأ.
- **ثالثًا: الأدلة من خلال الكتاب والسنة تؤكد** وتؤيد أن معناه: لا معبود بحق إلا الله.
- **رابعًا: ننبه أن الذي يقول: لا معبود بحق إلا الله، يتضمن كلامه:**
  - ✓ لا خالق إلا الله.
  - ✓ ولا رازق إلا الله.

لذلك كان لا معبود مستحقًّ للعبادة إلا الله.

- **خامسًا: جميع الأنبياء دعَوا أقوامهم إلى لا إله إلا الله** بمعنى: لا معبود بحق إلا الله، وأقوامهم فهموا منهم ذلك.

الأدلة على ذلك:

١. **فمثل نوح** عليه السلام قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، فأين لا إله إلا الله في هذه الآية؟

- فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾، دلَّ على: لا إله.
- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿غَيْرُهُۥ﴾، دلَّ على: إلا الله.
- وتفسيرها: الكلمة التي سبقتها في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٢. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦]، وهذه الآية متطابقة تمامًا مع سابقتها، فهي تُبيِّن مهمَّة نُوحٍ عليه السلام.

فهناك قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، وهنا قال: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾= فإذًا معنى: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، هي: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، **فصار معنى: لا إله إلا الله= لا معبود يستحق العبادة إلا الله، فهذه آيةٌ صريحة.**

٣. **وهذا هودٌ** عليه السلام قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عنه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]، فنصَّ في هذه الآية مثل ما ذكرنا في الآية السابقة تمامًا، ثم انظروا إلى قوم هودٍ ماذا فهموا عندما قال لهم هود: تمسكوا بلا إله إلا الله؟

قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠]، فهم فهِمُوا أن معنى لا إله إلا الله: ألا يُعبَد إلا الله؛ لكونه هو المستحق للعبادة وحده.

٤. **وهذا إبراهيم** عليه السلام قال الله عنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦].

- فقوله: ﴿بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ دلَّ على: لا إله.
- ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٧]، دلَّ على: إلا الله، وهذا تفسير لا إله إلا الله مطابقةً، فيكون هو معنى لا إله إلا الله.

ولذلك قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، **والكلمة هي:** لا إله إلا الله التي ذكر معناها في بداية الآية السابقة.

فيكون معنى لا إله إلا الله: البراءة من عبادة كل المعبودات، وإثبات استحقاق العبادة لله.

٥. **وهذا محمد ﷺ** قال الله له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، ومعناها: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

فيصبح معنى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾= ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، يعني: أن يتوجَّه بالعبادة لله وحده لا شريك له، فهو المستحقُّ له.

٦. **وكذلك هذه الآية عن نبينا ﷺ:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات:٣٥]، فالنبي ﷺ جاء يدعوهم إلى: لا إله إلا الله، فماذا كان يصنعون؟ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]

ففهموا من أن معنى لا إله إلا الله: تركُ الآلهة جميعها والتَّوجُّه بالتألُّه لله وحده؛ لكونه هو المستحق لذلك.

٧. **قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مشركي مكة:** ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، والمعنى: جعل المعبوداتِ معبودًا واحدًا هو الله، ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

٨. **وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن دعوة نبينا ﷺ لأهل الكتاب:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، فما هي الكلمة السواء؟

هي: لا إله إلا الله، ومعناها: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، فهذا نصٌّ صريح.

٨. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

- فقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، دلَّ على: لا إله.
- وقوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، دل على: إلا الله.

فلا إله إلا الله في هذه الآية هي: العروة الوثقى.

ومعناها من خلال هذه الآية: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والكفر بجميع المعبودات وإثبات استحقاق العبادة لله= فصار معنى لا إله إلا الله هو: لا معبود بحقٍّ إلا الله.

٩. **قصة وفاة أبي طالب** لما جاءه النبي ﷺ فقال له: "**يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**"[1]، فماذا فَهِمَ أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية من لا إله إلا الله؟

فهموا: تَركَ عبادة جميع المعبودات وإثبات استحقاق العبادة لله وحده، فقالوا: "يا أبا طالب أتترُكُ ملة عبد المطلب؟"، ففي ملة عبد المطلب لا إله إلا الله تعني: تركُ جميعِ المعبودات وعبادة إلهٍ واحد، وليس معنى لا إله إلا الله في ملة عبد المطلب: لا خالق إلا الله؛ لأنهم كانوا يقرون أصلًا بالرُّبُوبِيَّة.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩).

فالمقصود: أنه لو كان معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله= لما كان فيهم مخالفةٌ لملة عبد المطلب؛ لأن عبد المطلب كان يقول: "للبيت رب يحميه"، ويُقرُّ بربوبية الله، إنما كانت هناك معبودات يتوجه إليها بالعبادة؛ لكونه يعتقد أنها تشفع له عند الله.

١٠. وهذا رسولنا ﷺ بيَّن معنى لا إله إلا الله وبيَّن لماذا بعثه الله جَلَّجَلَالُهُ، ومن ذلك:

- قال: "**أُمِرتُ أن أقاتِل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**"[١].
- وقال ﷺ: "**بُعِثتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له**"[٢]، ففي هذا النص قال: "**أُمِرتُ أن أقاتِل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**"، وفي النص الثاني أتى بتفسير لا إله إلا الله، فقال: "**بُعِثتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له**"، فصار معنى لا إله إلا الله: "**يُعبَد الله وحده لا شريك له**".

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٤٠٨)، والدارمي في سننه (٢٣٩٨)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٦٢)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٤).

الدَّرسُ الثَّامِن

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٣)

موضوعات الدرس السابق:

أولًا: تعريف تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وهو: اعتقاد إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بربوبيته لهذا العالم بالخلق والملك والتدبير.

ثانيًا: دليل تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، ومنها: دليل التمانع في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

ثالثًا: مكانة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في الدين الإسلامي وأنه:

- ركن من أركان التَّوحِيد، لكنه وسيلة وليس غاية.
- وأن الغاية تَوحِيد الألوهية.
- وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة فِطرِيٌّ في النفوس.
- وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة لا يكفي وحده للسعادة والنجاح في الدنيا وفي الآخرة، بل لا بد من أن يضمَّ إليه تَوحِيد الألوهية.

رابعًا: تفسير لا إله إلا الله، وأن تفسيره بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة وأنه لا خالق ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله، ولا صانع إلا الله= ليس هو المعنى الصحيح، وإنما هو متضمن للمعنى الصحيح، **وأن المعنى الصحيح هو:** لا معبود بحق إلا الله، ويندرج ضمنه: لا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

- **وأن معنى لا إله إلا الله في اللغة:** لا معبود بحق إلا الله.
- **وأن معناها في الشرع:** لا معبود بحق إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

موضوعات هذه المحاضرة:

أولًا: خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ.

ثانيًا: مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

ثالثًا: نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

❖ الموضوع الأول: أهم خصائص الرُّبُوبِيَّة:

للرب سبحانه خصائص في ربوبيته اختص بها، ومن أبرزها:

أولا: الغنىٰ التام:

وهو أهمُّ خصائص الرُّبُوبِيَّة؛ فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غنيٌّ بذاته عما سواه، وسواه فقيرٌ إليه فلابد أن يكون الربُّ غنيًّا غِنًا تامًّا ولا يحتاج إلى غيره، هذا هو الرب وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو:

- ✓ **الأول الذي ليس قبله شيء**؛ فلا يحتاج لمن يخلُقُه أو يُوجِده، فلم يُسبَق بعدم، وهو غني أزليٌّ لا يلحقه فناء.
- ✓ **وهو الآخر الذي ليس بعده شيء**؛ فلا يحتاج إلى من يخلُفُه؛ لذا فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يلد ولم يولد.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

أَثَرُ سورَة الإِخلَاص في الإِيمَان بالرُّبُوبِيَّة:

ونريد أن نقف وقفة يسيرة حول سورة الإخلاص؛ لأن فيها معانٍ جليلة تدل على هذه الخصيصة، فنتساءل:

- لِمَ كانت هذه السورة لها المكانة العظيمة عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟
- ولِمَ كان لهذا الفضل الكبير عند الله؟ **فمن فضلها:** أن من قرأ سورة الإخلاص كان له من الأجر والثواب كمن قرأ ثلث القرآن.

- وما الحكمة من أن من عَلِمَ معنى سورة الإخلاص وآمن به وعمل بمقتضاه كان ذلك سببًا لدخول الجنة.

والدليل: كما في الترمذي عندما كان أبو هريرة ﵁ يسير مع النبي ﷺ، فسمع النبي ﷺ رجلًا يقرأ سورة الإخلاص، قال النبي ﷺ: "وَجَبَت"، قال أبو هريرة: "ما وجبت؟"، قال النبي ﷺ: "الجنة".

فانظروا ما في هذه السورة من الفَضل، فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه ﷺ:

إن سألوك من هو الله؟

فقل لهم:

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فهذا هو الأحد في ربوبيته، فهو أحدٌ أي: واحدٌ لا ثانيَ له، ولا شريك له في ربوبيته لهذا العالم.
- **ولذا كان:** ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ فلمَّا كانَ أحدًا كان: الصَّمد أي: الذي ترجع إليه الخلائِقُ في حوائجها وهو يقضيها لهم، هو المستحق وحده:
  - ✓ للعبادة.
  - ✓ ولرجوع الناس إليه.
  - ✓ وتضرعهم بين يديه.
- **فهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]؛ وهذا لكمال غِناه، فهذا متعلِّقٌ بخصائص الرب.، فهذا الأحد لابد أن يكون كاملَ الغِنَى.

فهو ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ لكونه:

- مستغنٍ عن الولد.
- ولكونه هو الآخر الذي ليس بعده شيء.
- ولكونه ليس بحاجة لمن يساعده.

- فهو الحي القيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- وهو القائم بنفسه والقائم بغيره؛ ولا يحتاج إلى غيره ليقوم به، بل هو القائم بغيره، وغيرُه هو المحتاج إلى أن يقوم به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لذلك كان غنيًّا عن:

- ✓ **الولد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.**
- ✓ **وغنيًّا عن الوالد**

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ وذلك لكمال غناه عن الوالد؛ لكونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

- ✓ لم يسبق بعدم.
- ✓ ولكونه هو الأول الذي ليس قبله شيء.

فلذلك السؤال عمَّن خلقه؟ والقول لمن أوجده= قولٌ غريبٌ عجيبٌ لا يقوله إنسانٌ يفهم معنى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

ولذلك تُصبِح وسوَسَة من الشيطان حتى يسأل:

- من خلق الله؟
- هل سُبِقَ بعدم؟
- هل هناك من تقدَّمه جَلَّجَلَالُهُ؟
- هل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُحتَاجٌ في وجوده إلى من يُوجِدُه؟

فالجواب: لا؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الغني.

الدليل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

فهذا من خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ وهو الغنى التام؛ الغني بذاته غنًى تامًّا عمَّا سواه، وسواه فقيرٌ إليه.

ثانيًا: الخَلْق:

ومن خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ: الخَلق؛ فهو الخالقُ وما سواه مخلوق؛ فكُلُّ الموجوداتِ هي مخلوقاتُه، ومن المعلوم أن الخلق مرتبة مهمة من مراتب القدر، ويتضمن ذلك:

- **مَراتِب القدَر وهي:**

١. أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو خالقُ المخلوقات.

٢. والعلم.

٣. والكتابة.

٤. والإرادة.

وهذه المراتب عامة على جميع المخلوقات:

- الموجودة.
- والتي ستوجد.
- والتي قد وجدت.

قد **عَلِمَها** الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الأزل، **وكَتَبَ** ذلك عنده، **وأرادَ** وقُوعَ هذه المخلوقات، سواءً كانت:

- إرادة كونيَّة.
- أو إرادة شرعية.

وأن الله **خلق** هذه المخلوقات شيئًا بعدَ شيء.

الأدلة:

- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الزمر:٦٢].

- وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر:٦٢].

خلق الله لأفعال العباد:

وتتضمن هذه المسألة بعض مسائلِ العلم والكتابة والإرادة؛ فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

- ✓ **عَلِمَ** جميع المخلوقات بأوصافها ومقاديرها وأزمانها، عَلِمَها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- ✓ **وكتب** كل شيء عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ممَّا يتعلقُ بهذِه المخلوقات، فنؤمن بالعلم السابق والكتابة السابقة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأن الله عَلِمَ وكتَبَ؛ **لكنَّنا بالنسبة لأفعال العبد الاختياريَّة التي عليها الثواب والعقاب نعلَمُ أنَّ الله عَلِمَ ما العِبَادُ عامِلُون باختيارهم وإرادتهم**، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعطاهم:

- الاختيار.
- والإرادة.

لكنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَلِمَ ماذا سيختارون؟

وماذا سيفعلون؟

عَلِمَه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعَلِمَ أنهم سيفعلون ذلك باختيارهم وإرادتهم، فكَتَبَ ما عَلِمَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، **فليس في العلمِ السابقِ والكتابَةِ السَّابِقَةِ أيَّ جبرٍ لأفعال العبد الاختياريَّة البتَّة.**

إذًا؛ لا يمكنُ أن يكون هناك جَبرٌ ثم يعاقبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أو يثيبه عليه وهو مجبور؛ **فالعلم السَّابق والكتابة السَّابقة يدُلَّانِ على أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عالِمُ الغيبِ وعالِمُ الشَّهادَةِ**؛ عِلمَ ما العِبَادَ عاملون قبل أن يعمَلُوه، فكتب ذلك عنده قبل أن يعملوه باختيارهم وإرادتهم.

وأيضا: كلَّ هذه المخلوقات التي تحصل= أراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقوعَها؛ ومن ذلك أفعال العبد الاختيارية؛ **فأراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقوعها:**

١. **فما كان موافقًا للشرع**= فأراد الله وقوعَه شرعًا، ولذلك سُمِّيَ: **إرادة شرعيَّة**.

٢. **وما كان مخالفًا للشَّرعِ** -سواءً كان الإنسان عاصيًا أو كافرًا أو فاسقًا- فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أراده أن يكون في كونه؛ ولذلك سُمِّيَ: **إرادة كونيَّة**، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أراد أن يكون في كَونِه:

- الطاعةَ والمعصيةَ.
- وأراد أن يكون في كونه الكفر والإيمَانَ.

حتى يصحَّ الابتلاء والاختبار للناس.

الخلاصة: فإذا فعل الإنسان ما طلبه الله منه:

- **شرعًا**= إذًا هو نَفَّذ الإرادة الشرعية.
- **وإذا فعل الإنسان ما يخالف الشرع**= فهذا أراده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **كَونًا**.

فإذا سُئِلتَ: هل المعصية أرادها الله؟

تقول: أرادها كَونًا، ولم يردها شرعًا.

وهل الصلاة أرادها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟

تقول: نعم أرادها شرعًا وكونًا.

إذًا؛ هذه مسألة الخلق، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خَلَقَ كلَّ هذه المخلوقات؛ ومن تلك المخلوقات: أفعال العِبَادِ الاختياريَّة، خَلَقَها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما خلق في العبد من:

- الإرادة.
- والقدرة.
- والعقل.
- والاختيار.

وهكذا فأفعال العباد فِعلٌ لهم؛ ولذلك فالإنسان هو العاصي وهو الطائع، وأفعاله هذه مفعولةٌ للرَّب مخلوقةٌ لله بما خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العبد من القدرة والاختيار.

الأدلة:

- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾[يس:٦٧].
- وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٦٦].

فهذا ما يتعلق بالقضاء والقدر بشكل مختصر.

ثالثًا: الملك:

فمن الخصائص للرَّب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: الملك؛ فكُلُّ هذه المخلوقات خاضعةٌ له، وهي تحتَ مُلكِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا يخرج منها شيء عن سلطانه وقهره، ومُلكُ غيرِه في الدنيا إنما هو بتمليكِ الله له؛ فلو شاءَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنزَعَهُ منه، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المالك الحقيقي لجميع المخلوقات.

الأدلة:

- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩].
- وقال الله ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:١٢٠].
- وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

رابعًا: التدبير:

ومن خصائص الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: التدبير، فالرَّب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُدبِّر جميع مخلوقاته؛ فجعل لمخلوقاته سُنَنًا تسير عليها، وجعل للمكلَّفين شريعةً؛ منهاجًا لهم في حياتهم، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُدبِّر أمور مخلوقاته وذلك:

- ✓بقدرة.
- ✓وعلم.
- ✓وحكمة.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣]، إلى غيرِ ذلكَ من الآيات.

خامسًا: الاستقلال بالفعل:

من خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ أنه ﷻ مستقلٌّ بالفعل؛ فالرَّب وحده جَلَّجَلَالُهُ هو القادر على الفعل بنفسه بدون مُعِينٍ أو شريك، **وليس في الوجود شيءٌ واحدٌ مُستَقِلٌّ بفعل شيء إذا شاء، إلا الله وحده.**

الدليل: قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]، وأما نحن فعندما نريد أن نفعل شيئًا فعلينا أن نأتي بالسبب، وهذا السبب لا يمكن أن يقوم بنفسه هكذا؛ لأن هناك شروطًا لا بد من توفرها، ولا بد من انتفاء الموانع.

أي: لا بد من تقدير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهذا الشيء؛ **فالعبد لا يستطيع أن يستقلَّ بالفعل، بل لا بد من إعانة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له.**

أما الله جَلَّجَلَالُهُ فهو يفعل ما يُريد، وهو مُستَقِلٌّ بالفعل بنفسه، يقول للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

سادسًا: العطاء والمنع:

من خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ العطاء والمنع، فالرَّب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هو المُعطِي المانِع، لا مَانِع لما أَعطَى، ولا مُعطِيَ لما مَنَع.

وليس في مخلوقاته من يُعطي ويمنع مستقلًّا بذاته، بل هو سببٌ مُسَخَّر بقدرة الله وحكمته، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يُجري العطاء والمنع بواسطته.

الأدلة:

- قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٣٠].
- وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

سابعًا: الخفضُ والرفعُ:

من خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ الخفض والرفع، فالرب يخفِضُ من يشاء بعَدلِه، ويَرفَعُ من يشاء بفَضلِه، ولا يَستقِلُّ أحدٌ سِواه بذلك.

الدليل: قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

ثامنًا: العزُّ والذُّلُّ:

من خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ العزُّ والذُّلُّ، فالرَّب يُعِزُّ المؤمنين بفضله، ويُذِلُّ الكافرين بعدله، وهذا من تمام ربوبيته جَلَّجَلَالُهُ، فهو يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُكرِمُ ويُهِين.

الأدلة:

- قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦].
- وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

❖ الموضوع الثاني: مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

من عَرَفَ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة فإنه يعرف أن له مقتضيات، وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة= إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخلق والملك والتدبير سواءً كان:

١. التدبير الكوني.

٢. أو التدبير الشرعي.

مثال: عندما نقول: الله منفردٌ بخلق هذا العالم= إذًا هو الخالق وما سواه مخلوق.

فمن مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ما يأتي:

المقتضىٰ الأول:

أن من عرف أن الله هو الخالق وحده وما سواه هي المخلوقات= فلا بُدَّ أن يوحِّدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته؛ فهو خالقٌ وما سواه مخلوق.

فلا يمكن أن يكون المخلوق مثل الخالق، ولا يمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق، بل لا بد من تَوحِيد الله في ذاته فالله لم يسبق بعدم فهو:

- ✓ الأول الذي ليس قبله شيء.
- ✓ وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.
- ✓ وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء.
- ✓ وهو الباطن الذي ليس دونه شيء.

إذًا تَوحِيد الربوبية يقتضي أن:

- نُوحِّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذاته في وجوده وفي أسمائه وصفاته.
- ونعلم أن الأسماء والصفات وإن اشتركت في الألفاظ والمعاني الكلية من تلك الألفاظ إلا أنه عند الإضافة والتقييد والتخصيص= فلِكُلٍّ من الخالق والمخلوق ما يخصه.

أسماء الله وصفاته حال الإطلاق وحال التقييد:

أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفاته إذا أُضِيفت إلى الله جَلَّجَلَالُهُ: فلا يمكن أن يشرَكَهُ فيها المخلوق، لا يمكن أن يكون المخلوق مشاركٌ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في تلك الأسماء والصفات عند الإضافة والتقييد.

وكذلك: لا يمكن أن يكون هناك مماثلة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في صفات المخلوق إذا أضيفت إلى المخلوق.

فعند الإضافة والتقييد والتخصيص يكون لكلٍّ منهما ما يخصُّه، فهذا يليق به كمخلوق وهذا يليق به كخالق.

فعند الإضافة والتقييد والتخصيص لا اشتراك البتة.

وعند الإطلاق وبدون إضافة ولا تقييد ولا تخصيص يكون هناك اشتراك في الألفاظ والمعاني الكلية من تلك الألفاظ.

مثال: السمع.

- **فإدراك المسموعات** هنا يكون مشتركًا.
- لكن عندما نقول: **سَمعُ الله**؛ فسمع الله يليق به لا يشركه فيه المخلوق، سَمعُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يليق به، فلا يخفى عليه صوتٌ ولا تختلِطُ عليه الأصوات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- **وسَمعُ المخلوق** يليق به لا يشركه الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كيفيَّةِ سَمعِه.

فمن مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: أن نوحد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ذاته في أسمائه وصفاته، فالذي يوقن بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير لا شريك له في ذلك= فإنه يتوجه إلى الله جَلَّجَلَالُهُ ويقصد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجميع أنواع العبادة.

المقتضىٰ الثاني:

من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبودية الخالصة له، وفق الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ في جميع مناحي الحياة.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

فيتوجَّه الإنسان إلى الله بكل ما ثبت في الكتاب والسنة من العبادة.

وتعريف العبادة هي: كل قول أو فعل ثبت في الكتاب والسنة:

- الأمر به.
- أو الحث على فعله.
- أو مدح فاعله.

فإنه يُتَوجَّه به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا تُصرف إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصرفها لغير الله= شركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا مخالفٌ ليس فقط للألوهية بل حتى لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ لأن الرُّبُوبِيَّة تقتضي وتقول: أَفرِدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة.

أمثلة:

- الدعاء لا يكون إلا لله.
- الاستغاثة لا تكون إلا بالله.

فالدعاء والاستغاثة أي: في أمر لا يقدر عليه إلا الله.

- الذبح للتقرب إلى هذا المذبوح له بالدم لا يصرف إلا لله.

وهكذا أيها الأحبة يتعلم الإنسان تلك العبادات الواردة في الكتاب والسنة، فيصرفها لله جَلَّجَلَالُهُ ويعلم أن:

- صرفها لله هو التَّوحِيد.
- وأن صرفها لغير الله هو الشرك والتنديد.

المقتضىٰ الثالث:

من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة أن يُفرِد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بقضائه وقدره، وأن كل ما يكون في هذا الكون:

- **عَلِمَه** الله من الأزل.
- **وكتبه** عنده.
- **وأراد** وقوعه، سواء كان:

١. إرادة كونِيَّة.

٢. أو أراده شرعية.

- وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **خلقه** شيئا بعد شيء.

فيعلم بأن الله هو المنفرد بتدبير هذا الكون، فلا يتحرك شيءٌ ولا يسكن شيءٌ إلا بإذنه وأمره؛ فهو الذي قدَّر الخلائق في الأزل فعَلِمَها وكتبها وشاء وقوعها وخلقها شيئا بعد شيء.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

المقتضىٰ الرابع:

من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: الذي يعلم أن الله هو المنفرد بالتدبير؛ سواء:

- التدبير الكوني.
- والتدبير التشريعي؛ فالله هو المنفرد بالتشريع، وليس لأمير ولا لوزير ولا لعَالِمٍ ولا لعابد أن يكون مُشرِّعا مع الله، فالتحليل والتحريم لا يكون إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الدليل: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى: ٢١].

❖ الموضوع الثالث: نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

ما الذي ينقضُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؟

هناك عدة نواقض لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، ومنها:

الناقض الأول:

الذي ينكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فيُلحِد ويُنكِر وجودَهُ مطلقًا، فهذا لا شك أنه ارتكبَ ناقضًا من نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

من الأمثلة على ذلك:

- فرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾[القصص:٣٨].
- الدهرية الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:٢٤].
- المَلَاحِدة في العصر الحديث.
- القائلين بقِدَمِ العالم.
- وكذلك أهل وحدة الوجود الذين لا يعتقدون بإله مفارق لهذه المخلوقات، وأنه بائن من مخلوقاتها، وهم الذين يقولون: بأن الله داخل في هذا الكون، وأن هذا الكون بأكمله ظاهره خلق وباطنه حق.

فهؤلاء أهل وحدة الوجود ملاحدة وإن كانوا يسمون ملاحدة متألهة، لكنهم في الواقع ملاحدة.

ومن أنواع الإلحَاد كذلك:

اعتقاد شريك مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الخلق، فإثبات فاعلٍ مستقل بفعله مع الله جَلَّجَلَالُهُ شركٌ في الرُّبُوبِيَّة.

أمثلة:

أولا: الذين يعتقدون بأن هناك خالقًا للشر غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومنهم:

- الثنوية.
- والمجوس.

ثانيا: القائلون بالتثليث؛ كالنصارى، فهم يجعلون لعيسى عليه السلام أو لروح القدس مخلوقاتٍ خلقوها، فكل واحدٍ له وظائف مختصة به لا يشركه معه الأَب.

ثالثًا: لازم مذهب القدرية، فيلزَمُهُم عندما يقولون: الإنسانُ خالقٌ لفعله= أنهم يُشرِكُونه مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الخلق.

رابعًا: من يعتقد أن هناك من يستقل بالفعل من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهذا يعتقد شريكًا مع الله في الخلق.

الناقض الثاني:

الذي يصف الصانع جَلَّجَلَالُهُ بما يدل على أنه ليس بموجود؛ فيُعطِّل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته؛ بحيث يصبح وكأنه عدم، فهذا أيضا يدخل ضمن الإلحَاد.

من الأمثلة على ذلك:

من عَطَّل أسماء الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية.

- فالجهمية يعبدون عدمًا.
- والقرامطة يعبدون ممتنعا.

الناقض الثالث:

من النواقض لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: أن يجعل مع الله لغيره ملكًا أو تدبيرًا؛ فكل من يجعل مع الله شريكًا في الملك أو في التدبير= هذا يَقَعُ في ناقِض من نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

مثل:

- **الروافض** الذين يقولون:
  - ☒ بأن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف بهما كيف يشاء.
  - ☒ وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل إداء، وأمانٌ من كل خوف.
  - ☒ أن أئمتهم يعلمون الغيب ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

  نعوذ بالله من الشرك بالله.
- **والنصيرية** القائلون:
  - ☒ بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
  - ☒ وبأنه المتصرف بالكون.
  - ☒ ووصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يُوصف بها أحد إلا الله عز وجل؛ مع اختلاف أقوالهم في هذا فبعضهم يقول:
    - إنه يسكن الشمس، ويسمونه بالشمسية.
    - وبعضهم يقول: إنه يسكن في القمر، ويسمونه بالقمرية.
    - وبعضهم يقول: إنه يسكن في السحاب؛ ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل.
- **وغلاة الصوفية**؛ لغلوهم في الأولياء وزعمهم أنهم يضرون وينفعون ويتصرفون في الكون ويعلمون الغيب.

فكلُّ هؤلاء يقعون في الشرك في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ لصرفهم شيئًا من الملك أو التدبير المختص بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأئمتهم.

الناقض الرابع:

ومن النواقض لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: جَعلُ شريك لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في التشريع.

مثل:

القانونيُّون الذين يضعون للناس القوانين البشرية، ويحكمون بها ويطالبون بالتحاكم إليها.

فهؤلاء يقعون في ناقضٍ من نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

❖ خلاصة هذه المحاضرة:

أهمُّ خصائص الرب، ونحن في أَمَسِّ الحاجة لها؛ لذلك عندما تملأ قلبك في هذه العقيدة:

- ✓ أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الغني الغنى التام.
- ✓ وأنه هو الخالق.
- ✓ وأنه هو المالك.
- ✓ وأنه هو المدبر.

وتلتزم بالمقتضيات لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وتجتنب وتنتهي عن نواقضَ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، **فهذا الإنسان لا شك أنه سيكون صالحًا في هذه الحياة.**

وهذا الإنسان هو الذي سيتوجه بالدعاء إلى الله، وبالاستغاثة إلى الله.

الدليل على ذلك: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

فمن علم أن الأمور كلها بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن كل شيءٍ في هذا الكون مما يريده الإنسان من:

- السعادة.
- والعافية في البدن.
- والسعادة في الرزق.

فهذه كلها بيد الله؛ لذلك من اعتقد هذا الأمر:

- ✓ أن الحياة بيد الله.
- ✓ والموت بيد الله.
- ✓ وأن الرزق بيد الله.

- ✓ وأن جلب المنافع بيد الله.
- ✓ وأن دفع المضار بيد الله.
- ✓ أن الشفاء بيد الله.
- ✓ أن السعادة بيد الله.

هذا الإنسان سيتوجه إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالدعاء والتضرع، ويطلب من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذلك، ويعمل بالأسباب معتقدًا أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي يسخر تلك الأسباب لتحقيق تلك النتائج.

فالمقصود: أن الإِيمَان بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في غاية الأهمية، ويجب على كل طالب علمٍ:

- أن يرسخه في نفسه.
- وأن يرسخه في غيره.
- وأن يدعو إليه.

الدَّرسُ التَّاسِع

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٤)

موضوعات المحاضرة السابقة:

الموضوع الأول: خصائِصُ الرَّب جَلَّجَلَالُهُ.

أهمُّ خصائِصِ الرَّب جَلَّجَلَالُهُ، وسبق أن هذه الخصائص تفيدنا في استحضارنا دائمًا لمعنى الرُّبُوبِيَّة؛ **فعندما نفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالرُّبُوبِيَّة ونستحضر هذه الخصائص= فهي تفيدنا في:**

- علاقتنا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- وفي تعبدنا لله جَلَّجَلَالُهُ.

فعندما نعلم أن من خصائص الرُّبُوبِيَّة:

أولًا: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غنيٌّ غِنًى تامًّا في وجوده؛ فوجوده لم يُسبق بعدمٍ ولا يلحقه فناء؛ لذلك هو:

- غنيٌّ عن الوالد.
- وغنيٌّ عن الولد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- وهو غنيٌّ عن المعين.
- وغنيٌّ عن الشريك.
- وغنيٌّ عن الوزير سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- وهو الحي القيوم غنيٌّ بنفسه جَلَّجَلَالُهُ.

وجميع مخلوقاته مفتقرةٌ إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

- مفتقرةٌ إليه في وجودها.
- ومفتقرةٌ إليه في حياتها.
- مفتقرةٌ إليه في معيشتها.
- مفتقرةٌ إليه في كل جانب من جوانب حياته.

فالله هو الغني وما سواه فقير إليه، والله غنيٌّ غِنًى تامًّا عن كلِّ ما سِواه جَلَّجَلَالُهُ.

ثانيا: عندما نؤمن بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة نستحضر صفة الخلق، وأن من خصائص الرُّبُوبِيَّة: الخلق.

وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالق كل شيء؛ **فحتى أفعال العباد الاختيارية هي مخلوقة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما خلق الله ﷻ في العباد من القدرة والإرادة والجوارح.**

وهكذا فالله أقدرهم على أفعالهم؛ فكانت تلك الأفعال:

✓ فعلًا لهم.

✓ مفعولة لله جَلَّجَلَالُهُ، أي: مربُوبَة لله مخلوقة لله؛ بحيث لو شاء الله ألَّا تكون فإنها لن تكون.

وإنما كانت بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وبقدرة العبد على أن يقوم بفعله الاختياري.

ثالثًا: ومن خصائص الرب جَلَّجَلَالُهُ الملك التام، وأن كل ما في هذا الكون هو ملكٌ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لا يخرج عن ملكه شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فاستشعار هذا الملك التام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ وأن من مَلَكَ في هذه الدنيا شيئًا إنما ملك= بِتَمليك الله له، ولو أراد الله أن يَنزِع عنه هذا الملك لَنَزَعه.

وأنه لا يبقى يوم القيامة إلا مُلكُ الله جَلَّجَلَالُهُ، ولا يمكن أن يكون لأحد يوم القيامة مُلكٌ لشيءٍ من هذه المخلوقات.

رابعًا: ومن خصائصه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: التدبير؛ أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو مدبِّر أمرِ هذا الكون، فكلُّ ما في هذا الكون مدبَّرٌ لله.

ومن ذلك أنه جَعَل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ شريعةً للناس يسيرون عليها، فالتدبير لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

مثل: تدبير الكواكب، فهو لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأيضا: يستشعر الإنسان أن الله هو وحده جَلَّجَلَالُهُ مستقِلٌّ بالفعل، لا يحتاج سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلى أسبابٍ جَلَّجَلَالُهُ إذا أراد أن يفعل شيئا.

وذلك بخلاف المخلوقين فهم إنما يفعلون حتى تأتي الثمرة لفعلهم، ولا بد من توفُّر الشروط وامتناع الموانع؛ فلا يستقل أحدٌ بالفعل إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

خامسًا: ومن خصائصه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: العطاء والمنع، وأن المعطي هو الله والمانع هو الله، وأن جَلبَ المنافع ودفع المضار بيد الله.

فهذا الاستشعار يؤثر على عبودية الإنسان وعلى علاقته بالله جَلَّجَلَالُهُ.

سادسًا: ومن خصائص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: مسألة الخفض والرفع والعز والذل، فهذه كلها بيد الله جَلَّجَلَالُهُ.

الموضوع الثاني: مقتضياتُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

فقد سبق أن تناولنا جملة من مقتضياتِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، ومنها:

أولا: من اعتقد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير= **وَجَبَ عليه أن يفرده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته.**

وأنه لا يوجد له مثيلٌ لا في أسمائه ولا في صفاته وهذا ثابت عقلًا؛ لأن هذا مخلوقٌ وهذا خالق، فلا يُمكِن أن يكون الخالق في شيء من صفاته مثل المخلوق، بل سيكون هناك تناقض وتضاد.

مثال: عندما تقول: يد الله -تعالى الله ﷻ عن ذلك- مثلُ يد المخلوق= فكأنك تصف يد الله بأنها لم تُسبَق بعدمٍ وفي الوقت ذاته تقول: هي مسبوقة بعدم؛ لأن يد المخلوق مسبوقة بعدم ويدُ الله لم تسبق بعدم= فكأنكَ تصِفُ الصفة بصفتين متضادتين أو متناقضتين.

مثال آخر: إذا وصفت المخلوق تقول: يد المخلوق مثل يد الله= يحدث التضاد والتناقض.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١].

فنُفرِد الله بأسمائه وصفاته؛ وأن الأسماء والصفات وإن اشتركت في الألفاظ والمعاني الكلية حالَ القطع عن الإضافة والتَّقييد والتَّخصِيص، فإنه عند وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفة -وكانت هذه الصفة وُصِفَ بها المخلوق-؛ فإن صفة الله لا يَشرَكه فيها المخلوق.

مثال: عندما نقول (سَمعُ الله) انتفى التشابه والتماثل، ولا يمكن أن يكون مثل سَمعِ المخلوق، أو أن يكون سمع المخلوق مشاركٌ لسمعِ الله في شيء.

إذًا، عندما تضيف الصفة إلى الله فتقول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:١]، وتقول: سَمِعَ المخلوق:

- فإن سمع الله يليق به كخالق جَلَّجَلَالُهُ.
- وسمع المخلوق يليق به كمخلوق.

لا تماثل في ذلك.

ثانيًا: من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: **إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة**، فطالما تُقِرُّ أن الله:

- لا شريك له في الخلق.
- ولا شريك له في الملك.
- لا شريك له في التدبير.

فكيف تشكُرُ معه غيره في الخلق أو الملك أو التدبير؟!

فهذا جنونٌ وحُمقٌ وظُلم، بل هو أقبح الظلم وأقبح الجرائم: أن تشكُرَ مع الله غيره فيما لم يفعله ذلك الغير، فليس لذلك الغير شراكةٌ في ذلك:

- لا في ملكَ ولا تدبير ولا أي شيء.
- ولا إعانةٍ ولا وزارة ولا شيء.

فكيف تأتي وتشكُرُ مع الله غيره وتعبد مع الله غيره؟!

فمن اعتقد أن الله هو المنفرِدُ بالخلق والملك والتدبير= وَجَبَ عليه أن يُفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجميع أنواع العبادة.

ثالثًا: من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: **أن تعتقد أن التدبير الشرعي لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ،** وهو داخلٌ في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وأن الله هو المنفرد بالتشريع والتحليل والتحريم.

فكيف تجعل مع الله غيره في أمر التحليل والتحريم؟

لا يمكن:

☒ لا لِمَلِكٍ.

☒ ولا لوزيرٍ.

☒ ولا لِعالِمٍ.

☒ ولا لعابدٍ.

أن يكون شريكًا مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في التحليل والتحريم.

رابعًا: من مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: **أن ترضى بقضائه وقدره،** وأن كلَّ ما يكون في هذا الكون= إنما هو بتقدير الله جَلَّجَلَالُهُ.

الموضوع الثالث: نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

ومن أهم النواقض:

أولًا: الإِلحَاد:

والإِلحَاد نوعان:

الأول: الإِلحَاد المادي؛ الذي يُنكِر أن يكون لهذا الكون خالق.

الثاني: الإِلحَاد الروحي أو الروحاني.

مثال: أصحاب وحدة الوجود، الذين يزعمون أنهم يعتقدون بوجود إله، لكنَّ هذا الإله:

☒ ليس مفارقًا لهذا الكون.

☒ وليس بائِنًا عن هذا الخلق.

إنما هو داخل في مخلوقاته.

فهؤلاء الذين يرون أن الإله داخلٌ في جميع المخلوقات، فلا يصفونه إلا بما يُوصَفُ به العدم، والوجود المطلق بشرط الإطلاق= **فهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود،** ومذهبهم هذا إِلحَاد، وإن كان في هذا الإِلحَاد ذكرُ الإله؛ فهم يذكرون الإله، لكنهم يعتقدون أن هذا الإله هو:

☒ هذا الكون.

☒ وأن هذا الإنسان أصلًا يرجع إلى كونه إلهًا.

☒ وأن هذه المخلوقات في الظاهر خلقٌ وفي الباطن حق.

فأقاويلهم إِلحَاد لكنها ليست إِلحَادا صريحًا كالإِلحَاد الأول.

فهم يقولون: يوجد إله لكن، أين هذا الإله؟

فيقولون: هذا الإله موجودٌ في هذا الكون، وهذا الكون ظاهره خَلقٌ وباطِنُه حق.

فهذا إِلحَاد.

مثال آخر للإِلحَاد الثاني: من يعتقد أن لله شريكًا في الخلق، وأن هناك من يخلق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، سواءً كان هذا من لوازم مذهبه، أو كان هذا صريحَ مذهبه.

- **مثال الصريح أن يقول:** إن هناك خالقًا للشر غير الله.
- **مثال اللازم أن يقول:** أن الإنسان خالقٌ لفعله.

ثانيًا: من النواقض لتَوحِيد الربوبية: **من يعتقد أن لله شريكًا في ملك هذا العالم أو في تدبير هذا العالم.**

ثالثًا: ومن النواقض: **من يعتقد أن هناك شريكًا لله في تشريعه.**

مثل: القانونِيُّون.

موضوعُ هذه المحاضرة:

❖ نواقِصُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

سنتحدث هنا عن النواقِص وليست النواقض،

والمقصود بالنواقص: أمورٌ تُنقصُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان وتوقِعُه في الكفر الأصغر، لكنها لا تُخرِجُه من ملة الإسلام ولا توقعه في الشرك الأكبر ولا توقعه في الكفرِ الأكبر.

ومن تلك النواقص ما يأتي:

أولًا: إضافةُ النِّعم إلىٰ غَيرِ الله تعالىٰ:

وهي أعظم هذه النواقص: إذ إنها تتعلق بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فنحن في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة نعتقد أن المنعم هو الله وحده لا شريك له.

الدليل: ما في حديث جابر رضي الله عنه في حجة الوداع، قال جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "فأهَلَّ بالتَّوحِيد"(١)، فإهلالُه ﷺ تَوحِيد.

دليل آخر: ومن ذلك قال النبي ﷺ: "**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**"(٢).

فقوله ﷺ: "**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك**": هو تَوحِيد الألوهية، فهو يقول: أن هذا الحج خالصٌ لوجهِك فلبَّيْك، سأَحُجُّ حجةً خالصةً لوجهك.

وقوله ﷺ: "**إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**": تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وتَوحِيد الأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤).

إذًا؛ من تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، تَوحِيدُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بإنعامه؛ فالنِّعمةُ من الله وحده لا شريك له.

أنواع شكر نعمة الله:

ويجب علينا أن نشكر نِعَمَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علينا، وشكرُ نِعَمِ الله يكون:

- ✓ بالقلب.
- ✓ ويكون باللسان.
- ✓ ويكون بالجوارح.

- **أما بالقلب:** فيعترف الإنسان ويُقِرُّ بأن هذه النعم التي جاءته هي من الله وحده لا شريك له، فيعترف بنعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بقلبه؛ وبأن هذه النعمة التي أصابته أو أصابت غيرَه المنعمُ بها هو الله وحده لا شريك له.
- **وأما باللسان:** فيقول ذلك بلسانه ويتحدَّث بهذه النعم ويسندها إلى الله جَلَّجَلَالُهُ.

فيقول: هذه النعم من الله، والحمد لله هذا من فضل الله وهذه نعمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولا يُسندها:

- ☒ لا إلى نفسه.
- ☒ ولا إلى غير الله جَلَّجَلَالُهُ.

إنما يسندها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له.

- **أما بالجوارح:** أن يستعين بهذه النعم على طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يستعين بها على معصية الله جَلَّجَلَالُهُ.

أقسام الناس في إضافة النعم:

بالنسبة لأقسام الناس في إضافة النعم فهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هناك من يضيفها إلى الله قولًا وعملًا، فهو يضيفها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يعترف بها بقلبه وبلسانه، ويشكرها بجوارحه وهذا من تمام التَّوحِيد، **فهذا صاحب التَّوحِيد التام الذي يضيف النعم إلى الله قلبًا ولسانًا ويستعين بها على طاعة الله.**

القسم الثاني: من يُنكر نعم الله عليه بقلبه ولسانه، ويضيفها إلى غير الله **فيقع في الشرك الأكبر.**

القسم الثالث: هو يقرُّ بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقلبه، وهذا حاله في لسانه الدائم أنه يلهج بها ويضيفها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلسانه، ويستعين بها على طاعة الله جَلَّ جَلَالُهُ.

لكنه أحيانا تخرج منه ألفاظ يُسند فيها تلك النعم إلى غير الله جَلَّ جَلَالُهُ:

- فتارة يضيفها إلى الله.
- وتارة يضيفها إلى نفسها.
- أو إلى الأسباب.

فإضافتها إلى الأسباب أو إلى نفسها يسمى (شركُ الألفاظ) وهي: التي تخرج من اللسان لكنه لا يقصدها بقلبه.

ثانيًا: شركُ الألفاظ:

المراد بشركِ الألفاظ:

والمراد بشرك الألفاظ: ألفاظٌ تصدُرُ من الإنسان من غير عقيدة تُضَادُّ تَوحِيد الله وتعظيمه وحده لا شريك له.

مثل أن يقول:

☒ لولا الله وفلان.

☒ ما شاء الله وشاء فلان.

وهكذا فتخرج من غير قصد منه.

المثال الأول لشركِ الألفاظ:

العطف بالواو بين الله وبين أحدٍ من خلقه في أيِّ أمرٍ يكون للمخلوق تدخُّل في وقوعه.

مثل أن يقول:

☒ ما شاء الله وشئت.

☒ استعنت بالله وبك.

☒ ما لي إلا الله وأنت.

☒ لولا الله وفلان لهلكت.

حكم شركِ الألفاظ:

فالأصل في حكمُ هذا القسم: **أنه شرك أصغر**؛ لأنه لا يعتقد التسوية، وإنما هي ألفاظ خرجت من لسانه من غير عقيدة في قلبه تُضادُّ تَوحِيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتعظيمه.

لكن إن كان يعتقد التسوية بين ذلك الشخص وبين الله فهذا يتحوَّل إلى شركٍ أكبر.

والصواب:

- **أن يقول:**
  - ✓ ما شاء الله ثم ما شاء فلان.
- **أو أن يُسنِد الأمر كلَّه إلى الله، فيقول:**
  - ✓ ما شاء الله وحده.
  - ✓ واستعَنتُ بالله جَلَّجَلَالُهُ.

إذًا؛ القاعدة: إسناد النعم إلى غير الله أو إسناد النعم إلى الله ومعه غيره بحرف يقتضي التسوية هذا من شرك الألفاظ.

الدليل: عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**"(١)، فهذا التعليم الصحيح.

المثال الثاني لشرك الألفاظ:

وهو أن يستسقى بالأنواء، وهو من الأمور الخطيرة على الإنسان.

أمثلة:

☒ نسبة نزول المطر إلى طلوع النجم أو غيره.

☒ أو نسبة السُّقيا إلى هذه الطوالع.

فهذا حكمه على أحد حالين:

١. **شركٌ أصغر**؛ ووجه كونه شركًا: أنه شركٌ في الرُّبُوبِيَّة.

٢. **ويصير شركًا أكبر**؛ إذا اعتقد أن لها تأثيرًا بذاتها -أي: هذه الأنواء ومطالع القمر وغيرها-.

فالحكم فيها إذًا:

- إذا اعتقد أنها علامة فقط= **فهذا لا شيء فيه**.
- إذا اعتقد أنها سبب فقط= **فهذا شرك أصغر**.
- إذا كان ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأَنوَاء على أنها الفاعلة بنفسها دون الله، ولو لم يدعوها ولو لم يتوجه إليها بالدعاء= **فهذا شرك أكبر**.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (١٠٩٨٨)، وابن ماجه في سننه (٢١١٧)، وأحمد في مسنده (٢٧٥١٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٢٢٥).

مثال للشِّركِ الأكبر في هذا النوع: في الماضي كانوا يتوجَّهون إلى تلك الأنواء بالدُّعاء من أجل أن تسقيهم، فهذه مصيبة!

وكانوا يجعلون لتلك المَطَالع هيكلًا في الأرض ثم يتوجَّهون لتلك الهياكل الأرضية حتى تُوصِل لهم دعاءَهم إلى الأَنوَاء في السماء، ثم الأَنوَاء تسقيهم وتنزل عليهم الأمطار -كما يزعمون- **فهذا شرك أكبر.**

أما إذا جعلها سببًا -والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يجعل هذه الأنواء سببًا، وإنما جعلها علامات-.

فهو إن جعلها سببًا= **دخل في الشرك الأصغر**، فإذا أضاف إليها نزول المطر على أنها سبب هذا شرك أصغر.

وإذا أضافها وهو يقصد أنها علامة.

مثال: أن يقول إذا جاء النجم الفلاني عادةً تبدأ مواسم المطر؛ هذه من باب الدلائل لا من باب الأسباب.

ثالثًا: الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله؛ بحيث يكون الإنسان دائمًا يحلف بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن في بعض الأحيان يَجرِي على لسانه فيحلف بغيره.

الدليل: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**"(١).

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٣٧٦٩)، وأبو داود في سننه (٣٢٥١)، والترمذي في سننه (١٥٣٥)، وأحمد في مسنده (٥١١٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٣٣٨).

فالحلف لا يكون إلا بالله، وهذا من تعظيم الله، وهذا من الإيمان بربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُفرد الإنسان ربَّه بالحلف؛ **لأن الحلف تعظيم للمحلوف به**، فهذا التعظيم لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو الذي يُحلَف به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيَحلِف بالله:

- إما بأسمائه.

مثال: أن تقول: والله والرحمن والعزيز.

- أو بصفاته.

مثال: أن تقول: بعزة الله ورحمة الله وقدرة الله.

هذا هو الأصل في الحلف من الإنسان؛ أن يحلف بالله.

ولكن إذا حلف بغير الله، كان حلفه جاريًا على لسانِه.

مثل:

☒ أن يقول: والنبي، وجاه النبي.

☒ أو يقول: والولي الفلاني، أو بجاه الولي الفلاني.

☒ أو يحلف بالآباء والأمهات أو بغيرهم كأن يقول: بحياة أبي.

☒ أو يحلف بالأمانة.

☒ أو يحلف بالشرف.

☒ أو يحلف بالنعمة.

☒ أو يحلف بالطلاق.

فهذه أمثلة الحلف بغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

حكم الحلف بغير الله:

- **والأصل فيها أنها شركٌ أصغر، إذا كان الإنسان لا يصل في تعظيمه لهذه الأشياء إلى حدِّ تعظيمِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.**

إنما يجري ذلك على لسانهم، **والواجب عليه إذا جرى على لسانه مثل هذا الكلام أن يقول بعدها مباشرةً:** لا إله إلا الله.

الدليل: "من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله"(١).

- أما إن كان وصل في التعظيم أن يعظِّم مثل هذه الأمور كتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ= تَحوَّل إلى الشرك الأكبر.

ومن المسائل المتعلقة بتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

أولًا: أن من تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه إذا حُلِفَ لكَ بالله ترضَى، وهذا الذي يُحلَفُ له بالله ولا يقتنع به= عنده ضعف في تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الدليل: عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تحلِفوا بآبائكم، من حَلَفَ بالله فليَصدُق، ومن حُلِفَ له بالله فليَرْضَى، ومن لم يَرضَ فليس من الله"(٢).

والرضا باليمين له حالتان:

١. إذا كان اليمين من شخصٍ معروفٍ بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة= فيَتعيَّن عليك الرضا والقناعة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٥٣٥)، وأبو داود في سننه (٣٢٥١)، وأحمد في مسنده (٢٠٥٨٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٢٢٥).

٢. أما إذا عرف منه الفجور والكذب= فهذا وإن كان حلف بالله لم تقتنع؛ لأنه كان معروفًا بالكذب والفجور في الخصوم ويحلف كاذبًا، فلا يدخل تكذيب هذا الشخص في هذا الوعيد.

وأما إذا كان هذا الحكم في محكمة شرعية، والقاضي حكم على هذا الشخص باليمين فيجب عليك أن ترضى بهذا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتولى محاسبته.

أيضا من لم يرضَ إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات= داخلٌ في هذا الوعيد؛ لأن ذلك سوءُ أدبٍ وتركٌ لتعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ واستدراكٌ على حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

ثانيًا: من تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ أنك تجيب من سأل بالله جَلَّجَلَالُهُ، فالشخص الذي يسألك بالله لا تردُّه.

وأيضا من الواجب على الشخص السائل ألا يُحرِج الآخرين فيسألهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن لو سألك بالله فإن المُعظِّم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُجيب ذلك ما لم يكن هناك ضرر عليه.

الدليل: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"**(١).

فالشاهد: **"من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه"**، أن هذا من تعظيم الرب جَلَّجَلَالُهُ.

ثالثا: من تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألَّا تسأل بوجه الله الأمور الحقيرة.

مثل: لا تقل لشخص: بوجه الله أنك تدخل عندي، فلا تسأل بوجه الله مثل هذه الأمور.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٦٣)، وأبو داود في سننه (١٦٩٥)، وأحمد في مسنده (١٨١٨٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥/ ٥٥٦).

الدليل: عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**".

فتسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بوجهه الكريم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يدخلك الجنة وأن تنال الفردوس الأعلى من الجنة.

رابعًا: الإقسام علىٰ الله تعالىٰ:

كذلك من نواقص تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: أنك تقسم على الله.

مثل:

☒ تقسم على الله ألَّا يغفر لفلان.

☒ تقسم على الله أن ينزل المطر.

☒ تقسم على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن ينصرك على خصمك.

فهذا ما ينبغي وليس من تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ.

الدليل: عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: "**من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألَّا أغفِر لفلان، إني قد غفرتُ له وأحبطتُ عمَلَك**"(١) رواه مسلم.

فهذا هو التألِّي أي: كأنه يأمر الله.

دليل آخر: في حديث أبي هريرة ﷺ: "**أن رجلًا عابدًا تكلم بكلمة أوبَقت دنياه وآخرته**"(٢).

وأحيانا يجوز الإقسام على الله:

مثال: إذا كان هذا الإنسان ضعيفًا وكانوا في معركة -وهذا من حسن الظن بالله- فقال: والله لينصُرَنَّنَا الله في هذا اليوم، فيقول للناس هكذا ويشجعهم على الجهاد.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٠٣)، ومسلم (٢٦٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٣).

والنبي ﷺ يقول: "رُبَّ أشعثَ أغبَرَ لو أقسم على الله لأبرَّه"(١).

أما الإقسام على الله بمعنى أن يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مثل أن يقول: اغفر لفلان، لا تغفر لفلان، انصر، افعل، ولا تفعل.

فهذا من نقصٌ في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان.

خامسًا: الاستشفاع بالله علىٰ خلقه:

كذلك من نَواقصِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: الاستشفاع بالله على خلقه.

الدليل: عن جُبَيرِ بن مُطعِم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نَهِكَتِ الأنفسُ وجاعَ العِيال وهَلَكَتِ الأموال فاستسق لنا ربك، فإننا نستشفع بالله عليك وبِكَ على الله، فقال النبي ﷺ: "سبحان الله سبحان الله"، فما زال يُسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: "ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحدٍ من خلقه"(٢).

نستشفع بالله عليك، أي مثل قول القائل: داخلين عليك بالله، وكأننا نأتي بالله شفيعًا معنا عند هذا الشخص.

فهذا -عياذًا بالله- من نَقصِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان.

فكيف يكون شفيعُكَ عند المخلوقين، ويشفع لك عند المخلوقين، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧).

سادسًا: سبُّ الدهر:

كذلك من نواقص تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: شخصٌ يعلمُ أن الله هو الذي يدبِّر أمرَ هذا الكون، وأن ما يحدُثُ في الليل وفي النهار إنما هو بأمر الله جَلَّجَلَالُهُ، ثم يسبُّ الدهر، ويسبُّ الزمان!

فهذا من نقص تَوحِيد ربوبية في نفس الإنسان.

الدليل: في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "**قال الله تعالى: يُؤذِينِي ابن آدم يَسُبُّ الدَّهرَ وأنا الدَّهرُ أقلِّبُ الليلَ والنَّهار**"(١)، وفي رواية: "**لا تَسُبُّوا الدَّهرَ؛ فإنَّ اللهَ هو الدَّهر**"(٢).

فهذه الأذيَّة إنما تكونُ بنسبةِ ما لا يليق إلى الله، ولا يلزم من الأذى الضَّرَر.

والدهر ليس من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما يُقصَد أن الليل والنهار وما يجري فيهما هو بتدبير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا؛ المقصود بسَبِّ الدَّهر: شتمُه وذمّه وتقبيح الزمان والوقت.

حكم سَبِّ الدَّهر:

سَبّ الدَّهر له أحكام على التفصيل الآتي:

أولًا: إن كان خبرًا محضًا دون لوم.

مثال:

- تعبنا من شدة الحر.
- هذا يوم عصيب.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٠٩٧)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٠٩٧)، ومسلم (٢٢٤٦).

فحكمه: جائزٌ؛ لأنه خبرٌ محضٌ دون لوم، أي: أن تصف هذا اليوم أنه يومٌ عصيب، ويوم حار ويومٌ بارد جدًّا.

فهذا جائز لأنه وصفٌ، وخبر.

ثانيًا: هناك سبٌّ مع اعتقاد أن الدَّهر هو الفاعل.

ومن القائلين بهذا: طائفةُ الدّهرِيَّة.

وحكمه: شركٌ أكبر؛ لأنهم:

☒ ينسبون ما يحدث لهم إلى الدهر.

☒ ويقولون: أن الدهر هو الذي يُقلِّبُ الليل والنهار.

☒ وأن الدهر هذا غير الله، وإنما هو الزمان.

ثالثًا: وهناك سبٌّ مع اعتقاد أن الله هو الفاعل.

حكمه: هذا محرم ومن كبائر الذنوب.

فكيف تعتقد أن الله هو مُدبِّر ما يكون في هذا الكون، ثم تسبُّ هذا الدهر وتسبُّ الزمان، وأنت تعلم أن المدبِّر للدَّهر هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

سابعًا: سبُّ الريح:

فمن نواقص تَوحِيد ربوبية: سبُّ الريح.

فأنت تعلم أن الله هو المدبِّر، وأن هذه الريح تكون مدَبَّرة مسَخَّرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكيف تَسبُّها؟!

الدليل: عن أُبيِّ بن كعب ﷺ: أن رسول الله ﷺ: "**قال لا تسبُّوا الرِّيح، فإذا رأيتُم ما تكرهُون فقولوا: اللهمَّ إنا نَسألُكَ من خيرِ هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمِرَتْ به، ونعوذ بكَ من شرِّ هذه الرِّيح وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُمِرَتْ به**"(١).

ثامنًا: الاعتراض علىٰ القضاء والقدر:

ومن النواقص لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: الاعتراض على القضاء والقدر.

مثل: أن يُصابَ الإنسان بكسورٍ بعد حادثٍ؛ فيعترضُ على قدرِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويقول:

☒ لو أني ما أسرعت ما صار كذا وكذا.

☒ أو: لو أني فعلت أو هكذا.

☒ أو يقول: لماذا أنا.

فهذا الاعتراض على قضاء الله وقدره من نقصِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان.

الدليل: في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**احرِص على ما يَنفَعُك واستَعِن بالله ولا تَعجَز، وإن أصَابَكَ شيءٌ فلا تقل: لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل: قَدَّر الله وما شاءَ فَعَل، فإن لو تَفتحُ عملَ الشيطان**"(٢).

والمقصود بالاعتراض على القضاء والقدر: الاعتراض على المصائب الناتجة عن أفعال العباد.

فهذه المصائب من تقديرِ الله؛ والحكم أنه:

- لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعايب.
- ولا يجوز الاعتراض على قدر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في المصائب.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

فالواجب:

- **في المصائب**= الرضا.
- **وفي المعايب**= التوبة والاستغفار.

الخلاصة: الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب لا المعايب، والاعتراض على المصائب من نواقصِ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

وبالنسبة لكلمة (لو) فإن لها حالات:

الحالة الأولى: حالةٌ جائزةٌ إذا كان على جهة تمني الخير.

مثل: قول النبي ﷺ: "لو استقبلتُ من أمرِي ما استدبرتُ ما سقتُ الهدي، ولجعلتُها عمرة" الحديث[١].

مثال آخر: أن تقول: (لو أن لي مالًا مثلَ فلان لعَمِلتُ فيه بمثل ما عَمِل)؛ فهو بنيَّته أجرُهما سواء.

حكمه: كلمةُ (لو) في هذه الحالات التي على جهة تمني الخير أو على جهة الخير: جائز.

الحالة الثانية: المنهي عنه أن يتمنى الشر.

مثل:

- يقول: (لو أن لي مالًا مثلَ فلان لعَمِلتُ فيه بمثل ما عَمِل)، وهو يقصد الذي يعمل السوء.
- أو يعترض على القدر، مثل: إخبار الله عن المنافقين الذين قالوا: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[آل عمران:١٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

- أو يعترض على شرع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، مثل: إخبار الله عن المنافقين الذين قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[آل عمران:١٦٨]، أي: لو أطاعونا ولم يلتزموا بالشرع.
- **فهذا اعتراضٌ على شرع الله، وذاك اعتراضٌ على قدر، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٥٦]، والأول تَمَنِّي الشر، وهذا كله منهيٌّ عنه.**

والواجب علينا:

أن نحسن الظن بالله، -وهذا من تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ-:

✓ **أن نحسن الظن بالله في أسمائِه وصفاتِه**، فلا نعتقد أن لله مثيلًا في أسمائه وصفاته.

✓ **أن نحسن الظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في شرعِه**، وأن شرعَ الله جاء لتحقيق المصلحة والسعادة لنا في قلوبنا وأبداننا، وفي دُنيانا وأُخرَانا على المستوى الفرديِّ وعلى المستوى الجماعيِّ.

✓ **أن نحسن الظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في قضائِه وقدرِه**، وأن كلَّ ما قدَّره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنا هو خيرٌ لنا؛ إذ فيه إما رفعة للدرجات وكثرة للحسنات، أو تكفير للسيئات أو كل ذلك.

✓ **أن نحسن الظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في وعدِه ووعيدِه**، وأنَّ ما وعدنا الله به سيعطينا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إياه، وما تَوعَّدنا الله ﷻ به فهو تحت مشيئَتِه يوم القيامة؛ إن شاء فَعَله وإن شاء غَفَره.

وهكذا يكونُ عندنا حسنُ ظنٍّ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتعظيم لله جَلَّجَلَالُهُ؛ فنحفظ أنفسنا مما يُنقِصُ تَوحِيد الربوبية في نفوسنا.

الدَّرسُ العَاشِر

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٥)

موضُوع المحاضرة السابقة:

نواقصُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ سبق أنها هي: الأمور التي تُسبِّب نقصًا في تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وقد تُوقِع الإنسان في الشرك الأصغر أو الكفر الأصغر.

وسبق لنا من ذلك:

- **مسألة نِعَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واعتقاد أن الله هو المنفرد بالنعم كلها على الإنسان وعلى غيره؛ فإسنادها إلى غيره وشكر غيره يعد من شرك الألفاظ.
- **مسألة شرك الألفاظ.**
- **والحلف بغير الله.**
- **وعدم القناعة بمن حلف لك بالله.**
- **ومسألة الاستسقاء بالنجوم.**
- **والإقسام على الله.**
- **والاستشفاع بالله.**

وغير ذلك من نواقص تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

موضوعُ هذه المحاضرة:

❖ ثمرات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة:

هذا الذي تستقر العقيدة في نفسه، ويستقرُّ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسه:

- **ما أثرها عليه في علاقته بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟**
- **وما أثرها عليه في علاقته بالآخرين؟**

هناك عدة ثمرات لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ومن أبرزها:

أولا: قوة التمسك بدين الإسلام، ويجد فيه حلاوة وسعادة.

فعندما يتحدَّث الإنسان عن التَّمسُّك بالدين؛ فالتَّمسُّك بالدين عبارة عن:

١. عقيدةٍ تستقرُّ في قلبِ الإنسان.

٢. وتخرُجُ شريعةً على جوارحه.

وعليه فالدين الإسلاميُّ قولٌ وعمل؛ فهو:

✓ قول القلب وعمله.

✓ وقول اللسان وعمل الجوارح.

وعندما نتأمل في شرائع الإسلام من:

- فعل الطاعات.
- وترك المعاصي والمنكرات.
- والتزام الأخلاق الإسلامية.
- والتزام الشرع في المعاملات.

نرى أن هذه الأمور فيها تعب.

أمثلة:

- القيام لصلاة الفجر.
- القيام لصلاة العصر.
- المواظبة على الصلوات في الجماعة.
- المواظبة على الصلوات في أوقاتها، وهكذا موضوع الصلاة ككل.
- قيام الليل.
- صلاة الضحى.
- موضوع الوتر.

فهذه الأمور عندما يُؤدِّيها ويلتزم بها الإنسان تسبِّبُ له تعبًا، فهي فيها شيءٌ من التَّعب والجُهد والمشقة.

أمثلة أخرى:

- الصيام.
- الحج.
- الزكاة؛ فأن يُخرِجَ الإنسان من ماله الذي تَعِبَ في جمعه، ثم يُوزِّعه للفقراء والمساكين أو في خدمة المجتمع؛ فهذا أمر فيه تعب.

إذًا؛ فعل الطاعات فيها مشقةٌ وتعبٌ.

وكذلك ترك المعاصي والمنكرات.

أمثلة:

- **أن يترك الإنسان النظر إلى ما حرَّمَه الله**؛ وهذا الذي يريد أن ينظر إليه فيه صورة جميلة، أو فيه شيء مبهج، وفيه كذا وكذا؛ فيغضّ بصره؛ لأنه لا يجوز له أن ينظر إلى هذه الصورة.

فهذا الأمر فيه تعب.

- **أن يكفَّ سمعَه عن الاستماع إلى ما حرَّمه الله جَلَّجَلَالُهُ**، وهذا الاستماع فيه شهوة أو فيه لذَّة؛ فيترك ذلك؛ فهذا أيضًا فيه تعب.

وهكذا تركُ المعاصِي والمنكرات المتعلقة باللسان أو باليد أو بالفرج؛ فلا شك أن المعاصي تلتذُّ بها الجوارح ولكنه يتركها؛ فهذا لا شكَّ أن فيه تعبًا.

وكذلك التزام أخلاقِ الإسلام.

أمثلة:

- برُّ الوالدين.
- وصلة الأرحام.
- وحسن الخلق مع الجيران.

فهذا كله فيه تعب.

وكذلك التزام الشرع في المعاملات.

أمثلة:

- البيع والشراء.
- والنكاح.

فهذا فيه تعب.

فإن نظر الإنسان إلى هذا وجد أن دين الإسلام والتمسك به فيه مشقة وتعبٌ.

فكيف نقول: إن التمسك بدين الإسلام فيه:

- ✓ سعادةٌ؟
- ✓ أو فيه صلاح للدنيا؟
- ✓ أو فيه سعادة للبدن؟
- ✓ أو فيه صلاح للبدن؟
- ✓ أو فيه سعادة للفرد؟
- ✓ أو فيه سعادة للمجتمع؟

كيف يجمع الإنسان بين هذا وهذا؟

الجواب: أن الجمع يكونُ بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ فمن كان عنده تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة= شَعَرَ بالسعادة في هذه الأمور، وتحوَّلت تلك المتاعب والمصاعب والمشاقُّ التي يلاقيها في:

- فعل الطاعات.
- وفي ترك المعاصي والمنكرات.
- وفي التزام أخلاق الإسلام.
- وفي التزام الشرع في المعاملات.

تَتحوَّل عند هذا الموحِّد المعظِّم لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة إلى أمرٍ له طعم، ونوع الطعم: حلاوة.

فهذه الحلاوة يجدها الإنسان في صدره ويجدها الإنسان في حياته.

الأدلة:

- قول النبي ﷺ: "ذاقَ طعمُ الإِيمَانِ من رَضِيَ بالله رَبًّا"[١].
- وقوله ﷺ: "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوة الإيمان"[٢].

فهذا الأمر في غاية الأهمية وهو: **أن أعظم ثمرةٍ من ثمرات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: أن المتمسك بدين الإسلام يجد فيه السعادة.**

وأن من لم يجد السعادة في تمسُّكِه بدين الإسلام: فليراجع موضوع الإيمان بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسه؛ لأنه إذا استقرَّ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان= تحولت تلك المتاعب والمصاعب إلى لذة يجدها الإنسان في حياته.

ويصبح ما ذكرنا في الطاعات وترك المعاصي والمنكرات أن فيها تعبًا= يتحول في حقِّ المحقِّقِ لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة إلى أمرٍ غير متعب، بل التعب لو وقع في المعاصي.

ويشعرُ بسعادةٍ عندما:

- يغض بصره عن الحرام.
- عندما يكف سمعه.
- عندما يكف يده عن معاملة محرمة.

يجد بعد ذلك هذه اللذة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعطيه حلاوةً في إيمانه.

ثم ليس هذا فحسب، **بل يأخذ جزاءً في هذه الدنيا**، فهو عندما يأتي للسماع الطيب وللنظر الجيد الحلال= سيجد فيه المتعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) متفقٌ عليه، أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

مثال: هذا الذي غضَّ بصره عن النظر إلى النساء= فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيُسعده في الدنيا بأن يرى زوجته بارعة الجمال، ويراها في جمالٍ عجيب، ويتمتَّع بأهله؛ فيُمتِّعه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالحلال.

بخلاف من أطلَقَ بَصَرَه في الحرام؛ فعندما يأتي للحلال لا يراه شيئا ولا يراه جميلا ولا يستمتع بما أحلَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له، جزاءً وِفَاقًا.

فهذا تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يُصلِحُ حياة الإنسان؛ لكونه:

- سيرضى بشرع الله.
- وسيرضى بقضاء الله وقدره.
- وسيفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته.
- وسيفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة.

فهذا تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، وعندما يُحقِّق الإنسان مقتضياتِه= سيشعر بحلاوة للإيمان في تمسكه.

ثانيًا: استشعار عقيدة القرب الإلهي من المخلوقات:

وهذا أمرٌ له تعلقٌ بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، **وهي استشعار عقيدة القرب الإلهي من المخلوقات.**

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة:١٨٦].

فقُربُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

١. قربٌ علميّ.

٢. وقربٌ عمَليّ.

الأول: القرب العلميّ:

أما القرب العلميّ وهو: قرب السمع والبصر والعلم والإحاطة بهذا الإنسان، وهذا استشعار أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قريبٌ منك.

فاستشعار القرب العلميّ سيُؤثِّر عليك في مسألة الإخلاص لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العبادة؛ لأنه اطَّلع عليك.

فما حاجتكَ لِأَنْ تُطلِعَ غيرَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أعمالك حتى تشعر براحة؟!

إذا كنتَ موقنًا بأن الله:

- ✓ سمعَ كلامك.
- ✓ وأن الله أبصر فِعلَك.
- ✓ وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطَّلعٌ على ما في قلبك.

إذًا ما حاجتك للبشر؟!

فكلما استشعر الإنسانُ عقيدةَ القُرب الإلهي العلميّ= فستولِّدُ فيه الإخلاص لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في جميع أنواع العبادة، وفي أقواله وفي أفعاله؛ لأنه يعلم أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطَّلِعٌ على ذلك.

الثاني: القرب العملي:

أما القرب العملي فهو: قربُ الإجابة وقربُ الثواب؛ فأنت فعلت تلك الأعمال وأصدرت تلك الأقوال، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطلعٌ عليها وسيُجِيبك عليها.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، أي: قريبٌ علمًا، رأيتُهم ورأيتُ أعمالَ عبادي وسمعتُها، وأجيبهم عليها.

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أُجِيبُ﴾، بمعنى: أُثيبُ وأعطيه.

فهذا الذي:

- ○ دعاني.
- ○ وهذا الذي صلَّى لي.
- ○ وهذا الذي صامَ لي.

○ وهذا الذي ابتعد عن المعاصي والمنكرات من أجلي.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُجيبُه على فعله فيثيبه على ذلك.

فهذه هي هذه رُبُوبِيَّة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهذا الكون؛ ورُبُوبِيَّة الله تقتضي:

✓ أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عالِمٌ بعباده وما يقومون به من أعمال.

✓ وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُجيبُهم على ذلك ويُثيبهم على ذلك.

وهذا له أثر كبير في التمسُّك بدين الإسلام، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[البقرة:١٨٦]، فهنا نرى أمرين:

- الاستجابة لله هو: التمسُّك بالإسلام.
- والإيمان به هو: التمسُّك بالإيمان.

فصار هذا هو التمسُّك بدين الإسلام.

وعندما يستحضر الإنسان ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهذا الكون= يزداد تمسُّكه بدين الإسلام عقيدةً: إيمانًا وشريعةً.

فيستجيب ويؤمن؛ وهذه الاستجابة والإيمان هو= التمسك بدين الإسلام.

وهذا هو طريق الرشاد فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

وهذه القضية قضية في منتهى الخطورة، ويدخل من ضمن ذلك مسألة الدعاء؛ لذلك قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦].

فهذا الذي يقول هكذا ويرفع يده: يا الله اعطني، ويعتقد:

✓ أن الله سَمِعَه.

✓ وأن الله رآه.

✓ وأن الله يُجيبُه.

- **فهذا كيف سيكون حاله في الدعاء؟**
- **والدعاء هو العبادة وبالتالي، كيف ستكون عبادة هذا الشخص؟**
- **وكيف سيكون تمسكه بدين الإسلام؟**

فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة له أثرٌ عظيم على تمسُّكِ الإنسان بدين الإسلام.

وإذا تمسَّكَ الإنسان بدين الإسلام مستشعرًا رقابةَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه، ولديه قوةَ الرجاء في نيل ثواب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أعماله= كيف سيكون حاله؟ لا شك أن له أثرًا كبيرًا في حياة الإنسان، وكذلك مسألة الثواب.

وهذا أمرٌ في غاية الأهمية أن نحرّك قلوبنا بالرجاء، وأن نعتقد أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُعطِي المحسن أجره= فهذا له أثرٌ كبيرٌ في حياة الإنسان.

مثال: عندما تعملُ الصالحات، وأنت مستشعرٌ:

- ✓ أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيعطيكَ ثوابها.
- ✓ وأن الله لن يخلف وعده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- ✓ وتستقر هذه العقيدة في نفسك.

فهذا أكبرُ زادٍ لكَ في السير في الطريق إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فقوة الرجاء في ثواب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يكون باعتقاد:

- أن الله هو رب هذا العالم، وهو الذي يُثِيبُ عباده على أفعالهم الصالحة.
- وأن الله وَعَدَهم وسيُنجِز لهم ما وَعَدَهم به.

وهذا له أثرٌ كبير على انطلاق الإنسان في فعل الخيرات وترك المعاصي والمنكرات، واستشعار ذلك له أثرٌ عظيم.

الدليل: قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: ١١٠].

فاستشعار قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وأنه سيعطي العامل ثواب إحسانه هذا سيجعل الإنسان يندفع لعمل الطاعات.

دليلٌ ثانٍ: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧].

دليلٌ ثالث: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٨].

دليلٌ رابع: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠].

فلا يخلف الله الميعاد؛ ولذلك نقول: هناك ضمان من عند الله جَلَّجَلَالُهُ، فإياكم أن تشكُّوا في هذا الضمان.

والضمان هو: أن من مات مُتَّقِيًا لله على الإيمان والتَّوحِيد والتوبة الصادقة، أي: مات موحِّدًا تائِبًا=

- ✓ فإنَّ الله يُحرِّم بشرته على النار.
- ✓ وأن لديه ضمانًا على ذلك.
- ✓ وأنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيدخله جنة عرضها السماوات والأرض.

فاستشعار هذا الضمان يدفعُ الإنسان لفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات.

ومتى غاب هذا الأمر عن ذهن الإنسان -وهذا نقص استشعاري لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة- أنه قد لا يعطي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العاملَ أجره، فيكون هذا الإنسان ضعيفًا في فعله للطاعات وترك المعاصي والمنكرات.

لذلك بعضهم يقول: ذُرَّةٌ منقودة ولا ذرة موعودة!

لا. هذه الذُرَة الموعودة من وعدك بها؟

وَعَدَك بها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وسيعطيك حسنةَ الدنيا؛ حتى تستشعر ذلك، لكن الوعد إنما يكون بالآخرة، وهذا الأمر في غاية الأهمية.

الأدلة:

- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[يونس:٤٤].
- وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾[النساء:١٢٤].
- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾[الإسراء:٧١].

فهذه العقيدة لا بد أن تستقر في نفس الإنسان، **ويكون عند الإنسان قوة الطمع في نيل ثواب الله سواءً:**

- الدنيوي والأُخرَوِي.
- الروحي والبدني.
- الفردي والاجتماعي.

فهذا متعلق بقوة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان؛ فإذا كان تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة قويًّا عند الإنسان في نفسه= قَوِيَ طَمَعُه فيما عند الله.

لكن إذا كان تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة ضعيفًا= فسيقول: قد يكون هذا الأمر بيد الله ويمكن أنه ليس بيد الله.

قول: أعطني إن شئت:

لذلك لا يصلح عندما تدعو أن تقول: أعطني إن شئت؛ فهذا كأنك تقول: إذا لم يكن هذا الأمر عظيمًا وكبيرًا وليس فيه كثرةٌ ومشقةٌ عليك يا الله؛ فأعطني إياه!

تعالى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن هذه الأمور!

فقوة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسِ الإنسان= تجعل الإنسان يَطمع، وتجعل طمَعه قويًّا، ويشعرُ بفقرٍ لِمَا عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من ثواب الدنيا والآخرة.

ولا بُدَّ من ذلك؛ فأَرِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فقرَكَ إليه:

- في جلب المنافع.
- وفي دفع المضار.
- وفي إصلاح الحال.
- وفي العافية في البدن.
- والسَّعَة في الرزق.
- وفي صلاح الدنيا.
- وفي صلاح الآخرة.

أَرِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنكَ فقيرٌ إليه، ومحتاجٌ إليه، وهذا كله متعلقٌ بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ فإذا رسخ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان= أنتج عنده هذا الطمع فيما عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وفي قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، لماذا يذَكِّرُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالرُّبُوبِيَّة؟

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾، أي: الذي أنتم تعتقدونه، وأنتم مفطورون عليه: أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وأن جَلبَ المنافِعِ ودَفعَ المضارِّ بيدِ الله؛ لذلك قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾، **فما هي العلامة التي تدل على قوة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان؟**

أكبرُ علامةٍ هي: قوة الدعاء وكثرة الدعاء؛ فإذا رأيت من نفسك قلةَ الدعاء فاعلم أن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة عندك ضعيف.

وإذا رأيت نفسك في كلِّ شأنٍ من شؤونك تدعو الله وأنت تعمل بالأسباب= فهذه دلالةٌ على قوة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسك، وأن الله هو المعطي، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو دافعُ الضُّر جَلَّجَلَالُهُ.

فإذا استشعرت ذلك كَثُرَ دعاؤك.

ثالثًا: شجاعة وقوة في القلب:

من ثمرات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان: أن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يعطيه الشجاعة والقوة القلبية والقوة النفسية في هذه الحياة، فإذا علمتَ أن:

- ✓ الموت بيدِ الله.
- ✓ والحياة بيد الله.
- ✓ والرزق بيد الله.

فلمَ تخافُ من المخلوقين؟!

ولمَ تتعلقُ بهم؟!

عندما تستشعر هذا= يكونُ له أثرٌ كبيرٌ على سلوكِ الإنسانِ في هذه الحياة.

فعندما تستشعر أن الأمة -أمةُ شَرٍّ بأكملها- لو اجتمعت على واحد من أجل أن يُنزِلوا به ضُرًّا= لن ينزِلَ به هذا الضُّر إلا إذا أراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذلك.

أما إذا لم يكتبه الله جَلَّجَلَالُهُ فإنه لن يستطيعوا أن يُنزِلوا به ضَرًّا من:

- قتلٍ.
- أو قطعِ رزقٍ.
- أو أذًى في البدن.
- أو أذًى في القلب.

مثال: قد تجتمعُ عصابةٌ كبيرةٌ جدًّا على أن يضرُّوا بإنسان ويقتلوه، وأحاطوا به من كل جهة؛ فيأتي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بشيءٍ يجعلُهم يفرُّون ويتركونه.

مثال آخر: لو أن إنسانًا مريضًا اجتمعت الأمة بأجمعها على أن يشفوه من هذا المرض، وأن يحُولوا بينه وبين الموت أو بينه وبين الألم؛ فاجتمع أطباء العالم وحكماؤهم، واجتمع الناس أجمعين على أن ينفعوا هذا الإنسان= لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

فهذه العقيدة عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر؛ وأن المثوبات المترتبة على أعمالنا، وأن المصائب المترتبة على أعمالنا بيد الله وحده لا شريك له.

صحيحٌ أن المعايب والأعمال الاختيارية نعملها بإرادتنا، لكن ما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب= فهو بيدِ الله جَلَّجَلَالُهُ وهذا تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

فعندما يعتقد الإنسان هذا الأمر؛ فسيعطيه ذلكَ قوةً نفسيَّة وقوة إيمانِيَّة.

- **وإذا فعلَ الإنسان الأسباب فنتجت النتيجة**، وكانتِ النتيجة: الثواب وهو: تحقق المطلوب، فحدث ما طلبه ورجاه من:
  - الرزق.
  - العافية في البدن.
  - النجاح في الوظيفة.
  - النجاح في الدراسة.

فحدث له المطلوب.

فهذا المؤمن بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يعلم أن حدوث هذا المطلوب إنما هو بإذن الله وإنما هو بعون الله، وأن هذا من فضل الله.

فتجده لا يُصيبُه غرورٌ عند تحصيل المطلوب، بل يقول: هذا من فضل الله.

○ **وإذا لم يحصل على المطلوب، لا يقول: لماذا أنا يا ربِّ؟**

فلا تسخُّطَ ولا تجزُّع حالَ فواته؛ لأنه يعلم أن هذا كله بيد الله، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يُدبِّر وِفقَ حكمته جَلَّجَلَالُهُ.

فالمؤمن القوي عند فوات المطلوب لا يتسخط ولا يتجزع، ويضيف هذا الأمر إلى تقصيره وإلى الأسباب التي قام بها، ويحاول مرة أخرى.

وهكذا فهو:

✓ **فعند تحصيل المطلوب**، يقول: هذا من فضل الله.

✓ **وعند فوات المطلوب**: ينسبُ هذا الفعل إلى التقصير وإلى نفسه، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أراد من وراء ذلك حكمة عظيمة وخيرًا كبيرًا هو لا يعرفه.

رابعًا: زيادة الاعتزاز بالإسلام والشرع:

فكُلَّما قويَ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفس الإنسان= كُلَّما ازداد اعتزازه بالشرع واعتزازه بهذا الإسلام وتمسكه بهذا الإسلام؛ لأنه يعلم:

- أن العزة إنما هي من الله جَلَّجَلَالُهُ.
- وأن الله أعزنا بهذا الإسلام.
- وأننا إذا عرفنا أن هذا الشرع وهذا الإسلام من عند الله نفتخر به ولا نعترض عليه لا:

☒ بقدر.

☒ ولا عُرفٍ.

☒ ولا ذوقٍ.

☒ ولا سياسةٍ.

☒ ولا هوًى.

☒ ولا رأي.

وإنما اعتزازٌ بالشرع وافتخارٌ به وقبولٌ له.

فكلما كان تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة قويًّا في نفسك أثَّر ذلك عليك: أنك ترضى بالإسلام دينا.

الدليل: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا".

خامسًا: زيادة التعلق بالله:

فكلما كان تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة قويًّا في نفس الإنسان= كلما زاد تعلُّقُ الإنسان بربِّه جَلَّجَلَالُهُ.

فقياسُ قوة التعلق بالله وقوة صلتكَ بالله يكونُ بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسك؛ فكلما قَوِيَ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في النفس= كلما زاد تعلق القلب بالله؛ لأنك تعلم أن جلب المنافع بيد الله، وأن دفع المضار بيد الله وكل شيء بيد الله.

فإذا أردت أن تعرف مقدار تعلُّقكَ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى= فانظر إلى تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسك.

وإذا أردت أن تعرف مقدار قوة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في نفسك= فانظر إلى مقدار تعلُّقِك بالله أيضا.

الدَّرسُ الحَادي عَشَر

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإلحَاد (١)

موضوع المحاضرة السابقة:

ثمرات الإيمان بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؛ وأنه يجب الاعتناء بهذا الركن العظيم من أركان التَّوحِيد.

ومن الثمرات:

✓ **أن الإيمان بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمرُ: قوة التمسك بالدين الإسلامي.**

✓ **مسألة عقيدة القرب الإلهي**؛ فعندما تعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قريب منك قريب علمًا وسمعًا وبصرًا وإحاطةً وقريب إجابة= سيجعلك هذا متمسِّكًا بالعقيدة الإسلامية وبالشريعة الإسلامية، أي: متمسِّكًا بالدين.

الدليل: قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

✓ وأن ملء القلب بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة سيثمر: **تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ تعظيم الله حبًّا وخوفًا.**

فتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة سيجعل الإنسان يملأ قلبه بحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو ما بين أمرين:

١. حبٌّ يجعله يتذوق بفعل الطاعة وترك المعصية والمنكر، ويتذوق لها حلاوةً.

٢. وخوف يوجب له الخوف من التقصير في طاعة الله والوقوع في معصية الله؛ ثم ذلك يثمر له الرجاءَ في ثواب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأهمية ملء القلب بالرجاء.

✓ أن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يُثمِرُ للتمسك بالدين **حلاوةً يجدُها الإنسان في قلبه**، وسعادةً وبهجةً في حياته.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **شجاعةً وقوة في القلب**؛ فالموت بيد الله والحياة بيد الله والرزق بيد الله.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **الرضا بالمقدور**؛ فهو:

- إذا حصل له هذا المقدور: لا غرور ولا عُجب، وإنما يضيف ذلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- وإذا فات المقدور قال: قدَّر الله وما شاء فعل.
- ويحسن الظن بربه جَلَّجَلَالُهُ ويسيء الظن بنفسه وتخطيطه لأموره.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **اعتزاز الإنسان بشرع الله**.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **عدم الاعتراض على شرع الله**:

☒ لا بقدرٍ.

☒ ولا بسياسة.

☒ ولا بذوق.

☒ ولا برأي.

☒ ولا هوى.

ولا نحو ذلك.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **قوة التعلق القلبي بالله جَلَّجَلَالُهُ في جلب المنافع ودفع المضار**؛ فهو يعلم أن كل شيء بيد الله.

✓ وأن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة يثمر: **كثرة الدعاء والاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**.

الدليل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

إلى غير ذلك من الثمرات العظيمة التي يثمرها الإيمان بتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة.

الوحدة الثالثة: قضية الإِلحَاد:

في محاضرة اليوم سننتقل للوحدة الثالثة في مادة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة، **وهي تتعلق بقضية الإِلحَاد،** وسنتحدَّث فيه عن:

- **الإِلحَاد المادي.**
- **موضوع الإِلحَاد الروحاني أو الروحي**، وهي محاضرةٌ إضافية نختم بها هذه المادة، وهي ليست موجودة في المقرر وإنما نضيفها من باب الاطلاع والفائدة؛ **لأن هذه المحاضرة تحتاج أن يكون الطالب قد دَرَس قبلها الفرق البَاطنيَّة والتَّصوُّف الفلسفي،** وعنده فكرة عن الفكر الباطني.

لكن لا بأس أن نذكرها لكونها تتعلق بالإِلحَاد، غير أنها ستكون من باب الفائدة ومقدمة بمشيئة الله لما سيأتي من المحاضرات عن موضوع الفرق البَاطنيَّة سواء الفرق التي تَتَستَّر بالتَّشيُّع، أو التي تَتَستَّر بالتَّصوُّف.

موضوعات هذه المحاضرة:

أولًا: تعريف الإِلحَاد.

ثانيًا: أنواع الإِلحَاد.

ثالثًا: أقسام المَلَاحِدة في العصر الحاضر.

رابعًا: أسباب ظهور الإِلحَاد في أوروبا.

❖ الموضوع الأول: تعريف الإلحَاد:

أولًا: الإلحَاد في اللغة:

وهو: الميل والعُدُول والانحراف عن أصل الشيء، ومنه سُمِّيَ اللَّحد لحدًا؛ لأنه ميلٌ عن أصل الحفرة.

فهذا الإلحَاد هو: الميل والعُدُول عن أصل الشيء والانحراف عن أصل الشيء.

ثانيًا: الإلحَاد اصطلاحًا:

تعريفه عند علماء العقيدة هو: **الميل والعُدُول والانحراف عن الحق الواجب اعتقاده أو عمله.**

أمثلة:

- هذا الحقُّ الذي يجب عليك أن تعتقِده، فتَميلَ عنه وتنحرف عنه وتأتي بعقيدة أخرى مخالفة للحق أو العمل.
- هذه العبادةُ المطلوبة؛ فتَنحرِف عنها وَتأتِي بعبادة لم يَشرَعهَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الدليل: قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠].

ثانيًا: تعريف الإلحَاد في العصر الحاضر:

إذا أُطلِقَ الإلحَادُ في العصر الحاضر فإنما يراد به: إنكار وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويَلحَق به: الذين يقولون بإلهٍ لكنه داخل العالم؛ فهؤلاء أيضًا يُنكرون وجود الله وإنما يجعلون الكون هو الله -وهذا الذي قلنا إننا سنضيف الكلام عنه- ويسمَّى: **الإلحَادُ الروحي.**

إذًا: خلاصة ما سبق:

تعريف الإِلحَاد في اللغة: الميل والعُدُول عن أصل الشيء.

وفي الاصطلاح: الميل والعُدُول والانحراف عن الحق الذي يجب اعتقاده أو عمله.

وفي اصطلاحِ العصر الحاضر: إذا أُطلِقَ الإِلحَاد يُراد به: إنكار وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❖ الموضوع الثاني: أنواع الإِلحَاد:

الإِلحَاد نوعان:

١. إِلحَادٌ في آيات الله الكونيَّة.

٢. وإِلحَادٌ في آيات الله الشرعيَّة.

النوع الأول: الإِلحَادُ في آياتِ الله الكَونيَّة:

وهو: **إنكار وجود الله**، والقول بأن مادة الكون أزليَّة، وأن قوانين الطبيعة المادية هي سبب التغيُّراتِ في الكون وفي فكر الإنسان وفي مشاعره.

مثل: ما يقول المَلَاحِدة في العصر الحاضر.

إذًا؛ هذا إِلحَاد في آيات الله الكونيَّة؛ فمن آيات الله الكون بأكمله، كيف تلحد فيه؟

☒ بأن تضيفه إلى غير الله.

☒ وأن ترى أن مادة هذا الكون أزليَّة.

☒ وأن القوانين الموجودة في طبيعة هذه المادة هي التي سبَّبَت هذه التَّغيُّرات في الكون.

☒ وهي التي سبَّبَت التَّغيُّرات في فكر الإنسان وفي مشاعره وفي اقتصاده وفي سياسته وفي جميع أموره.

فاعتقاد أن هذا التغيُّر ناشئ عن هذه التغيُّرات التي تكون في هذا الكون= إِلحَادٌ في آيات الله الكونية.

النوع الثاني: الإِلحَادُ في آيات الله الشَّرعيَّة:

وهو: الميل والعُدُول والانحراف بالنصوص الشرعيَّة عن الحقِّ الثَّابت فيها، وذلك:

- إما بتحريف.
- أو عصيان.

مثال: أن تأتي لنصوص الوحي من الكتاب والسنة، ثم تُلحِد فيها؛ فتُغيِّر وتُبدِّل في معانيها، وتصرِفَها إلى معانٍ لم يُرِدهَا الشَّرع البتَّة، فتُحرِّف فيها وتعصِي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأنك لم تتَّبع الحق سواءً في العقيدة أو في الشريعة.

الإِلحَاد الرُّوحي أو الرُّوحَاني:

وننبِّه إلى هذا النوع من الإِلحَاد، وهو اعتقادهم بأن: **الكون له ظاهر وباطن، فظاهره مخلوقٌ وباطنه الخالق، باطنه الحقّ.**

فهؤلاء أصحاب وحدة الوجود؛ يُلحِدون في آيات الله الشرعيَّة والكونيَّة، وبيان ذلك:

أولًا: يُلحِدون في آيات الله الكونيَّة؛ بحيث **يقولون**: هذه الطبيعة وهذه المخلوقات الظاهرة لنا هي ظاهرها مخلوق، وباطنها حقّ، أي: باطنها الخالق جَلَّجَلَالُهُ.

فيَرَونَ أنها مظاهرُ للخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنه لا يوجد مخلوق، فالمخلوق والخالق شيءٌ واحد= **وهو الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.**

فهذا إِلحَاد في آيات الله الكونية.

ثانيًا: يُلحِدون في آيات الله الشرعيَّة: بحيث إنهم يَرَونَ أن للنصوص ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر يَعرِفُه عامَّةُ الناس، وأن الباطن يعرفه علماؤُهم.

فيُفسِّرُون العقيدة تفسيرًا باطنيًّا بعيدًا عمَّا أراده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من كلامه أو من كلام رسوله ﷺ.

مثال على إلحَادهم في الآيات الشرعية:

قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، فيأتون للصلاة بمعانٍ أخرى بَاطنيَّة بعيدةٍ عن الصلاة المعروفة: المُفتَتَحَة بالتَّكبير والمختَتَمَة بالتَّسليم.

فالصلاة في الإسلام: أقوالٌ وأفعالٌ مخصوصة تُفتَتَح بالتَّكبِير وتُختَم بالتَّسليم؛ فهذه الصلاة المعروفة.

الدليل عليها: قول النبي ﷺ: "**خمسُ صلواتٍ في اليومِ واللَّيلَةِ**"(١).

أما هم فالمقصود بالصلاة عندهم: الاتجاه القلبي للإمام، ويُفسِّرونها تفسيرًا باطنيًّا.

وهكذا في أمور العقيدة؛ يُفسِّرون تفسيرًا باطنيًّا؛ حتى يصبح الدين له:

☒ **ظاهرٌ**؛ وهو الذي يعرفه علماءُ المسلمين ويعرفه عامَّة المسلمين.

☒ **باطنٌ**؛ لا يعرفه إلا هُم وعلماؤهم.

ويذهبوا بالدين الإسلامي إلى جهة أخرى.

فهذا نوعٌ من أنواع الإلحَاد؛ ومن شناعته أنه يشتمل على الإلحَاد في آيات الله الكونيَّة والإلحَاد في آياتِ الله الشرعيَّة.

---

(١) متفقٌ عليه، أخرجه البخاري (١٨٩١)، ومسلم (١١).

❖ الموضوع الثالث: أقسامُ المَلَاحِدة في العصر الحاضر:

بالنسبة لأصحاب الإلحَاد المُعَاصِر المادي، فهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

١. الإلحَاد الإيجابي.

٢. الإلحَاد السَّلبي.

وهذا التعبير -إيجابي وسلبي- مما أتى به العلماء وطلاب العلم المهتمون بالإلحَاد المُعَاصِر، فرأوا أن المَلَاحِدة الذين يتحدَّثون في موضوع الإلحَاد المُعَاصِر انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: الإلحَاد السَّلبي:

وهم: **أصحاب إلحَادٍ ضعيفٍ لا حجة لهم، شُكَّاك**= فسمَّوهُم: أصحاب إلحَاد سلبيٍّ.

ومعنى سلبيٌّ: أنهم لا يزعمون أن لديهم أدلة، وإنما يقولون الأدلة التي تطرحونها غير كافية في إثبات وجود الله.

لكن: هل هم لديهم أدلة تدل على أن الله غير موجود؟

لا؛ فهؤلاء **شُكَّاك** أصحابُ أهواءٍ وشهوات، وهم هكذا لا يريدون أن يتمسَّكُوا بالدين.

القسم الثَّاني: الإلحَاد الإيجابيّ:

و**أصحاب الإلحَاد الإيجابيّ يزعمون أن لديهم أدِلَّة**، ويُسمَّون: أصحاب الإلحَاد القويِّ؛ لأنهم يُناظِرون ويقولون: لدينا أدلة فَلسَفيَّة أو أدلة علميّة؛ ونستطيع بهذه الأدلة أن نثبت: **أنه ليس هناك إلهٌ يُدبِّر أمر هذا الكون.**

فهؤلاء أصحاب الإلحَاد الإيجابي.

❖ الخلاصة في هذا الموضوع:

ما عرفناه باختصار:

أولًا: الإِلحَاد في اللغة هو: الميل والعُدُول والانحراف عن طريق الحق والإيمان والاستقامة.

ثانيًا: الإِلحَاد في الاصطلاح: هو الميل عن الحق الذي يجب اعتقاده أو عمله.

ثالثًا: أنواع الإِلحَاد، والإِلحَاد نوعان:

- **النوع الأول: الإِلحَاد في آيات الله الشرعيَّة،** وهو: أن يأتي لهذه الآيات الشرعية فيُحرِّفها؛ فيُلحِدُ فيها بتحريف أو تعطيل أو نحو ذلك؛ فهو إذًا: الميل بالنصوص الشرعية عن الحق الثابت فيها إما بتحريف أو عصيان.
- **النوع الثاني: الإِلحَاد في آيات الله الكونيَّة؛** بنسبة خلق الكون وتدبيره لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

رابعًا: الإِلحَاد المُعَاصِر؛ فالمقصود بالإِلحَاد في العصر الحاضر: إنكار وجود الله.

خامسًا: أقسام المَلَاحِدة في العصر الحاضر، فهم على قسمين:

- **القسم الأول: أصحابُ إِلحَاد إيجابي؛** الذين يزعم أصحابه أن لديهم أدلة تثبت عدم وجود الله.
- **القسم الثاني: أصحابُ الإِلحَاد السَّلبي،** وهم: الذين يقولون: الأدلة التي يذكرها المؤمنون بوجود الله لا تكفي لإثباتِ وجود الله؛ فيزعمون أن الأدلة لا تُثبِت وجود الله.

الملحد الرُّبُوبِي: وهو من يقول بأنه: ملحِدٌ لكنَّ إِلحَاده رُبُوبِيّ؛ فهو يُقِرُّ بوجودِ خالقٍ، لكنه يزعم أنه لا صلةَ له بخلقِه بعد أن خَلَقَه، أو أن الخالق فَنِيَ بعد أن خَلَق خلْقَه.

ويمثلون له: بصانع الساعة؛ فيقولون: هذا مثله مثل صانع الساعة الذي صَنَع الساعة ثم لا علاقة له بالساعة، وقد يكون مات وتبقى هذه الساعة -عياذًا بالله-؛ **فهؤلاء أصحاب الإِلحَاد الرُّبُوبِي.**

❖ الموضوع الرابع: أسباب ظهور الإِلحَاد في أوروبا:

سنتحدث بمشيئة الله عن أسباب ظهور الإِلحَاد في أوروبا.

عامة الإلحاد المُعَاصِر يرجع إلىٰ عوامل نفسية، وردود فعل بسبب الدين المحرَّف كالنصرانيَّة:

في المحاضرات الأولى ذَكَرنا أننا لو أردنا أن نبحث عن أسباب دراسة الإِلحَاد في أوروبا، فلنطبِّق ذلكَ غرفة صغيرة وننطلق من خلالها.

مثال: هذا الاستوديو الذي نصوِّر فيه الآن، لو جاءَ شخصٌ ودخل علينا في هذا الاستوديو، وقال: هذا الاستوديو لم يَبنِه بَانٍ.

قلنا له: فكيف وُجِدَ هذا الاستوديو؟

قال: هذا الاستوديو جاء هكذا دون بانٍ، البُلوك جاءت وركبَت بَعضُها بعضًا وكوَّنَتِ الغرفة، وشَبَكَتِ الكهرباء، وسلَّكَتِ المكيف والأنوار وهكذا.

فقلنا: الأكيد أن هذا الشخص مجنون؛ فقلنا له: بسم الله عليك، وقرأنا عليه وإذا به ليس به جِنٌّ وليس بمجنون!

ثم تَعرَّفنَا عليه فإذا به مهندس!

أمهندسٌ أنتَ ووصلتَ لهذه المرحلة في التعليم، وليس بكَ مَسٌّ، ثم تنكر أن يكون لهذا الاستوديو بانٍ بناه؟

ما الذي حصل لك؟!

الموقف الصحيح في التعامل مع الملحد لعوامل نفسية:

فهل نأتي لمثل هذا الآن بأدلة نثبت له فيها بأن هذا الاستوديو بناه بانٍ؟

لا؛ فسنصبِحُ مجانينَ مثلَه.

فعندما نناقش في هذه القضية وأن البلوك -كما يقول هو- جاءَت طائرة من الأرض وركبت بعضها بعضًا، فسنصبِحُ مجانينَ مثلَه، وهذا حتى في فيلم كرتون لا يصنعونه.

لكن أن نبحث له عن أدلة أن هذه البلوك لم تركب نفسها بنفسها، وصار واحد من البلوك هي المعلم، وواحدة من البلوك هي العامل!

فهذا كلام لا يقوله عاقل!

عامة الإلحاد المُعَاصِر ردة فعل للنصرانية المحرفة (تشويه التصور الإلهي – طغيان التشريع الكنسي):

ولكن الصحيح أن نقول له: بسم الله عليك، لماذا تنكر أن يكون لهذا الاستوديو بانٍ بَنَاه؟

فهو سيجيب بأحد أمرين:

الأمر الأول: تشويه التصور الإلهي:

أن يقول: أصلا هؤلاء الإخوة يقولون: إن الذي بنى هذا الاستوديو رجلٌ مشلولٌ شللًا رباعيًّا!

فهو قد صُدِم؛ إذ قالوا له: هذا الاستوديو الذي تراه -وهو استوديو مُتقَن-، الذي بناه هو هذا الرجل المشلول الذي لا يستطيع أن يحرِّكَ شيئًا من جسده إنما يحرك رأسه فقط.

- فكيف صنع الخلطة؟
- وكيف بنى؟

- وكيف حمل البلوك؟

فهذا قال: إذا كان هذا الاستوديو موجودًا، وتقبلون أن الذي بناه هو فلان المشلول، **فالأفضل لي أن أقول: الاستوديو بنى نفسه بنفسه؛** لأن قول: هو بنى نفسه بنفسه، أو هذا الرجل بناه مثلَ بعض، لا فرق بينهما.

فالخلاصة في النهاية أنه قال: هذا الاستوديو لم يبنه بانٍ بسبب ردة فعل عنده، لأنه إنسان مهندس، ويعرفُ تفاهة قول من قال له: إن الباني هو هذا الرجل المشلول.

الأمر الثاني: طغيان التشريع الكنسي:

فالرجل كان يريد أن يدخل الاستوديو ويريد أن يشارك، فقالوا له: لن تدخل الاستوديو ولن تشارك حتى تدفع عشر آلاف ﷼.

قال: لماذا؟

قالوا: هذه رسوم الاشتراك، وهذا الذي وضع هذا الرسوم هو الذي بنى هذا الاستوديو، وهو الذي وضع هذا النظام.

فأيّ شخصٍ يُرِيدُ أن يشارك في هذا الاستوديو لابد أن يدفع عشر آلاف ﷼.

فقال: لا، أنا أجحد، وأنا أقول: إن هذا لم يبنه بانٍ، وأنا أريد أن أشارك.

وهذا هو الحال في العالم الغربي في الحقيقة؛ فهم عندهم أدلَّةٌ وقناعةٌ داخليَّة صحيحة؛ بأن هذا الكون يستحيل أن يكون هكذا أَوجَدَ نفسَه بنفسِه.

فهذا لا أظن أنه يدور في خيالهم، لكن هؤلاء عندهم مشكلة نفسية وردة فعل.

حوار واقعي مع ملحد بسبب عوامل نفسية:

مثال: أنا أتذكر أنه جاءني شخصٌ ممن تأثَّر بهذا الفكر الإلحَادي، وأتى به أخوه وقال: أعطني -سريعًا دون أن أضيع وقتك وتُضيعَ وقتي- أدلَّة تُثبِتُ فيها أن هذا الكون قد بناه بان!

فقلت له: ألا نتعارف أولًا ونقول: بسم الله.

قال: لا، لا أريد أن تضيع وقتي ولا أضيع وقتك.

فقلت: إذا، حتى أُعِدَّ نفسي وأجهز الأدلة التي عندي، أريد منكَ فقط أن تذكر لي أدلة تثبت فيها أن هذه الغرفة التي نحن فيها قد بناها بانٍ.

فقال: أتستهزِئُ؟ نحن ما جئنا هنا للاستهزاء ولا للسخرية!

فقلت: سبحان الله، ترى أن مطالبتي لك بأن تثبت أن لهذه الغرفة بانٍ من الاستهزاء والسخرية، ولا ترى أنك عندما تطلب مني أن آتي بأدلة على أن هذا الكون:

- ✓ **بسمائه** وشمسه وقمره ونجومه وأفلاكه.
- ✓ **والأرض** وما فيها من البحار والأنهار والمحيطات والجبال والأشجار.
- ✓ وما فيها ممَّا بين السماء والأرض.
- ✓ وهذا الإتقان الموجود في الكون.

فأنت ترى أن كل ما في هذا الكون أوجدَ نفسه بنفسه!

كيف تقول هكذا؟

فهذا الكلام في قمة الاستهزاء والسخرية!

لكن أخبرني: لماذا اخترتَ الإلحَاد؟ ما مشكلتك؟

قلت له: فأنت مشكلتك مع الأديان، وليس مع أن لهذا الكون خالقًا؛ أليس كذلك؟

قال: صحيح.

فقلتُ له: أنتَ غيرُ مقتنعٍ بالأديان، غير مقتنعٍ لا باليهودية ولا بالنصرانيَّة ولا بالإسلام، فضلًا عن أنك غيرَ مقتنعٍ بالبوذية ولا الهندوسية.

قال: صحيح.

فقلتُ: إذًا أنتَ لستَ مقتنعًا بما يُصَوِّرُونَه لكَ أنه الله، وأن عيسى هو الله، فمشكلتُكَ في الشريعة وفي العقيدة التي قُدِّمَت لك، وليست مشكلتك في أن لهذا الكون خالقًا أوجده.

تناقضات الديانة النصرانيَّة وأثرها في ظهور الإلحاد المُعَاصِر:

فلا بد لنا أن نعرف هذه القضية، **فالقضية أن العالم الغربي اليوم قُدِّمَت له الديانة النصرانيَّة على أنها هي الديانة الحقّة**؛ فعندما نظروا في الديانة النصرانيَّة وفي العقيدة النصرانيَّة رأوا عجبًا.

أولا: تشويه التصور الإلهي في النصرانيَّة:

فالعقيدة النصرانيَّة تقول لهم:

- ☒ إن خالقَ هذا الكونِ هو عيسى عليه السلام.
- ☒ وأنه مدبره.
- ☒ وأنه هو الذي يقضي حاجات الناس.
- ☒ وأنه معهم أينما كانوا.

فنظروا فإذا هو بشر مثلهم، وكان في بطن مريم عليها السلام وبقي محمولًا به تسعة أشهر، وأنه خرج.

ثم قالوا إنه إله ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، والأب له وظيفة خاصة به، والابن له وظيفة خاصة به، وهناك الروح القدس.

فقالوا: الإله واحد أم ثلاثة؟

قالوا: الإله واحد!

وهؤلاء الثلاثة؟!

قالوا: دع عقلك واتبعنا؛ الإله واحد، لكنه بثلاثة أقانيم بأب وابن وروح القدس، فهو واحد.

ثم نظروا في العقيدة النصرانيَّة؛ فهذا عيسى بن مريم، والجميع عرف أنه ابن مريم، فكيف تقولون؟

قالوا: لا؛ هو ابن الله.

فلماذا صُلِب؟

قالوا: صُلِب وأَذِن الله وسَمَحَ الأَب بأن يُصلَبَ هذا الابن؛ من أجل أن يُكفِّرَ عن خطايا بني آدم!

فهل خطايا بني آدم، هل هم الذين فعلوها؟

لا؛ بل الخطيئة فعلها آدم عليه السلام.

فهل تاب الله عليه أو لم يتب الله عليه؟

تاب الله عليه.

فلماذا يصلب عيسى ليُكفِّر عن خطايا بني آدم التي فعلها آدم وتاب الله عليه؟!

قالوا: هذه خطيئةٌ موروثة نزلَت في الأبناء!

والأبناء ذرية آدم لم يفعلوا تلك الخطيئة، ولم يفعلوا شيئًا؛ فلماذا؟!

قالوا: لا؛ هو مُحَمَّلٌ بالخطيئة، ولا يمكن أن يكون لهم الخلاص إلا بأن يُصلَبَ ابن الله ويفتديهم، فيحدث الصلب ويحدث الفداء.

ولماذا أَخرَج الله آدم من الجنة؟

قالوا: لأنه أكل من شجرة المعرفة.

ولماذا الله يمنعه من شجرة المعرفة؟

قالوا: حتى لا يحصل له الخلود.

فهذه الديانة والشريعة والعقيدة التي قُدِّمت للعالم الغربي بهذه التناقضات.

فكان ردة فعلهم أن قالوا: هذا لا يصلح، فأكثر هذه العقائد لا يقبلها العقل، فعندما وزنوها ودرسوها وَجَدوا أنها عقائد مُخالفة لعقلِ الإنسان.

فهذه عقيدةٌ تجعل خالق هذا الكون بشرًا مثلَ سائرِ البشر!

فقالوا: هذا لا يمكن.

ثم بحثوا:

ألا يوجد حلٌّ آخر؟

ألا يوجد إلهٌ آخر؟

فقيل: لا، هذا هو الإله، والآلهة ثالث ثلاثة وهم واحد في الوقتِ ذاته، وخالقُ هذا الكون بشر.

فقالوا: لا؛ نحن لا نريد هذا، **فأنكروا وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.**

ثانيًا: طغيان وخرافية التشريع الكنسي:

والأمر الآخر: إذا قالوا: نحن نُسلِّمُ لكم بأن خالق هذا الكون بشر، وإن كان هذا الأمر فيه صعوبة، **فما الذي يلزمنا؟**

فنحن آمنا بعيسى عليه السلام ويحدُث لنا الخلاص وتطهَّرنا الخطيئة ونُرزَقُ بالجنة وبالسعادة في الدنيا.

فما الذي يلزمنا أن نفعله؟

قالوا: يلزمُكُم:

- **أن تلتزموا بالشريعة التي جاء بها موسى.**
- **وبالأسرار المقدسة في الديانة النصرانيَّة ومنها:**

☒ **سرّ التَّعميد؛** وأنه لا بد أن تُعمَّد، وأن هذا التَّعميد يُطهِّرك من الخطايا.

☒ **سرّ العشاء الرَّبَّاني؛** وأنك إذا أكلت منه كأنما أكلت من لحم المسيح وشربت من دمه.

☒ سرّ الاعتراف؛ **أن تعترف بخطيئتِك لا إلى الله، وإنما إلى هذا الكاهن**؛ ليشفع لك عند الله؛ فيضع أُذُنه على فتحةٍ -إذ أنتَ لا تريد منه أن يراك- ثم تعترف، ثم يُقدِّر لك هذا الذنب، وكم المبلغ، وإذا أردت صكَّ الغفران فلا بد أن يكون مبلغًا كبيرًا.

☒ والزيت المقدَّس؛ وهذا الزيت المقدَّس قد يستخدم للنساء، ويُمسَحُ على النساء في أماكن العورات.

فكان ردة فعلهم أن قالوا:

☒ ما كل هذا؟

☒ لماذا هذا الكلام؟

☒ هذه التشريعات وهذه الأسرار المقدسة غير مقبولة!

ثم قيل لهم: يلزمكم إذا أردتم أن تَطَّهَّروا وتكونوا أفضل الناس وأن تكونوا رُهبَانَ وقساوسة= فإذا أردتم ذلك فيلزمكم العزوبة وعدم الزواج.

وإذا أردتم الصلاح فيلزمكم:

- أن تتجرَّدوا التجرد الكامل، وتُطلِّقوا الدنيا بالكلية.
- وعليكم العبادة المتواصلة.
- والتعذيب الجنوني للنفس.

ومثل هذه الممارسات المُنَفِّرةُ للعقل.

إذًا: الديانة النصرانيَّة جعلت الناس يَنفِرُون من الأديان.

وبالتالي: رأوا أن أفضل دينٍ بالنسبة لهم -وهو الذي قُدِّمَ لهم-= عقيدتُه غير مقبولة عقلًا وفطرةً، وهذه حقيقتُها، **لأن هذه العقيدة تقول:**

☒ بألوهية المسيح.

☒ والقول بأن المسيح ابن الله.

☒ والتثليث.

☒ والصلب والفداء.

☒ عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة.

وهذه الشريعةُ غيرُ كافيةٍ ولا مقنعة ولا محقِّقَة لصلاح الدنيا والدين ولا لصلاح البدن.

أمثلة:

- ما يتعلق بشؤون العبادة والطقوس.
- وعبادة الصور والتماثيل.
- النظام الرهباني.

إذًا؛ هذه الشريعة النصرانيَّة المُحرَّفة جعلتِ الناس ينفرون من الدين.

وبالتالي: من الذي أتى بهذا الدين؟

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا: لا نُقِرُّ بوجود الله.

ثالثًا: الطغيان والفساد الكنسي:

وأيضًا ومن المؤسفِ أن رجال الدين ورجال الكَنِيسَة النصرانيَّة حَدَثَ منهم فسادٌ وطغيان، ومن ذلك:

- **الفسادُ الأخلاقيُّ:**

ففي الظاهر ترى أنهم في الكَنِيسَة وأنهم عُبَّاد، لكنهم رجالٌ ونساءٌ عزَّاب في مكان واحد، فلا بد أن يحدث هذا الفساد.

إضافة إلى الرشوة وعدم الالتزام بالدين؛ فحَدَث فسادٌ بالنسبة لأخلاق الكثير من الرُّهبَانِ والقُسُس، وظَهَرَ منهم عدمُ الالتزامِ بالدين.

- **الطغيانُ السياسي:**

ثم حدث منهم طغيانٌ سياسي؛ فأصبحوا يُمثِّلون دولةً داخلَ دولة.

- **الطغيانُ العقلي:**

وأصبح عندهم طغيانٌ يتعلق بالدراسة العلميَّة، طغيانٌ علميّ؛ لأنهم أدخَلُوا بعضَ النظريات العلميَّة داخل عقيدتهم، فأصبح من يخالف بنَظَرِيَّة علميّة أخرى، ويأتي بشيءٍ علميّ آخر= فقد مَرَقَ من الدين.

فأصبحوا هم الذين يقرِّرون الأمور العلميَّة الكبرى، وهي لا علاقة لها بالتوراة ولا بالإنجيل.

وكذلك هناك:

- طغيانٌ عقلي.
- طغيانٌ سياسي.
- طغيان مالي.
- طغيان روحي.

وهذه تدرسونها في المذاهب الفكرية المُعَاصِرة.

- وأيضًا مسألة صكُوك الغفران.
- مسألة محاكم التفتيش.
- ومسألةٌ أخرى خطيرة وهي: **مساندةُ الكَنِيسَة لطغيان رجال الإقطاع ورجال السياسة،** فساندتهم في طغيانهم على الشعوب، وكانوا يأمرونهم بالسمع والطاعة لهؤلاء فيما فيه ضررٌ لهم في دينهم وفي دنياهم وهكذا.
- وأيضا حدث **الصراع بعد ذلك بين الدين الكَنَسي والكشوف العلميَّة.**

- **وأيضا استغلَّ اليهود هذا الأمر وهذا الفساد الموجود عند الكَنِيسَة وفي الدين النصراني وعند رجال الدين= فنشروا هذا الإلحَاد**؛ لكونهم لا يمكنهم أن يسيطروا على بشر وهم عندهم قيمٌ، أخلاق، وعندهم دين حقّ.
- وأيضًا وهو من المؤسف جدًّا: أن الأمة الإسلامية وعلماء الأمة الإسلامية وطلاب العلم غابوا عن **بيان الدين الإسلامي للناس**، وهو الذي يظهر من خلاله:
  - ✓ صورة الإله الحق.
  - ✓ وأسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الحقة.
  - ✓ وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليس كالمخلوقين.
  - ✓ وأنه إلهٌ بائنٌ من هذه المخلوقات.
  - ✓ وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي خَلَقَهم جَلَّجَلَالُهُ.

فتأتي بالعقيدة الصحيحة في الله وفي أسمائه وفي صفاته.

ويُقدِّم الشريعة الصحيحة التي يكون فيها:

- سعادة الفرد والمجتمع.
- صلاح الدنيا والآخرة.
- سعادة الروح والبدن.

فلما غاب كثيرٌ من طُلَّاب العلم وكثيرٌ من العلماء عن القيام بدورهم؛ بأن يكون الإسلام هو البديل عن هذه النصرانيَّة المُحرَّفة، وأن أصل الدين واحد، وأن شريعة عيسى عليه السلام ومن قبلُ شريعة موسى نُسِخَتا بشريعة محمد ﷺ.

ويظهر للناس هذا الدين الإسلامي الذي أراده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فإظهار دين الإسلام عقيدةً وشريعةً وبيانه للناس من أكبر ما يَدحَضُ هذا الإلحَاد ويُزيله، ويُزيل الشبهات والشكوك عن الناس؛ لأنهم فعلًا ليسُوا معتقدين أو مقتنعين أن هذا الكون من وجد غير خالق.

لكنهم يعتقدون أن هناك خالق لكن:

- **من هذا هو الخالق؟**
- **وما هي هذه الشريعة التي طلبها منا الخالق أن نلتزمها؟**

لا بُدَّ أن تكون واضحة؛ وهذا هو دين الإسلام عقيدةً وشريعة.

الدَّرسُ الثَّانِي عَشَر

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإلحَاد (٢)

موضوعات المحاضرة السابقة:

- ❖ بعض المصطلحات المتعلقة بالإلحَاد.
- ❖ وأقسام المَلَاحِدة في العصر الحاضر.
- ❖ أسباب ظهور الإلحَاد في أوروبا.

فقد سبق تعريف بعض المصطلحات، ومن ذلك:

معنى الإلحَاد في اللغة: الميل والعُدُول والانحراف عن طريق الحق وطريق الإيمان وطريق الاستقامة.

وأن الإلحَاد اصطلاحًا هو: الميل عن الحق الذي يجب اعتقاده أو عمله.

وأن الإلحَاد نوعين:

١. **الإلحَاد في آيات الله الشرعيَّة**؛ أي: أن تأتيَ لنصوصٍ شرعيةٍ ثم تَصرِفَها عن ظاهرها بتحريف، أو تقوم بعصيان ما فيها من طلب.

٢. **الإلحَاد في آيات الله الكونيَّة**؛ بنسبةِ خلقِ هذا الكونِ لغير الله، ودعوى أن المدبِّر لهذا الكون غير الله، هذا إلحَادٌ في آيات الله الكونية.

وأن مصطلح الإلحَاد في العصر الحاضر يقصد به: إنكار وجود الله.

ويدخل في الإلحَاد كذلك: الإلحَاد الروحي، فهؤلاء منكرون لوجود الله، ويزعمون أنه إله مفارق، ويعتقدون أن هذا الكون هو الإله، وهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود.

وأقسام المَلَاحِدة في العصر الحاضر:

القسم الأول: أصحابُ الإلحَاد الإيجابي، وهم: من يزعم أن لديه أدلةً تُثبِت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير موجود.

القسم الثاني: أصحابُ الإلحَاد السلبي، وهم: من يزعم أن الأدلةَ غيرُ كافية، وليس لديه أدلة يُثبِتُ من خلالها أن الله غير موجود.

الملحد الرُّبُوبِي هو: الذي يُقِرُّ بوجود خالقٍ، لكنه يزعم بأنه لا صِلَة له بالخلق بعد أن خَلَقَه، أو يزعم أنه فَنِيَ بعد أن خَلَقَ الخلق.

وأسباب الإلحَاد في أوروبا:

- الديانة النصرانيَّة المنفِّرَة في عقيدتها وشريعتها.
- فسادُ وطغيانُ رجالِ الدين ونظام الكَنِيسَة.
- حُدُوثُ الصِّراعِ بين الدين الكنسيّ والكشوف العلميَّة.
- دور اليهود في نشرِ الإلحَاد.
- غيابُ الأُمَّة الإسلامية عن بيان الدِّين الإسلامي.

موضوعات هذه المحاضرة:

أولًا: مراحل نشأة الإِلحَاد في أوروبا.

ثانيًا: أسباب اجتهاد المَلَاحِدة في نشر إِلحَاد في العالم الإسلامي ووسائل في ذلك.

ثالثًا: أسباب تَسلّل الإِلحَاد للعالم الإسلامي.

❖ الموضوع الأول: مراحلُ نشأةِ الإلحَاد في أوروبا:

بالنسبة لمراحل نشأة الإلحَاد في أوروبا في عصرنا الحاضر؛ فنستطيع أن نجعلها في سبعة مراحل، نعددها اجتهادًا أنها مرت بسبعة مراحل، وهي على النحو الآتي.

المرحلة الأولىٰ: طغيان الكَنِيسَة العلميَّة:

مرحلة طغيان الكَنِيسَة العلميَّة وانتصارهم في ذلك؛ فَهُم طَغَوا وانتَصَرُوا على أصحاب الكشوف العلميَّة.

والكَنِيسَة في هذه المرحلة من بداية الصراع ارتكبت خَطَأين:

الخطأ الأول: تحريفُ حقائقِ الوحيِ الإلهيّ، وخلط هذه الحقائق التي عندهم في الإنجيل والتوراة بنظريات البشر؛ بحيث أصبحت هذه النظريات البشرية المتعلقة بالفلك وبالكون ضمن العقائد النصرانيَّة؛ أي: حرَّفُوا وخَلَطُوا الحقائق بنظريات البشر.

الخطأ الثاني: أنهم أدخلوا تلك النظريات ضمن العقيدة النصرانيَّة التي يجب على الناس اعتقادها، وأنَّ من خالفها فقد خرج عن الدين النصراني.

مثال على ذلك:

أتوا بمسألة الأُقنُوم الثاني؛ وهو عندهم عيسى عليه السلام، فقالوا: هذا تجسُّد على الأرض، والأرض هي مركزُ الكون وهي ثابتةٌ ومسطحة، فجاءَ هذا ابنُ الإله وتجسَّد على هذه الأرض.

ويسمون هذه النَظَرِيَّة: نَظَرِيَّة بطليموس؛ وهي أن الأرض مركز الكون وأنها ثابتة ومسطحة.

فأخذوا هذه النَظَرِيَّة -نَظَرِيَّة بطليموس- في العقيدة النصرانيَّة، وقالوا:

أن هذه الأرض الثابتة والمسطحة والتي هي مركز الكون:

- تجسَّد عيسى عليه السلام فيها أو تجسد عليها.
- وعليها تم الفداء والخلاص.

- وفوقها يتناول العشاء الرباني.
- وأن التوراة تشهد بذلك.

إذًا: أصبحت عقيدة عندهم:

- أن الأرض ثابتة ومسطَّحة وليست كُرَوِيَّة، وهذه عقيدةٌ في الأرض.
- وأن الأرض هي مركز الكون.
- وأنها ثابتة لا تدور وهكذا.

ثم قالوا: لا يمكن أن تكون الأرض كُرَوِيَّة، وأن يكون لها وجه آخر من أسفل.

ولماذا قالوا ذلك؟

أولًا: لأنه لو كان لها وجه آخر وأن هناك سكان آخرون في الوجه الثاني للأرض، **فكيف سيكون لهم الفداء والخلاص،** وعيسى لم يأتِ إلا على وجه واحد، ولم يأتِ للجهة الأخرى؟!

فأصحاب الجهة الأخرى كيف سيحدث لهم الخلاص؟!

ثانيًا: أيضا قالوا: **نحن نرى النبات ينمو إلى أعلى، فكيف الذين يكونون في أسفل؟**

كيف سيأتيهم النبات؟

النبات يأتي إلى الأعلى؛ فالذين سيكون في الأسفل لو كان هناك نبات:

- **فهل سيكون النبات إلى أسفل؟!**
- والناس كيف سيكونون؟
- وكيف سيكون قيامهم؟
- هل سيكونون معلقين بأرجلهم؟!

فبالتالي أنكروا أن تكون الأرض كروية تماما، ويرون أن التوراة والإنجيل يشهدان بهذا.

والنتيجة:

أن هذه النَظَرِيَّة -نَظَرِيَّة بطليموس- قد أدخلوها وجعلوها عقيدة، وجعلوا الأمور العقدية مرتبطة بهذا غير منفكة عن هذه النَظَرِيَّة؛ **فصارت النَظَرِيَّة مع العقائد مخلوطة خلطًا لا يمكن أن تنفصل النَظَرِيَّة عن العقيدة التي عندهم.**

ظهور النظريات العلميَّة المصادمة للكَنِيسَة:

فجاءت النَظَرِيَّة العلميَّة الحديثة -سواءً خطأ أو صواب- مصادمةً لما عند الكَنِيسَة، ومن ذلك:

١. **جاء كُوبَرنِيكوس في كتابه: (حركات الأجرام السماوية)، فتوصَّل إلى أن الأرض ليست مركزًا للكون،** وأن الكواكب تدور حول الشمس، أي: أن الشمس هي المركز للكون، وأن الأرض تدور حول الشمس.

فاستدعت الكَنِيسَة كُوبَرنِيكوس للمحاكمة، لكنه مات قبلها.

٢. **فجاء بُرُونُو، وقال: إن ما قاله كُوبَرنِيكوس صحيح، وبدأ يُثبت النَّظريَّات التي قالها كُوبَرنِيكوس، فاستدعوه وحاكموه، ثم سُجِنَ وأُحرِقَ أمام الناس.**

٣. **ثم جاء جاليليو بعد برونو وأيَّدَ ما قاله برونو وما قاله قبله كُوبَرنِيكوس؛** فأيَّد ذلك **فاستدعته الكَنِيسَة وحاكمته ثم سُجِن،** لكنه كان في آخر عمره وبلغ السبعين، فقال: إنه يتوب عن معتقداته ويتراجع عن ذلك.

فهذه المرحلة الأولى.

ولمن الغلبة فيها؟

الغلبة كانت فيها للكَنِيسَة.

وكان الذي أُوذِيَ وشُوِّهَت صُورته وظهر بأنه كافرٌ مُهَرطِق سَيِّء هم: أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة.

فهذه المرحلة الأولى، وكان فيها انتصار الكَنِيسَة.

المرحلة الثانية: قوةُ أصحابِ الكُشُوفَات العلميَّة:

ففي هذه المرحلة قَوِيَ أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة عما كانوا عليه من قبل، وفي الوقت ذاته عُرِفُوا بتدينهم.

أي: هؤلاء الذين ظهروا في هذه الفترة **ليس هناك مطعن في تديُّنهم بالدين النصراني**؛ فعُرِفُوا بذلك وعُرِفوا بإيمانهم بعقائد النصرانيَّة.

لكنهم في الوقت ذاته يؤيدون أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة، **فحاولوا أن يكون هناك في هذه المرحلة انتصافٌ لمجالاتِ الطبيعة، وأن يكون هناك انتصاف للمعارف.**

ففصلوا في ذلك فقالوا:

- **بالنسبة للطبيعة**؛ التي نراها الآن، أي: الفيزياء والطبيعة التي أمامنا؛ فهذه القول فيها يكونُ قولُ أصحابِ الكُشُوفَات العلميَّة.

فبالنسبة لأمور الطبيعة لو حدث تعارض بين الكَنِيسَة وبين أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة فالقول فيها لأصحاب الكُشُوفَات العلميَّة.

- **أما ما وراء الطبيعة وهي الميتافيزيقا**؛ فالقول فيها قولُ رجال الكَنِيسَة.

مثال على ذلك: ما يتعلق بأمور اليوم الآخر ومصائر الناس فيها ونحو ذلك من العقائد الغيبية المتعلقة بالله، والتثليث والأشياء هذه.

فقالوا: إن القول فيها يكونُ قولُ الكَنِيسَة، **حتى لو كان غيرَ مقبولٍ عقلًا وغيرَ ثابتٍ علميًا**، لكن يُقبَلُ فيها قول الكَنِيسَة.

من أبرز رواد هذه المرحلة:

- ديكارت.
- فرانسيس بيكون.

ولم يكن هناك شكٌّ في تديُّنهم بالدين النصراني.

فأولا: جاء **ديكارت** ونظَّر للعلوم الطبيعية، وقال:

- **ميدان العلم والكُشُوفَات العلميَّة:** الطبيعة.
- **وموضوعه:** استغلالُ القُوَى الطبيعية.
- **وأدواته:** الرياضة والتجربة.

فنستغل هذه القوى الطبيعيَّة ونستفيد منها بهذه الأدوات التي عندنا، وهي: التجربة والرياضة وهكذا.

- **وبالنسبة للدين فهو:** يَختَصُّ بمصائِرِ النفس في العالم الآخر، ويعتمد على الاعتقاد بالتسليم.

أي: إيمانٌ مطلق، ففي الغرب عندما يقولون: (هذا الأمر نقبلهُ إيمانًا) فمعناه: مرفُوضٌ عقلًا.

ويقولون: **دليلُه الإيمان، نقبلُه إيمانًا وإن رَفضنَاه عقلًا.**

وثانيًا: جاء **فرانسيس بيكون** وأيَّدَ ما قاله ديكارت، لكنه شَرَحَه وفصَّله بشكل أكبر؛ بحيث يقول: **يمكن أن تكونَ أيَّ قضيةٍ خاطئةٍ تمامًا في نظر العقل، لكنها صحيحة تمامًا في نظر الدين ولا إشكال في ذلك.**

إذًا؛ الخلاصة:

الاعتدال في هذه المرحلة كان بأن:

- ✓ يكون القول لأصحاب الدين في: أمور الميتافيزيقا.
- ✓ ويكون لأصحاب الكُشُوفَات العلميَّة القول في: أمور الفيزيقا.

فهذه مرحلةٌ كان فيها اعتدالٌ وكان فيها اقتسامٌ للمعرفة وأدوات المعرفة وهكذا، فصار هناكَ نوع تصالح.

المرحلة الثالثة: صعودُ نَجم أصحابِ الكُشُوفَات العلميَّة:

جاءت المرحلة الثالثة وقوي فيها أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة أكثرَ من قبل، بل قَوِيَ جدًّا.

وقالوا عن كلام ديكارت -هم يحترمون ديكارت ويحترمون فرانسيس بيكون- لكن قالوا:

كيف تكون القضية خاطئة عقلًا ونقبلها؟!

الجواب: لا، ما نقبلها.

فجعلوا الكُشُوفَات العلميَّة وما توصَّلوا له بالعلم عن طريق الحسِّ والتَّجربة **وحوَّلوه إلى قضايا عقلية فَلسَفيَّة= ميزانًا وعمدةً في جميع العلم والمعارف.**

وبالغوا جدا؛ حيث حكموا حتى على الأمور المتعلقة بالوحي والكتب المقدسة أن توضعُ وتوزنُ في ميزان العقل والحس والتجربة:

- فما قَبِلَهُ العقل والحس والتجربة= **قَبِلنَاه**.
- وما رفضه العقل والحس والتجربة= **نرفضه**.

فالكَنِيسَة هنا غَضِبَت ورأت أن هؤلاء تجاوزوا الحدود، فأصبحت تصادرُ الكتب وتُؤذِي من تمكَّنت منه.

لكن الزمام انفلت منهم وأصحاب الكُشُوفَات العلميَّة كانوا هم الأقوى، وصار تأثيرهم في الشعب أكبرَ وأكثر.

ومن رواد هذه المرحلة:

- سبينوزا.
- جون لوك.

أولا: كان **سبينوزا** متحدثًا وكان يكتب في القواميس العلميَّة وقواميس المعارف ونحو ذلك.

ويختلف سبينوزا عمن سبق فيما يأتي:

١. **أنه كان يهوديًّا.**

٢. أنه كان يخالفُ ديكارت وبيكون، **ويدعو إلى تطبيق المنهج العقلي على الكتب المقدسة** – التي يعتقدُون أنها مقدسة– على أساس أنها تراثٌ بشريٌّ، وليست وحيًا إلهيًّا.

وبعد ذلك صارَ سبينوزا قدوةً لكثيرٍ من العقلانيين العرب الذين يريدون أن يسيروا مسارَ الغرب في مصادمةِ الكتب المقدسة؛ فقالوا:

- هذه الكتب المقدسة –يقصدون القرآن والسنة– يجبُ أن توضع في ميزان العقل، ويزعمون أن المتكلمين كان لهم دورٌ كبيرٌ في ذلك.
- وأنه يجب أن نحيي هذا الفكر من جديد؛ **وكان للمعتزلة دور كبير في ذلك**، فيجب أن نحيي دورهم في هذا الأمر في العقيدة وفي الشريعة.

ومن هنا: صارت هناك مشاريعٌ كثيرة في قراءة الوحي الإلهي، وقراءةُ الكتاب والسنة قراءةً معاصرة.

وخلاصة منهجهم: أن يُجعَلَ الفِكرُ الغربي المُعَاصِر هو الميزان، ويسمُّونه العقل.

إذًا؛ هم يعتبرون الفكر الغربي المُعَاصِر هو الميزان، فما وصلت إليه الحضارة الغربية المُعَاصِرة من:

- مبادِئَ وقِيَمٍ.
- من علمانية.
- وليبرالية.
- وديمقراطية.
- وبراجماتية.

يجعلونها هي الميزان.

ثم يضعون الشريعة ويضعون الوحي الإلهي فيها.

- فما قبِلَه هذا الفكر الغربي المصلح للفرد والمجتمع في الغرب عندهم= قبلناه من الشريعة.
- وما لم يقبله= نحاول أن نبحث عن تأويلات وهكذا.

فالخلاصة: جاءَ جون لوك وقال مثلما قال سيده سبينوزا، وقال: يجب أن يخضع الوحي للعقل عند التعارض.

وهكذا انتهينا من المرحلة الثالثة.

وخلاصة المراحل السابقة:

فالمرحلة الأولى= كانت القوة للكَنِيسَة.

والمرحلة الثانية= كانت قوة التعادل.

والمرحلة الثالثة= القوة لأصحاب الكُشُوفَات العلميَّة.

المرحلة الرابعة: مرحلة الرُّبُوبِيِّين:

من هذه المرحلة بدأ ضعف المتدينين الذين يشتغلون بالكُشُوفَات العلميَّة؛ فبدأَ يضعُف عندهم التعبُّد لهذا الإله، وضعُف عندهم مسألة التدبير واعتقاد أن هذا الإله يُدبِّر الأمور.

وهكذا جاءت **مرحلة الرُّبُوبِيين.**

وخلاصة قولهم: يُوجدُ ربٌّ لكن انتهت علاقته بالكون.

من رواد هذه المرحلة: وأكثر من يمثل هذه المرحلة هو: نيوتن.

وأهم نَظَرِيَّة جاء بها: قانون الجاذبية، ونتج عنها أنه=

- انبَهَرَت عقولُ الناس بهذا القانون.
- واعتبروها ثورة نيوتنِيَّة.
- وأحسوا بنشوةِ انتصارٍ عظيمة؛ لأنه أمكن تفسير الكون كله بهذا القانون الخارق.

فقالوا: نحنُ كانت عندنا فجواتٍ كنا نملأها بالإله، لكن الآن جاءت هذه الكُشُوفَات العلميَّة تملأُ هذه الفجوات.

فالقانون الجاذبي هو الذي يُمسِك هذا الكون.

وهذا سبق أن تحدثنا عنه في بداية هذه المحاضرات، وقلنا: **هذه قوانينٌ وسُننٌ المفترض أنها تزيد الإيمان**؛ فعندما يعرِفُ الإنسان:

✓كيف أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دَبَّرَ أمرَ هذا الكون.

✓وكيف يجعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ البشر يسيرون على هذه الأرض ولا يَطِيرُون.

فهذا يقوِّي الإيمان، وقلنا: أنَّ هذا كلامٌ عن الكيفيات؛ فما كان منها من حقٌّ= فهو زيادة في إيمانِ الإنسان، وليس فيه تعارضٌ بإنكار وجود الله.

لكن هؤلاء لا ندري كيف يدعون هذا وكيف يزعمون هذا الزعم؟!

أثر نَظَرِيَّة نيوتن:

فنَظَرِيَّة نيوتن من أعظم النظرياتِ العلميَّة أثرًا في الحياة الأوروبية، ومن أوجه تأثيرها:

- أنها وَضَعَت الفكر المادي الغربي.
- ساهمت في نجاحِ كلٍّ من المذهب العقلي والمذهب الطبيعي.
- ساهمت في إيجادِ مذهبِ الإيمان بإلهٍ مع إنكار الوحي.
- وساهمت في إيجاد الإلحَاد لاحقًا.

فهذه نَظَرِيَّة نيوتن، مع أنها كان ينبغي أن تكون سببًا لتقوية الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونحو ذلك، لكن هذا هو الذي حدث في أوروبا.

المرحلة الخامسة: تأليه الإنسان:

أهم شيء جاؤوا بها: الجديد في هذه المرحلة أنهم وصلوا إلى **تأليه الإنسان**، فالإنسان هو الإله وهو المعبود، ولا يوجد إله.

بينما في المرحلة السابقة كان وجود الربِّ ربوبيًّا، لكن علاقته بهذا الكون انتهت.

ثم جاءت هذه المرحلة وليس هناك ربّ، **وإنما الرب هو الإنسان هو الإله وهو المعبود.**

ومن أهم ما تختلف فيه هذه المرحلة عما سبقها: أنه تجرَّأ أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة على أصحاب الكَنِيسَة تجرُّؤًا كبيرًا؛ فتجرؤوا على الدين النصراني وبدأوا يسخرون.

فلم يقتصر الأمر على مجرد النقدٌ فقط، بل نقدٌ وسخريةٌ بالعقائد الكَنَسِيَّة، وسُخرِيةٌ بالشريعة الكَنَسِيَّة، وسُخرِيةٌ بالمعجزات المنسوبة للأنبياء، وسُخرِيةٌ بالأديان جميعًا.

فهذه المرحلة كانت قوية جدًّا بالنسبة لهؤلاء المعارضين للدين.

من أهم رواد هذه المرحلة:

- فولتير.
- هولباخ.

أولا: ظهر فولتير وكان يقول:

- إن العقيدة المسيحية في التثليث وتجسيم الإله والصور المقدسة كلها خزعبلات.
- ويرى أن الإيمان بالمسيحية نوع من الاعتقاد بأشياء مستحيلة أو بأشياء تستعصي على الفهم.
- ويرى أن من الجنون: الإيمانُ بأن الحية تتكلم، والحمار يتحدث وحوائط أريحا تتساقط بعد سماعها صوت الأبواق.
- ويعتبرُ الإيمان بالخطيئة الأولى إهانة لله، وأيضا فيه اتِّهام لله بالبربرية والتناقض، فكيف يخلق الأجيال البشرية ويعذِّبها؛ فقط لأن أباهم الأول قد أكل فاكهة من حديقته؟!

ثانيًا: جاء هولباخ وأساء إساءَات عظيمة، وقال:

- إن عقيدة الله المأثورة نسيجٌ من المتناقضات.
- وقال: إن فكرة الله هي الضلالة المشتركة للنوع الإنساني -تعالى الله ﷻ عن ذلك علوا كبيرا-.

ومما امتازت به هذه المرحلة: أنها كانت **مرحلة تأليه العقل وتأليه الطبيعة**، فلدينا هنا مذهبان:

الأول: المذهب العقلي:

وهو المذهب القائل: أن العقل هو الحَكَمُ الوحيد، وهو كل شيء، وما عداه فوَهمٌ وخُرافة.

ولما كان الوحي بالنسبة للنصرانية يخالف العقل حكموا عليه بأنه:

- أسطورةٌ كاذبة.

- والمعجزات لا تتفق ومألوف العقل؛ فهي خرافات بالية.
- الفداء والصلب والرهبانية أباطيلُ مُضَلِّلة.

إلى غير ذلك من شرائع النصرانيَّة؛ فكلها أباطيلُ مُضَلِّلة وعقائد مردودة؛ لأنها لا تتسق مع العقل.

الثاني: المذهب الطبيعي:

وأما أصحاب المذهب الطبيعي: فقد نقل فلاسفةُ الطبيعة كل صفات الله التي عرفها الناس عند المسيحية، إلى الإله الجديد وهو **الطبيعة**.

مع فارق كبيرٍ بين الإلهين في نظرهم، والفرق: أن إله الطبيعة أفضل عندهم من الإله المتعلق بـ: (عيسى)، وهو الإله في النصرانيَّة.

ومن نتائج هذه المرحلة: أن الناس وَقَعَوا في الإِلحَاد، لكن صار عندهم مشكلة في موضوعات عدة، ومنها:

- موضوع الأخلاق.
- وموضوع اللجوء إلى من؟ خاصة عندما يصيب الإنسان كرب وضيق؟ وكيف يرتاح؟
- ومن وَقَع في خطايا كيف يرتاح من خطاياه هذه؟

لأن هناك أمور كثيرة اختفت، ومعان دينية وخيرية اختفت، حيث كان الناس:

- إذا أذنبوا ذَهَب يوم الأحد للكَنِيسَة، وارتاح قليلا، ودفع المال حتى يشعر بالطهارة ويشعر بالراحة ثم يذهب ويعيش في حياته.
- ويتعامل مع والديه ويعلم أن هناك ربٌّ يراه، وأن هناك أجورٌ، وأن هناك يوم آخرٌ يُجزَى الناسُ فيه على أعمالهم.

- وأن هذا العدل والصدق والاحترام وخدمة المجتمع وتقديم الخير حتى لأمور الحيوان؛ كله بأجور.

ولكن في هذه المرحلة: لا يوجد إلهٌ نلتزم بالأخلاق من أجله، أو نتصدق أو نتطهر من أجله= فشعر الناس بتعب شديد.

المرحلة السادسة: دين الإِنسَانيَّة:

وفي هذه المرحلة ولِمَا وجدوه من تعب شديد بعد التخلي عن الدين مع أنه محرَّف قالوا: لا بد من دين حتى تضبط حياة الناس.

فقالوا: نجعل الدين دين الإِنسَانيَّة.

ومن رواد هذه المرحلة: أُوجِست كُونْت، وبدأ يصنع للناس ديانةً سمَّاها: الديانة الإِنسَانيَّة.

فقال: الإِنسَانيَّة هي الوجود الحقيقي، وهي أن:

- تعيش على الأرض.
- وتسبح في الهواء.
- وتستظلُّ في السماء.

فهذا الثالوث المقدَّس للدِّيانة الإِنسَانيَّة.

والعبادة في الديانة الإِنسَانيَّة نوعان:

النوع الأول: عبادة فردية:

يتوَجَّه فيها الفرد بالعبادة والتقديس لمن لهم فضلٌ عليه.

مثل: والديه وأستاذه.

تكريمًا للإنسانية؛ الموجود الأعظم في أشخاصهم.

النوع الثاني: عبادة جماعية:

وهو أن يتوجَّه الناس جميعًا إلى من قَدَّم خدمةً للمجتمع بشكلٍ جماهيريٍّ جماعيٍّ، في أيام معينة يُطلَق عليها: **أعيادٌ تذكارية.**

ففي هذا العيد:

- يذهبون إلى النُّصُب التي وُضِعَت له ويقفون احترامًا له.
- أو يأخذون دقيقةً يتَّفِقون فيها على مستوى العالم في هذا اليوم؛ ليُكرموا الإِنسَانيَّة الموجودة فيه.

طبقات المجتمع في الديانة الإِنسَانيَّة:

أيضا رأوا أن المجتمع لا بد أن يقسَّم إلى طبقاتٍ مثل النصرانيَّة، فجعلوا:

الطبقة الأولى: طبقة الإكليريك، ويسمُّونهم: رجالُ دين الإِنسَانيَّة.

الطبقة الثانية: طبقة النساء.

الطبقة الثالثة: طبقة رجال الصناعة والمال.

الطبقة الرابعة: طبقة العمال.

الفرق بين إله الكَنِيسَة وإله الطبيعة:

ثم بدأوا يتكلمون عن الفرق بين إله الكَنِيسَة، وإله الطبيعة، فقالوا:

الفرق الأول:

- أن إله الكَنِيسَة بَطَّاشٌ حَقُودٌ مُعَذِّبٌ للسُّلالة البشرية، ويقتل ابنه لأن الإنسان الأول أكل فاكهة من حديقته.
- أما الطبيعة فإلهها جَذَّابٌ رَحبُ الصدر ليس له كَنِيسَة ولا التزامات؛ فنحن نعبد الطبيعة.

الفرق الثاني:

- القيود في الكَنِيسَة قيودٌ مُتعنِّتة وشريعة تضايق الناس، وفيها التَّضييق على حرية الإنسان وتقييده بالالتزامات.
- أما القيود عند إله الطبيعة؛ فلا تستدعي طقوسًا ولا صلواتٍ، وكلُّ ما يطالب به الإنسان: أن يكون إنسانًا طبيعيًّا، يلبِّي مطالبه الطبيعية في وضوح وصراحة.

ومعنى أن تكُون طبيعيًّا: أن تَرجِع إلى أصلِ خلقتك قبل الأديان، كيف كنت قبل الأديان؟

مثال: **عندهم مشكلةٌ حتى مع اللباس**، فيرون أنه لا فرقَ بين الإنسان وبين الحمار، فالحمار ليس له دينٌ؛ ولذلك ليس لديه سراويل ولا لباس.

والإنسان لما جاء الدين جعله يلبس ملابسه، وإلا فهو والحمار واحد، والفرق بينهم في الدرجة وليس في النوع؛ فليسَ أنَّ هذا نوعٌ وهذا نوع، لكن الإنسان مُترقٍّ فعنده درجاتٌ زادَ بها عن الحمار، لكنه يكونُ طبيعيًّا لو كان من غير سراويل ومن غير لباس.

ففي نظرهم هذا يلبِّي مطالبَ الطبيعة، وتُحرِّك الغريزة.

مثال آخر: إرادة الإنسان ممارسة شيء جنسي مع ذَكرٍ آخر، أو أنثى مع أنثى، أي: الشذوذ.

فهذه أشياء يدعون لها؛ لأنها تلبِّي مطالبَ الطبيعة.

الفرق الثالث:

- رجال الدين في الكَنِيسَة يُفرَضُ على الناس الخضوع المُذِلُّ لهم، والذي يفرضه هو إله الكَنِيسَة.
- أما الإله الجديد وهو إله الطبيعة: فليس له رجالُ دين يستعبدون الناس لأنفسهم، ولا كتابٌ مقدَّس -كما يقولون- متناقض، ولا أسرارٌ عُليَا مقدسة، بل:

له دعاةٌ من أمثال:

- روسو.

- فولتير.

وله كتبٌ علميّة هي:

- دائرة المعارف.
- العَقدَ الاجتماعي.
- رُوح القوانين وهكذا.

الفرق الرابع:

- السعادة في الدين الكَنَسِي: عندما تلتزم بالدين الكنسي لن تجدها، بل ستجد الشقاء وتجد الرهبانية.
- أما في الطبيعة فالقانون الطبيعي والجاذبية يجعلُ الكونَ مترابطًا متناسِقًا، لا اضطراب فيه ولا خلل، وبالمقابل جعلتِ الطبيعة للإنسان قانونًا طبيعيًّا يكفل له السعادة التامة.

وقالوا: الطبيعة تجعل الإنسان يكيِّف نفسه معها، وتكون أخلاقه متكيِّفة متغيِّرة.

فنتج عندهم: نسبية القِيَم.

والواقع أن هذه المرحلة السادسة أضاعتهم جدا وأتعبتهم جدا.

المرحلة السابعة: الدعوة للإِلحَاد المُعَاصِر:

في المرحلة السابعة أرادوا أن يكونَ الدعوة للإِلحَاد المُعَاصِر بديلًا عن الدعوة للنصرانية؛ لأنهم نَفَروا من النصرانيَّة الآن، ويريدون دعوة الناس إلى أن يكونوا موافقين لهم؛ بحيث يُقلِّلوا الحروب ويقلِّلوا الصراعات، **فماذا قالوا؟**

كانوا قبلُ يستخدمونَ التنصير، أما الآن قالوا: نستخدم هذا الإِلحَاد.

فهذه المرحلة الأخيرة، وهي: مرحلة الإِلحَاد الجديد.

ويهدفُ إلى: معالجة أيِّ شعورٍ بالإثم أو الخطأ، وبيانُ إمكانية التزام الأخلاق بدون دين.

من أشهر رُوَّادِ هذه المرحلة:

- سام هاريس.
- ريتشارد دوكنز.
- كريستوفر.
- هيتشنز.
- دانيل دانيت.
- لورانس كراوس.
- ستيفن هوكنج.

فهؤلاء من أشهر رواد هذه المرحلة.

هذه المرحلة السابعة ستجدون بعض الإشارات والكلام عنها في كتب أخرى متوسعة.

أما هنا فنذكرُها باختصار: أن هؤلاء جاءوا وهدفُهم ودعمُهم دعمٌ سياسي، وفكرتهم فكرة سياسية؛ واستخدموا الإِلحَاد بدلًا عن التنصير.

❖ الموضوع الثاني: أسباب اجتهاد المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي ووسائلهم في ذلك:

فهنا قضيتان وسؤالان مهمَّان:

- ما أسباب اجتهاد المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي؟
- وما وسائلهم في ذلك؟

أولًا: أسبابُ اجتهادِ المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي:

السبب الأول: **إبعاد المسلمين عن دين الإسلام**، وهذا يتضح بالنظر إلى بداية الدعوة للإِلحَاد في العصر الحاضر، وأنها كانت مرتبطة بأحداث الحَادي عشر من سبتمبر؛ **لأنهم يرون أن السبب في تفجير البُرجَين هو: الدين**، فلا يمكن تفاديه مستقبلًا إلا بإبعاد المسلمين عن دينهم.

ويرون أن انتشار الدين كانتشار السلاح في الشوارع، فلا تأمن في أي لحظة من استخدامه في أذيةِ الآخرين كما يزعمون.

مثال: ريتشارد ديكنز يقول: يتساءل الكثيرون: **كيف غيرتك أحداث الحَادي عشر من سبتمبر؟**

ثم يجيب: إليكم كيف غيرتني، لنتوقف جميعًا عن هذا التصنُّع المُقِيتُ في إبداء الاحترام للأديان.

مثال آخر: سام هارس صرَّح أنه بدأ في تأليف كتابه (نهاية الإيمان) في اليوم التالي، أي: في اليوم الثاني عشر من سبتمبر.

السبب الثاني: إبعاد الغُربة عن المَلَاحِدة الذين هم في بلاد المسلمين، فهم يُريدون تكثير سوادِهم لعدة أمور من أَهمِّها:

إزالة الوحشة المقلقة عن نفوسهم للاستفادة من الكثرة في المطالبة بحقوق الملحد في الردة؛

لذلك صَرَّح دوكنز في حواراته بأمور منها:

- أنه يتمنى أن يجد طريقة ليتعلم السعوديون: أن بإمكانهم ألَّا يكونوا مسلمين.
- ويقول أيضا: السعودية تحت حكم الأمراء السعوديين؛ حيث المرأة لا تستطيع أن تقود السيارة.
- وتحصل على المشكلات لو خرجت من المنزل من غير قريب ذَكَر؛ والذي يمكن أن يكون كتنازلٍ سخيٍّ: طفلًا صغيرًا.

فهو يدعم هذا، ويركز على بلدانٍ معينة كما هو واضح.

ثانيًا: وسائلُ المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي:

أما وسائل المَلَاحِدة في نشر إِلحَادهم؛ فيمكن إجمالها في ثلاثة وسائل:

أولًا: الكتب الإِلحَادية والرِّوَايَات:

ومن خلال هذه الكتب الإِلحَادية والرِّوَايَات يُبَثُّ الإِلحَاد بصورة مباشرة وغير مباشرة، لكنها تطرح الأفكار التي يُركِّز عليها المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد.

مثل:

- ☒ ثقافة الشك.
- ☒ وإضعاف الثقة في النفس بالنُّصوص الدِّينيَّة.
- ☒ تبغيض الدِّين في النفوس.
- ☒ التَّشكيك في حكمة الباري.
- ☒ وبثّ فكرة العبثيَّة الكونيَّة.

ثانيا: القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت والإعلام الجديد:

ومن خلال هذه الوسائل يُعرض ما يلي:

مثل:

- ☒ عرض مفاهيمِ إِلحَاديةٍ واضحةٍ ومبطَّنةٍ.
- ☒ تمجيد دعاةِ الإِلحَاد.
- ☒ نقل النظريات الإِلحَادية في صورٍ تبدو علميّة.
- ☒ السخرية والاستهزاء بالدين والمتدينين.
- ☒ نشر التذمر من الوصاية على العقول -كما يزعمون-.

☒ الدعوة للانفتاح الفكري بدون قيود أو ضغط.

ثالثًا: اللقاءات المباشرة:

مثل:

- الصالونات الثقافية.
- والجلسات الخاصة.
- والمنتديات العامة.

ففيها يكون:

- الدعوة إلى الإِلحَاد الصريح.
- وفيها يكون الدعوة إلى التَّحرُّر والانفتاح.
- والتَّخلص من العادات والعبادات الدِّينيَّة، وإظهارها بصورة رجعيّة تهيِّجُ الناس على أهل الحسبة؛ لتَدخُّلِهم بزعمهم في حرِّيَّات الآخرين.

❖ الموضوع الثالث: أسباب تسلُّل الإلحَاد للعالم الإسلامي:

والحقيقة قد نقول: إنه يمكن أن يوجد مبررات لانتشار الإلحَاد في أوروبا، لكن لا مبرر له في العالم الإسلامي.

فكيف تسلل إذن إلى العالم الإسلامي؟

السبب الأول: الجهل بدين الإسلام، وظنِّ البعض أن الفرق المبتدعة تُمثِّله.

مثل:

- التَّصوُّف الفلسفي.
- التَّصوُّف الغالي.
- التَّصوُّف بشكل عام.
- أو الخوارج.
- أو الفكر الإرجائي.
- أو الفرق الباطني.

فيُظن أن هذا يُمثِّل الإسلام؛ فوجدوا التَّشابه بين هذه الانحرافات وما عند النصارى، فكل هذه الفرق المبتدعة إذا نظر الإنسان في عقائدهم= قد يجد أنها تشابه العقائد النصرانيَّة.

وهكذا فيُظنُّ أن هذه الفرق المبتدعة تمثِّل الإسلام، فيبدأُ ينفر من ذلك.

السبب الثاني: الانبهار بالتقدُّم المادّي الحضاري الذي وصل إليه الغرب، وربطه بالإلحَاد.

أي: أنهم لم يصلوا إلى ذلك إلا بسبب هذا الإلحَاد، وربط التَّخلُّف التِّقنِيّ بالتمسك بالدين.

السبب الثالث: حب الشهوات؛ فلما يرى في الغرب التمتُّع بكل ما تشتهيه النفس دون عائقٍ ديني، ويُصوَّر له بأن الدين يكبِت الغرائز؛ فهو يبحث عن السَّعادة البهيميَّة في غير إطار الدين، ويعالج نفسه من تأنيب الضمير= فيتوجَّه للإلحَاد.

فهذه الأمور هي التي -للأسف الشديد- جعلتِ بعض المسلمين يتقبَّلون هذا الإِلحَاد، وإلا فلا قبول له في العالم الإسلامي؛ لكون الإسلام الحقَّ الصَّافي النَّقي بين يَدَيِ المسلمين.

الدَّرسُ الثَّالِث عَشَر

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإلحَاد (٣)

موضوعات المحاضرة السابقة:

- ❖ مراحل نشأة الإلحاد في أوروبا.
- ❖ أسباب اجتهاد الملاحدة في نشر إلحادهم في العالم الإسلامي.
- ❖ وسائِلُهم التي كانوا يستخدمونها لنَشرِ إلحادهم في العالم الإسلامي.
- ❖ أسبابُ تقبُّل بعض الناس في العالم الإسلامي للأفكار الإلحاديَّة.

فأولًا: المراحل السبع التي مر بها الإلحاد في أوروبا، وهذه المراحل هي مراحل الصراع بين رجال الكَنِيسَة وبين رجال العلوم التجريبيَّة الفلكيَّة الفيزيائيَّة وهكذا، فالمراحل:

المرحلة الأولى: وكان الانتصار في المرحلة الأولى للكَنِيسَة.

وهذه المرحلة تسلَّطتِ الكَنِيسَة على الأسماء التالية: كوبرنيكوس، وبرونو، وجاليليو.

هذه الأسماء الثلاثة من أبرز من تسلَّطتِ الكَنِيسَة عليهم في هذه المرحلة، وكان النصر فيها للكَنِيسَة.

المرحلة الثانية: حدث التَّعادل والتَّكافؤ بينهما -الكَنِيسَة ورجال العلوم التجريبية-، وقالوا:

- إن القول في مجال الطبيعة لأصحاب الدراسات العلميَّة التجريبية.
- أما ما وراء الطبيعة، فالقول فيها قول الكَنِيسَة.

ورواد هذه المرحلة هم: ديكارت، وفرانسيس بيكون.

وقالوا: ما تقوله الكَنِيسَة فيما وراء الطبيعة، حتى لو كان مرفوضًا عقلًا -فالعقل السليم يرفض ذلك- لكننا نَقبلُه إيمانًا، ولا علاقة للعلم التجريبي في التدخُّل في ذلك المجال.

المرحلة الثالثة: **قَوِيَ أصحاب الكشوفات العلميَّة**، وبدأوا يقولون: حتى تلك الكتب المستخدمة في بيان مجال ما وراء الطبيعة لا بدَّ أن تُوزَن في ميزان الكشوفات العلميَّة، وميزان العلم الحسِّي التَّجريبيّ.

ورُوَّاد هذه المرحلة هم: سبينوزا، وجون لوك.

المرحلة الرابعة: كانت مرحلةُ: نيوتن، وهي **مرحلة الإلحاد الأورُوبِّي**.

المرحلة الخامسة: كانت من أَسوأِ المراحل التي مرَّ بها هذا الإلحاد، وهي **مرحلةُ تأليه الإنسان** وتأليه الطبيعة، فهي مرحلةٌ كان الإنسان فيها هو الإله، وهو المعبود.

ورُوَّاد هذه المرحلة هم: فولتير، وهولباخ.

المرحلة السادسة: وهي: مرحلةٌ توصَّلوا فيها إلى أنه لا بدَّ من دين؛ فوضعوا دينًا وضعيًّا أسموه: **الدِّين الإنسانيّ**.

ورَائِد هذه المرحلة هو: أوجِست كُونْت.

المرحلة السابعة: هي: **مرحلة الإِلحَاد المُعَاصِر المادِّي**.

ورواد هذه المرحلة هم: ريتشارد دوكنز، سام هاريس، وكريستوفر، وهيتشنز، ودانيل دانيت، ولورانس كراوس.

فهذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة، **وهي مرحلة استبدال الدعوة إلى التنصير بالدعوة إلى الإِلحَاد المُعَاصِر**.

ثانيًا: من أسباب اجتهاد الملاحدة في نشر إِلحَادهم:

- أنها دُعِمت سياسيًّا.
- وأنه كان هناك هدفٌ لمقاومة الدين الإسلامي، ومقاومة الأديان بشكل عام بهذا الإِلحَاد المُعَاصِر.

موضوع هذه المحاضرة:

أولًا: مرتكَزات الإِلحَاد المُعَاصِر.

ثانيًا: آثار الإِلحَاد على الفرد والمجتمع.

❖ الموضوع الأول: مُرتَكَزَاتُ الإلحَاد المُعَاصِر:

نتحدث عن مُرتَكَزَات الإلحَاد المُعَاصِر؛ **لأن الإلحَاد المُعَاصِر -خاصة أصحاب الإلحَاد الإيجابي- يقولون:**

- إن لديهم نظرياتٍ علمية تُثبت بأنه لا يوجد إله.
- وأن لديهم نظرياتٍ فَلسَفيَّة وعقائد فَلسَفيَّة؛ هذه العقائد الفَلسَفيَّة تُثبت أنه لا يوجد إله.

ونحن بشكلٍ عام نقول:

إن النَّظريَّات التجريبيَّة التي قام بها أصحاب الكُشُوفَات العلميَّة وغيرهم على أحد حالين:

الحالة الأولىٰ: أن تكون هذه الكُشُوفَات العلميَّة صحيحة:

بالنسبة للصحيح منها، فهذه في حقيقتها بيان لكيفيَّات الخلق، وهي تُقَوِّي الإيمان عند المسلم.

مثالٌ للصحيح منها:

✓ الكُشُوفَات العلميَّة التي يُعرف بها كيفيَّة حدوث الخسوف والكسوف.

✓ الكُشُوفَات العلميَّة التي يُعرف بها كيفيَّة خلق الإنسان؛ فهم عندما يذكرون كيف خلق الإنسان والمراحل التي مر بها خلقه في بطن أمه فهو بيان لكيفية الخلق لا للخالق الذي خلق؛ وهي مذكورة في القرآن، فهذه كيفيات تزيد الإيمان؛ لأنها تبيِّن عظمة الخالق الذي خلق بهذه الكيفية الدقيقة؛ فهي تقوِّي الإيمان بالخالق ولا تدل على إنكار وجوده بل على ضرورة وجوده.

الحالة الثانية: أن تكون الكُشُوفَات العلميَّة غير صحيحة:

فما كان منها غير صحيح= فهو باطل، وهذا ليس مجاله.

فهذه القاعدة في التعامل مع النظريات بشكل عام، والتي يذكرها أصحاب المنهج الحسي التجريبي في العصر الحاضر.

أبرز النظريات التي يزعمون بها إثبات عدم وجود إله:

هناك عدة نظريَّات علمية لا زالت حتى يومنا نفي حيز النظريات العلمية يزعمون أنها تدل على نفي وجود الله تعالى، ومنها:

النَظَرِيَّة الأولىٰ: نَظَرِيَّة التطور لداروين:

هذه من أهم ما يذكرونه -وهي نَظَرِيَّة باطلة، وهم يعرفون أنها باطلة، لكن ليس لديهم بديلٌ يستبدلون به الدين إلا هذه النَظَرِيَّة-.

نَظَرِيَّة التطور لداروين تقوم علىٰ أصلين:

الأمر الأول: أن المخلوقات هذه الموجودة لم توجد دفعة واحدة، وإنما وُجِدت تدريجيًّا.

وهذا الكلام ليس فيه إشكالٌ عند أحد من العلماء؛ أن المخلوقات لم تُوجَدُ دفعةً واحدة، وإنما تُوجَدُ مخلوقاتٌ وتفنى، وتَظهرُ مخلوقاتٌ أخرى وهكذا.

إشكالية (حيوان الأميبيا) وحيد الخليَّة:

لكن الإشكالية التي عندهم: دعواهم أن هذه المخلوقات جميعها ترجع إلى نوع واحد، وجميعها ترجع إلى حيوان واحد وهو: حيوان وحيد الخليَّة **(حيوان الأميبيا)**، فهنا الإشكال عندهم.

لو أنهم قالوا: إن الحيوانات لم توجد دفعةً واحدةً، وإنما يظهر نوعٌ ويختفي نوعٌ ويظهر نوع آخر، وهكذا على حسبِ وجود المعيشة التي تمكنهم من الاستمرار في الحياة؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعطِي عمرًا معينًا لهذا النوع حتى يندثر، ثم يأتي نوع آخر وهكذا، فهذا لا إشكال فيه.

الإشكال في الذي يريدون هم الوصول إليه وهو: أن كل المخلوقات الحية أصلُها نوعٌ واحد، وأصلها شيء واحد وهو: **(حيوان الأميبيا)** حيوان وحيد الخليَّة، وبالتالي كل الكائنات الحية ترجع إلى أصل واحد.

فهذه هي إشكالية نَظَرِيَّة التطور لدارون، وهي التي جعلتها نَظَرِيَّة خيالية مرفوضة.

ويأتونَ فيها بقصةٍ هي أشبه بالأساطير والخرافات: أنه كان يا ما كان، في قديم الزمان كان هناك حيوان وحيد الخليَّة؛ وهو **(حيوان الأميبيا)**، كان موجودًا في المستنقع -ونلاحظ أنهم لا يتحدثون عن: كيف وُجِدَ **(حيوان الأميبيا)**؟-

لكن يقولون: هكذا وُجِدَ **(حيوان الأميبيا)** في داخل المستنقع ومنه انطلقت الكائنات الحية.

وإذا سألنا: كيف صُنِع؟

فهم لا يتكلمون في هذه النقطة.

ولكن يتكلمون عن المراحل التي تليها:

١. أن **وحيد الخليَّة** هذا بسبب البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة انقسمتِ الخليَّة إلى خليَّتَين، ثم بدأت تتكاثر؛ **فبدأ حيوان وحيد الخليَّة (حيوان الأميبيا) يُصبِح حيوانًا آخر**، أي: تطوَّر وصار له شكل آخر، وصارت هناك حيواناتٌ أخرى.

٢. ثم بعضُ هذه الحيوانات ذهبت إلى آخر المستنقع ورجعت، فتدخل وتخرج وترجع وتخرج وترجع= حتى تطوَّرت وصار لها شكل آخر حيث تَكوَّنَت **الحيوانات البرمائية**.

٣. ثم بعضها ذَهَبَ وضلَّ الطريق فلم يستطع الرجوع= فتكوَّنَت **الحيوانات البرية**.

٤. وهكذا يبدأُ الخيال يسرح عن كيف كانت تتطور الحيوانات البرية بسبب الطبيعة، حتى وصلنا إلى **مرحلة الثدييَّات**.

٥. ثم وصلنا إلى **مرحلة القرد**.

٦. ثم القرد كان يحب الموز فكلما رأى موزًا رَفَعَ يده يريد أن يأكل من تلك الموزة، فيرفع يده ويرفع يده= حتى تطوَّر وصار له شكل آخر حيث تَكوَّنَ هذا **القرد الإنسان**.

٧. فالقرد الإنسان ثم بعد ذلك جاء **الإنسان**.

الخلاصة: الإنسان عندهم: حيوانٌ بن حيوان، ونسله يرجع إلى لقبه الأميبي!

والرد علىٰ هذه النَظَرِيَّة:

أولا: أن هذه أساطيرٌ وأشياءُ مضحكة لا يقولها إنسانٌ عاقلٌ يَعرِفُ:

✓ أن الله خَلَقَ الإنسان.

وأن هذه الحيوانات خلقها الله؛ فهذا خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: أن النوع لا يتغير إلى نوع آخر؛ **مثال:** القرد خلقه الله قردًا، وإذا حَصَلَ شيءٌ من التطور فإنما يكونُ في الحجم والقوة والشكل والطول والقصر.

أما أن يكون قردًا فيُصبحَ دجاجًا، فهذا مما لم نَرَه، والآن الدجاج كما نراه هو هو لم يتغير، والحَمَامُ هو هو لم يتغير إلى نوع آخر.

ثالثًا: إذا حدث شيءٌ من التطوُّر أو التغيُّر فيكون لسبب ولكن لا يكون إلى نوع آخر بل يبقى من نفس النوع.

مثلًا: لو حصلَ تزاوجُ ذكرٍ من نوع مع أنثى من نوع آخر، فيحدث حيوان آخر، لكنه هو نفسه من نفسِ الفصيلة.

رابعًا: هذه النَظَرِيَّة ليست علمية، بل هي مبنية على مجرد المشابهة بين الإنسان وبين القرد في عصرٍ معين!

خامسًا: هذه النَظَرِيَّة قاصرة لا تَكشِفُ عن أصل الحشرات وعن أصل الطيور.

سادسًا: اعتمادهم على قاعدة ضمور الأعضاء غير المستعملة، وأن هناك الزائدة الدودية في الإنسان غير مستعملة تتطور= باطل بالمشاهدة.

مثال: عنق الماعز لم يصبح كعنق الزرافة، فمنذ متى وهي كذلك ولم يحدث فيها مثل هذا التغير، وهكذا.

فهم يقولون: الزرافة عنقها طويلٌ بسبب أنها تبحث عن شيء فطالت، وهكذا هذا الغزال.

أثر نَظَرِيَّة داروين علىٰ التيار الإلحادي:

ولكن: ما الذي أراده هؤلاء الملحدون من وراءِ هذه النَظَرِيَّة؟

الجواب: أرادوا استغلال هذا الأمر؛ أن هذا أصل الإنسان لم يخلق من قبضة من الطين ولا ينفخ فيه من روح الله ولا هناك آدم وحواء وقصة الأكل من الشجرة، وقصة الإخراج من الجنة.

فهم يريدون إبطال جميع العقائد الدينية؛ فتسلطوا على الديانة النصرانية في عقائدها.

والمهم في الأخير النتيجة: لا وُجُود للخالق، وأن الإنسان من إبداع الطبيعة.

فمن الذي خلق الإنسان؟

الجواب: الطبيعة.

وماذا يقصد بالطبيعة؟

القوانين: كالبرودة والرطوبة واليبوسة والحرارة ونحوِ ذلك.

وهكذا صار هذا الإنسان؛ فالطبيعة إلهٌ والإنسان بعد ذلك صار إلهًا وهكذا.

والمقصود: أن أصحاب النظريات الإلحَادية استفادوا من نَظَرِيَّة التطور لداروين استفادةً كبرى.

أمثلة على استفادة الملحدين من نَظَرِيَّة التطور:

المثال الأول: ماركِس:

هذا ماركِس أَخَذَ نَظَرِيَّة التطور لداروين وأدخلها في النظام الاقتصادي، فقال:

- **النظام الاقتصادي** هو الذي سيطر على حياة الإنسان وعلى فكره وعلى مشاعره وعلى دينه.
- فالإنسان يكون متَدينًا أو ملحدًا بحسب السُّيولة الاقتصاديَّة أو الماليَّة، وهي التي طوَّرَت فكر الإنسان وطوَّرت مشاعره.

المثال الثاني: نِيتشَه:

وهذا نِيتشَه ذهب إلى أن الكائنات بدأت من هذه الخليَّة الواحدة ثم تطوَّرت، حتى وصلت إلى الإنسان لكنَّ:

- لماذا لم يتطور الإنسان منذ آلاف وملايين السنين؟
- لماذا لم يتطور ووقف كما هو؟

قال نِيتشَه: بسبب:

- هذه الأوهام التي سيطرت عليه عن الدين وعن الأخلاق وعن التقاليد وعن الإبقاء على الضعفاء.
- وأنه لو كان هؤلاء الضعفاء ذهبوا، وأن الإنسان لا يتزوج عن حبه، إنما يتزوج حتى يأتي نسل أقوى من السابق، لوَصَلنَا إلى مرحلة السُّوبرمَان.

فهو ينتظر هذه المرحلة؛ مرحلةَ الرجلَ والإنسان الذي يطير وهكذا.

ولذلك هذه فلسفةُ نِيتشَه، وقد سُمِّيت: فلسفةُ العنف؛ **لأنه كان يدعو إلى القضاء على الناس الفقراء والدول الفقيرة والدول الضعيفة.**

المثال الثالث: فُرُويد:

فقد أَخَذَ فُرُويد هذه النَظَرِيَّة وأدخلها في علم النفس، وزعم أن الطاقة الجنسية هي التي ولَّدتِ المشاعر والأفكار والأديان والقيم، وكان يدعو إلى إطلاق العنان لها لتسير عجلة التطوُّر -كما أن مَاركِس يقول: الطاقة الاقتصادية هي التي ولدت الأديان والمشاعر والأفكار.

المثال الرابع: دُوركَايم:

أتى دُوركَايم بنَظَرِيَّة إِلحَادِيَّة في علم الاجتماع، وقال: إن هناك عقلٌ جمعيٌّ= هو الذي يتحكَّم في تَصرُّفَات الكائِن البشري.

وتوضيح ذلك: أن تَصرُّفَات الكائن البشري من إيحاء العقل الجمعي؛ فالفرد يَتقبَّل ما يُلقِيه عليه العقل الجمعي بلا وعي ولا إرادة، والدِّين والقيم والأخلاق ناشئَةٌ عن العقل الجمعي؛ وهذا العقل الجمعي دائمُ التغيُّر.

وبناء عليه: لا يمكن ثَباتُ الدين ولا الأخلاق ولا القِيَم، بل إنها تتغيَّر تبعًا لتغيُّر العقل الجمعي، وهذا التغيُّر لا يمكن إيقافه.

مثال: تأتي فترة من الفترات يحتاج الإنسان فيها للتعدُّد؛ فصار التعدُّد كما حصل في العهد الزراعي، ثم جاء العهد الصناعي فلا يُحتَاجُ فيه إلى التعدُّد وهكذا.

فأصبح يتحدَّث عن الدين والقِيَم والأخلاق الاجتماعية من منظور أنها مَشَت مع هذا التطوُّر الذي يمرُّ به البشرية.

النَظَريَّة الثانية: نَظَريَّة الانفجَار العَظِيم:

ملخَّص هذه النَظَريَّة: يزعمون أن أصل هذا الخلق كان كُرةً صغيرة بسيطة ذات خليَّة واحدة كرأس الدبوس، ثم حصل لها انفجارٌ؛ **وهذا قبل خمسَ عشرةَ مليارَ سنة.**

ونَتَجَ عن هذا الانفجار لرأس الدبوس: هذا الكون بالتدريج.

إذًا؛ أصل هذا الكون كله عندهم: رأسُ الدبوس هذا!

وإذا سألنا: من أين جاءت نقطة الدبوس هذه؟

هذا لا يعرفونه؛ لأن هذه الكرة كانت ساكنة تلك المدة، ثم قررت أن تنفجر.

وأيضا إذا تساءلنا:

- ما سبب انفجارها في تلك اللحظة؟
- ما هي المميزات لتلك اللحظة؟
- كيف يُنتِجُ انفجارٌ لكُرَيةٍ صغيرةٍ هذا العالَمَ المُتقَنُ بنظامه الدقيق؟
- كيف انتجَتْ هذه المادةُ الجامدةُ التي لا عقل لها ولا مشاعر لها، هذه الحياة وهذه العقول وهذه المشاعر؟

فهذا لا يعرفونه.

بعض الجوانب الوَارِدَة في الوحي مما تقرِّرُه نَظَريَّة الانفجَار العَظِيم:

بالنسبة لنَظَريَّة الانفجَار العَظِيم، فيمكن أن ينظر لها من زاوية أخرى: أنه في هذا العالم المشهود كان بين السماوات والأرض اتصالٌ، فحدث هذا الانفجار؛ بحيثُ انفصلتِ السماء عن الأرض وحَدَث هذا الكون؛ وهذا من ناحية قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فيمكن أن يُنظر إليه من هذه الزاوية، وأن هناك مخلوقات كانت قبل هذا الانفجار؛ لأن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

فعقيدة أهل السنة والجماعة في الخلق: أنه ما من مخلوق من المخلوقين إلا وقبله مخلوقٌ، لأنه هو مخلوقٌ أصلا، فعندما نقول: مخلوقٌ يعني: مسبوقٌ بعدمٍ ويلحقه فناء.

لكن هذا العالم المشهود كيف كانت بدايته؟

كانت هكذا كما ذكرنا، لكن نقول: كانت هُناك مخلوقاتٌ قبله.

وهذه الأمور في فهمِها صعوبةٌ، لكن نقول:

كما أنك تتصَوَّر أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو:

- ✓ الآخر الذي ليس بعده شيء.
- ✓ وأنه ما من مخلوقٍ في المستقبل إلا وبعده مخلوق؛ والله هو الآخر الذي ليس بعده شيء.

فكذلك نحن في الماضي نتصور: أنه ما من مخلوقٍ إلا وقبله مخلوقٌ، والله هو الأول الذي ليس قبله شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ومن النظريات التي يقولون بأنها تُثبِتُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير موجود:

النَظَرِيَّة الثالثة: المَذهبُ الحِسِّي في المَعرِفَة:

ومن رواد هذه النَظَرِيَّة: ديفيد هِيُوم، وشُوبنهَاور.

ملخَّص هذه النَظَرِيَّة: يقولون: لا نؤمن بما وراء الحسّ، ويُنكِرُون عالَمَ الغيب واليوم الآخر، ويعتبرون العقائد الإيمانية كلها من أوهام الإنسان ومن خياله.

النَظَرِيَّة الرَّابِعَة: المَذهبُ العَقلِيِّ في المَعرِفَة:

ملخَّص هذه النَظَرِيَّة: يقولون: كلُّ الأشياء محسوسَة، وكل المحسوسات تُدرَكُ بالعقل، وكلُّ ما لا يُحَسُّ فهو لا يُعقَل، فهو غير موجود.

ومن رواد هذه النَظَرِيَّة: أُوجِست كُونْت.

فهذه المذاهب الفَلسَفيَّة باطلة، ومن أوجه بطلانها ما يأتي:

١. أن الموجودات ليست محصورة في المحسوسات، وهذه يعرفها جميع الناس.

٢. وأن العقل أضعف من أن يُحِيط بجميع الموجودات.

٣. كيف سيعرف العقل كيف خُلِقَ هذا العالم وهو لم يشهد ذلك؟ لا يمكن أن يَصِلَ العقلُ والحس إلى مثلِ هذا.

٤. لا يمكن بالعقل والحس الحكم على كلِّ شيء.

مثلَ: الروح والعقل والرؤى وهكذا.

النَظَرِيَّة الرَّابِعَة: نسبيَّة الحقائق:

ملخَّص دعواهم: يقولون: **هذه القاعدةُ تُثبِتُ بأنه لا تُوجَد حقيقةٌ مُطلَقَة، وبالتالي لا يوجد إلهٌ، ولا يوجد حَقٌّ مطلق.**

فهذه دعوى نسبية الحقائق، **والرد عليهم:**

١. **الواقع أنه لا يقولها إلا من فَقَدَ عقله**؛ لأنه إما يكونَ الشيءُ موجودًا أو معدومًا، فما يصلُح أن تقول: هذا الشيءُ موجودٌ بالنسبة لي، وهو معدوم بالنسبة لك وكلانا على حق. **فيكون الشيء موجودًا معدومًا في الوقتِ ذاته؛ فهذه مخالفةٌ للفطرة.**

٢. **أن هذه إضاعةٌ للعلوم والمعارف**؛ إذ هم يقولون: أنت تقول: الإله موجود؛ فهو حقٌّ بالنسبة لك. وهذا يقول: الإله غيرُ موجودٍ؛ فهو حقٌّ بالنسبة له. وبهذا تضيع الحقائق ولا تبقى حقيقة صحيحة.

٣. **أن هذه فلسفةٌ قديمة تُسمَّى: الفلسفة السوفسطائية**، وهي التي جاء أرسطو بالمنطق القديم محاولًا نقضها.

❖ الموضوع الثاني: آثار الإلحَاد علىٰ الفرد والمجتمع:

ما آثار الإلحَاد على الفرد والمجتمع؟

الأثر الأول: تعذيب النفس وفقدان بشاشة الإيمان:

هذا الإلحَاد إذا سَاكَنَ قلبَ إنسانٍ وبدأَ يُنكِرُ وجود الله، **فمثلُه مثل إنسانٍ يُعذِّبُ بدنه بأن يُفقِدَه الطعام.**

فالله ﷻ خَلَقَ الإنسانَ من قبضَةٍ من الطين، ونفخ فيها هذه الروح الشريفة المخلوقة التي هي من عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وهذا البدن وهذه القبضة من الطين يحتاج إلى غذاءٍ، ولا بد أن يأكل وأن يتغذَّى الإنسان، ولو أهملَ الإنسانُ غذاءَ البدنِ= يتعذَّبُ ويُعذِّبُ نفسَه ويُعذِّبُ بدنَه.

فهكذا الروح لها غذاءٌ هو: التعلق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والصلاة بالله ودعاء الله والتوحيد.

فإذا أهمل الإنسان ذلك فهو يُعذِّب نفسَه ويعذِّبُ روحَه.

فلذلك انظروا لـ(برتراند رسْل) حيث يتحسر على ذلك:

- يقول في كتابه (الفوز بالسعادة): أتمنى لو أستطيع أن أعيش مع الحيوانات.
- ويفتتح كتابه يقول: تكون الحيواناتُ سعيدة ما دامت تتمتع بالصحة، وتجد ما تكفيها لتأكل، وشعورُ البشرِ ينبغي أن يكون هكذا أيضا، **أي: مثل الحياة البهيمية.**
- بل إنه يحسد الكلاب في حياتها مع بعضها البعض، فهي تبقى تلعبُ ولا تبكي في الليل على ذنب فعلته!

الأثر الثاني: القضاء على الأخلاق والقِيَم:

ففيه القضاء على الفرد نفسِه: فيصبح هذا الإنسان مشقَّقًا، يعيشُ النكد والضيق والكرب.

وأيضا القضاء على الأخلاق والقيم مع الآخرين؛ فهو لا يؤمن باليوم الآخر؛ ولذلك:

- **لماذا يساعد الأيتام؟**
- **لماذا يساعد المساكين؟**
- **لماذا يساعد الضعفاء؟**

فلا فائدة منهم عنده في الدنيا؛ فهو يبحث عن فائدة في الدنيا، وإذا لم يجد فائدةً في الدنيا فلا يريدهم.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون:١]، أي: في يوم الحساب والجزاء، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣].

لذلك هؤلاء لا يؤمنون بقِيَمٍ ثابتةٍ تُوجِّهُ سلوكَ الإنسان وتضبطه، وإنما لكلِّ إنسان أن يفعل ما يريد، وليس لأحدٍ أن يفرض قِيَمًا وأخلاقًا معينة على الآخرين.

مثال: يقول سارتر: إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثَمَّة من له الحقُّ في توجيه النُّصح إليك، وليس في نظرك شرٌّ وخيرٌ إلا إذا خلقتهما.

فهو يدعو للفردية والأنانية المردودة وهكذا.

الأثر الثالث: الدعوة إلى الإباحية:

ذلك أنهم يقولون بحرِّيةِ الإنسان المطلقة، فإذا تحرَّكت فيكَ شهوةُ الجنس ففرِّقها في أي شيء تريد، **أهم شيءٍ ألا يكون هناك اغتصاب:**

☒ فذكرًا مع ذكر.

☒ أو ذكرًا مع أنثى.

☒ أو أنثى مع أنثى.

☒ أو الإنسان مع الحيوان ومع البهائم -عياذًا بالله مما أصبحت حياتهم عليه-.

فمن الذي يحدِّد لك الخير والشر والنافع والضار والصحيح والخطأ والأدب وغير الأدب؟

الجواب: التَّجربة العمليَّة؛ فأنت تجرِّب فما وجدتَ فيه لذة= فهو طيب.

وهكذا أصبحت هذه حياتهم، وحدَثَ التفكُّك الأُسَرِي، وحدَثَ القضاء على الروابط الاجتماعية؛ لأن الملحد لا يعطي أي اهتمام ولا قيمة:

- لِبرِّ الوالدين.
- ولا لحقوق الزوجية.
- ولا لصلة الأرحام.
- ولا لحقوق الجيران.

بل لا يرون في نكاح المحارم حَرَجًا في حال الرضا؛ كما ذكر ذلك سام هارس ووافقه عليه دوكنز.

الأثر الرابع: الإجرام السياسي:

وهو واضح في المبادئ الإلحادية مثل: البقاء الأقوى وقانون الغاب.

ولذلك هذه الفكرة الإلحَادية لا ترى للشعوب الضعيفة الحق في العيش، فتمارسُ معها أعظمَ أنواعِ البطشِ والإهانة.

❖ ضوابط الاستفادة من العلم الحديث في الرد علىٰ الملاحدة:

دورُ العلم في محاربة الإلحَاد والرد على الملاحدة مهمٌّ استثماره، لكن استثماره يكون بالضوابط.

مثال: دعوى أزلية المادة:

فالملاحدة يزعمون أن علوم الفيزياء تساعدهم فيما ذهبوا إليه من الإلحَاد؛ فيقولون بأزلية المادة.

ويقولون: المادة الأزلية عبارة عن ذرات، هذه الذرات وُجِدَ الوقت الكافي لتتجمع صدفةً وتأخذ الأشكال المعروفة في عالمنا.

نقضُ الفيزياءِ الحديثَة دعوى أزليَّة المادة:

أولا: علوم الفيزياء الحديثة تردُّ عليهم وتُبطِلُ أزليَّة المادة، حيث أثبتت:

- **أن هذه المادة تنقسم وتتحوَّل**، وطالما هي قابلة للانقسام والتحوُّل فتتحوَّل من شيءٍ لشيءٍ آخر= فهي حادثة.
- **فقد عُرِفَ أن الذَرَّة مركَّبة من أجزاء**؛ من الإلكترون والنيوترون والبروتون، وهذه المكونات هي نفسها مركبة من أجزاءٍ أُخَر **عُرِفَت** منها: الكُوَارْكْ، وليس هناك مانعٌ من تكوُّنها من أجزاءَ أصغر منها، وهكذا يقولون هذه الأجزاء قابلةٌ لِأَن تتحول إلى طاقة، والطاقة نفسها تتحول إلى مادة.
- **إذًا؛ أثبت العلم الحديث: أن المادة تفنى وأنها تُستَحدث فهي مخلوقة لا أزلية.**

ثانيًا: العلم الحديث أثبَتَ مظاهر الإتقان والدقة والإحكام والإبداع في خلق هذا الكون، وهذا كله يُبطِل موضوع الصدفة.

المقصود أنه لا مانع من الاستفادة من العلم الحديث في الرَّد على الملاحدة مع ملاحظة ما يأتي:

أولًا: التأكد من ثبوت المعلومة استخدامها في مكانها المناسب.

مثال: الدقة والإتقان في مخلوقات الله؛ ليقرِّر من خلالها نَفيِ الصدفة، والقول بأن وراءها حكيمٌ عليمٌ مستحِقٌّ للعبادة وحده ولا شريك له.

ثانيًا: التزام منهج أهل السنة والجماعة لا المتكلمين ولا الفلاسفة في الاستدلال وفي إثبات خلق الكون وتناول صفات الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❖ ما موقف المسلم من قضية الإلحَاد؟

قضية الإلحَاد عند المسلم قضيةٌ مرفوضة لما يأتي:

أولًا: كتابنا محفوظٌ لم يحصل فيه تحريف.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فليس فيه تحريف ولا تبديل.

ثانيًا: عقيدتنا الإسلامية ليس فيها ما يُخالِف العقل السليم.

ثالثًا: شريعتنا الإسلامية جاءت:

- لتحقيق المصالح وإصلاح الدنيا قبل الآخرة.
- وإسعاد الروح والبدن.
- وإصلاح الفرد والمجتمع.

فقضيةُ الإلحَاد مرفوضة، ولا حاجة للعالم الإسلامي بها.

رابعًا: الشرك الذي في مسألة الإلحَاد وتأليهُ الإنسان نقيضُ الإسلام، وليس في الإسلام تحريمٌ للطيبات ولا رَهبانيَّة، وإنما ضَبطٌ للغرائز؛ فلا حاجة لقضية الإلحَاد في العالم الإسلامي.

❖ ما الواجب علينا تجاه قضية الإلحَاد؟

لا بد من استشعار الجميع للمسؤولية التربوية والتعليمية والدعوية تجاه فئة الشباب من خلال:

- ربط الشباب بالوحي الإلهي حفظًا وتدبرًا.
- التربية على الأصول الثلاثة:
  ١. الإيمان بالله.
  ٢. والرسول ﷺ.
  ٣. والدين الإسلامي.
- والتربية على منهج أهل السنة الجماعة في التلقي والاستدلال.
- الترشيد الثقافي وضبط الانفتاح الفكري.
- تأصيلُ المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات.
- رعاية المبتعثين إلى بلاد الغرب.
- تجفيف منابع الإلحَاد واجتثاث أسبابه.
- إقامة حكم الله في المرتد.

❖ كيف نتعامل مع من فُتِنَ بالإلحَاد؟

من فُتن بالإلحاد من المسلمين ليسوا على حالة واحدة، بل هم على أحوال:

الحالة الأولى:

المسلم الذي عَرَضَت له شبهةٌ إلحَادية= فهذا يجبُ أن يُساعَد في كشفها، ويُعَلَّم.

الحالة الثانية:

المتمرِّد الذي يدعو إلى الإلحَاد، ويزعم أن لديه أدلة على ذلك، ويسخر من الشريعة فهذا= يجب أن يُرَدَّ عليه، ولا يجوز السكوت على باطله.

لكن يكون الرَّد بضوابطَ تحكُمه، ومنها:

- الحكمة.
- ومراعاة المصلحة.
- ويجب أن يكون الرد إن تحتَّم مُحكَمًا قويًّا، وإلا فإن الرد الضعيف في مادته أو الضعيف في أسلوبه يَضُرُّ أكثر مما ينفع.
- يجب أن تُبنَى الردود على الملاحدة على قواعد أهل السنة والجماعة.
- وإذا حدثت المناظرات تكون مناظرة فردية لا عامة عالية؛ لأنها قد تضر وهكذا.
- ومن المهم في مناظرة الملحد أن يُمسِك المسلم بزمام هذه المناظرة، ويكون هو السائل لا المسؤول.
- وينبغي ألا يَتصدَّى لمناظرة الملاحدة إلا من أعدَّ العدَّة وعنده القدرة على هذا الحوار.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يقي أهل الإسلام مثل هذه الشبهات وأن يُرسِّخ التوحيد في نفوسهم.

الدَّرسُ الرَّابِع عَشَر (مُحَاضَرَةٌ إِثرَائِيَّة)
الإِلحَاد الرُّوحيّ

موضوعات المحاضرة السابقة:

ونحن تحدثنا سابقًا عن الإِلحَاد المادي؛ **والإِلحَاد المادي: إِلحَادٌ صريحٌ واضحٌ يزعمُ صاحبه أنه لا يوجد في هذا الكون إلا ما هو محسوس، ولا يؤمن أصحابها:**

- إلا بالمحسوسات.
- وأن أصل هذا العالم هو المادة.
- وأن الذي أوجد هذا العالم عندهم هو الطبيعة؛ سواءٌ قيل: أصل هذا العالم هو الماء أو الهواء أو النار أو التراب؛ فسواء قالوا بأصل واحد أو قالوا بأصولٍ متعددة.

وقالوا: إنه حدث بينهم شيء من الاصطدام والتفاعلات فحدث منها هذا الكون المنظم.

وهذا الكلام غير مقبول، ولا يقبلونه هم في قرارة أنفسهم.

الدليل: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، فحتى هم في قرارة أنفسهم يعرفون أن هذا كلامٌ باطلٌ لا يقول به عاقل.

موضوع هذه المحاضرة:

❖ الإلحَاد الرُّوحيّ:

فأصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ أرادوا معالجة هذا الأمر الذي حصل في الإلحَاد المادي، وقالوا: هذا صحيح فكيف لمادةٍ ميتةٍ غيرِ عاقلةٍ غيرِ حيَّةٍ أن تُوجِدَ هذا الكون بهذه الدقة والنظام؟!

فلجؤوا إلى القول: بأن هناك قوة غيبية؛ وهذه القوة الغيبية:

- مُنبَثَّةٌ في كل ذرةٍ من ذراتِ هذا الكون.
- وهي المتحكمة في هذا الكون.
- وهي المتصرفة فيه.
- وهي المدبرة له.
- وهي التي أوجدت هذا العالم.
- وهي التي إذا استطاع الإنسان أن يتعامل معها التعامل الصحيح جعلتهُ خالدًا مثلها، ويعيش في حياة سعيدةٍ خالدةٍ لا موت فيها ولا ألم ولا شقاء.

وهكذا هؤلاءِ أصحابُ فلسفةِ وحدة الوجود.

الفرق بين الإلحَاد الرُّوحيّ والإلحَاد المادي:

الإلحَاد الرُّوحيّ باختصار مُضادٌّ للإلحَاد المادي:

- فالإلحَاد المادي إلحَاد صريحٌ واضح.
- أما الإلحَاد الرُّوحيّ فسُمِّيَ روحيًّا؛ **لأنه يؤمن بما وراء هذه المحسوسات**، فهذا الإلحَاد يتحدث دائمًا عمَّا وراء هذه المحسوسات؛ سواء: **فيما يتعلق بجسم الإنسان**، وأن هناك شيء مُبطَّن في داخل هذا الإنسان، وهم يتحدثون عما هو في باطنه.

مثال: من المصطلحات المُعَاصِرة ما يسمونها: **شرارةٌ إلهية**؛ أن هناك إلهٌ مُبطَّن في داخل الإنسان.

فهم يؤمنون بهذه الأشياء؛ ويؤمنون بالقدراتِ الماورائيَّة، وتوضيح ذلك أن:

- قدرات الإنسان هي: **القدرات المعروفة** في حدود البشرية.
- وهم يؤمنون بأن هناك قدراتٌ يمكن للإنسان أن يصل إليها؛ وتسمى: **قدراتٌ خارقة**.

فيؤمنون بأن هناك وراءَ هذه المحسوسات أشياءٌ غيبية، **ويرون أن هذا الكون له ظاهر وباطن؛** فهم يؤمنون بهذا الباطن ويرون أن الباطن هو الحكمة الخفية.

لماذا سمِّي الإِلحَاد الرُّوحيّ بهذا الاسم:

هؤلاء سمي إِلحَادهم روحيًّا؛ لأنهم يقولون بالظاهر والباطن، وأن الباطن هو الحكمة الخفية، وهذه من ناحية أنهم يقصدوا بالرُّوحيّ: الأشياء الغيبية.

ومن الأشياء الرُّوحيّة التي يؤمنون بها: مسألة الجن والتواصل مع عالم الأرواح؛ أرواحُ الموتى والجن وأرواحٌ غيبية.

أسماء الإِلحَاد الرُّوحيّ:

هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ المُعَاصِر له أسماء أخرى؛ وسترى الناس يتحدثون عن الإِلحَاد الرُّوحيّ لكن تحت مسميات أخرى، ومن أسمائه:

- **فلسفة الطاقة الكونية** أو **علم الطاقة الكونية الزائف**، فيتحدثون تحت هذا المسمى.
- أو يتحدثون عن هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ أو الروحاني تحت **الفكر الباطني الحديث**.
- أو تحت مسمى: **البَاطنيَّة الحديثة**.

- أو تحت مسمى: **الصوفية المُعَاصِرة** -وقد يكون هذا صادمًا لكنه حقيقة-، فهذا الإلحَاد الرُّوحيّ هو تصوفٌ معاصر، وهو نفس التصوُّف القديم، لكنه جُدِّدَ وأُتِيَ له بأسلوبٍ حديثٍ وتطبيقات مناسبة لهذا العصر؛ **فهذا هو الإلحَاد الرُّوحيّ.**

إذًا؛ من أهم الفروقات: أن الإلحَاد المادي مباشرٌ، وينتقل التأليه للإنسان وأنه هو الإله.

ويتفق الإلحَاد المادي مع الرُّوحيّ يأتي بأشياء تُصلح المجتمع والفرد؛ ولذلك:

- يقول بالعلمانية.
- ويقول بالديمقراطية.
- ويقول بالليبرالية.
- ويقول بالبراغماتية.

فهذا الإلحَاد الصريح المادي.

والإلحَاد الرُّوحيّ يلتقي مع الإلحَاد المادي في هذه القضية، أي: مسألة الانتساب إلى المجتمع العلماني، أو الديمقراطي أو الفرد الليبرالي البراغماتي؛ فهذه لا إشكال عندهم فيها، وهنا مكان الالتقاء.

وهنا سؤال مهم:

لماذا سُمِّي أصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ ملاحدة وهم يؤمنون بما وراء الطبيعة؟

لأنهم ينكرون وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كوجودٍ مفارقٍ لهذا الكون؛ فطالما أنت لا تؤمن بإلهٍ مفارقٍ لهذا الكون= فلا تؤمن بثنائية بمعنى:

- ✓ أن هناك خالقٌ ومخلوق.
- ✓ وأن الخالق خَلَقَ هذا الكون.
- ✓ ولم يدخل فيه، وإنما خارجٌ عنه بائنٌ عن مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا هو الإله.

أما هؤلاء فيقولونَ بإلهٍ لكنَّ هذا الإله داخلَ هذا الكونِ وهو هذا الكون، فما تَرَاهُ أنت هو الإله.

فإذا قلنا: هذا الكون من المخلوقات! قالوا: هذا ظاهره مخلوقٌ وباطنه الحق.

فلذلك يسمونَ ملاحدة؛ لأنهم لا يؤمنون بإلهٍ حقيقي ولا يؤمنون بالنبوات.

ويقولون:

☒ أنكَ يمكن أن تتواصل مع هذا الإله مباشرة؛ لأنك في الأصل جزء منه، ففيكَ هذه الطبيعة الإلهية.

☒ ومتى تدربت وخلصت هذه الروح من هذا البدن ستتَّصِل به وتتَّحد به.

☒ وما زال فيكَ هذا البدن فستصل للاستنارة.

☒ وتتدرب وتواصل حتى تتحد فيه بالكلية.

☒ وتفنى ذاتك البشرية وتصبح أنت إله كامل.

☒ وقد تصلُ -وأنت ما زلت في بدنك- إلى مرحلة هذا الإله الكامل.

☒ وترى نفسك أنك إله تماما.

☒ وترى الأشياء بغير ما يراها الناس.

فالإِلحَاد الرُّوحيّ هو: فلسفة شاملة.

لماذا استطاع أن يَصِلَ سريعًا أسرع من الإِلحَاد المادي؟

الذي حصل أن العالم الغربي كان يهتم بقضية التنصير لغير النصارى، ويهتم بالدعوة إلى النصرانية.

فلما ملوا من التنصير وتعِبُوا منه= أتوا بموضوع الإِلحَاد المادي، ثم لم ينفع معهم هذا الإِلحَاد المادي= فجاءوا بالإِلحَاد الرُّوحيّ.

فيم يختلف الإِلحَاد الرُّوحيّ عن الإِلحَاد المادي:

وميزةُ الإِلحَاد الرُّوحيّ عن الإِلحَاد المادي؛ أنه:

- يتحدث عن الله.
- وعن الكون.
- وعن الإنسان.
- وعن العلاقة بين الله وبين الكون.
- وعن العلاقة بين الإنسان وبين الكون وبين الله.
- وعن العلاقات الإِنسَانيَّة.
- ويتحدث عن مسألة علم الاجتماع والعلاقات الاجتماعية.
- وحتى عن العلاقات الاقتصادية وكيف تكتسب المال.
- يتحدث عن إصلاحٍ لهذه الدنيا بطريقتهم.

فالمقصود: أنه فلسفةٌ بمعنى: أنه يريد أن يقدِّم مع هذا الإِلحَاد:

- منهجًا وتفسيرًا للحياة كاملةً.
- ولطبيعةِ البشرية.
- وطبيعةِ الكون والعلاقات.

فكيف مشى وكيف ظهر في الساحة وما علاقته مع الأديان؟

ظهر على أنه يزاحمُ ولا يُضادّ، وأنه يأتي بهذه المعلومات ويقول: الدين كذلك موجود، لكنه يريد أن يَحِلَّ -هذا الإلحَاد الرُّوحيّ- محلَّ جميعِ الأديان، ويجعل كل الأديان تتجه إلى هذا الإلحَاد الرُّوحيّ= حتى يكونَ هذا دينًا عالميًّا إلحَاديًّا.

حقيقة الإلحَاد الرُّوحيّ:

إذًا؛ **من كل ما سبق نصل إلى أن الإلحَاد الرُّوحيّ فلسفةٌ شاملةٌ:**

☒ **إلحَادية**؛ لا تؤمن بإلهٍ مفارق لهذا الكون، وإنما تؤمن بوحدة الوجود.

☒ **بَاطنيَّة**؛ فهي تنظر إلى أن الحقائق الكونية والحقائق التي هي في الكتب المقدسة لها ظاهرٌ وباطن، **والمطلوب هو بواطن هذه الحقائق الكونية**، وأكثر كلامهم عن الحقائق الكونية.

لكن هؤلاء أصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ- أكثر من تبناه من العالم العربي والعالم الإسلامي **أصحاب الفِرَق البَاطنيَّة.**

مثل:

- **الإسماعيلية.**
- **النُّصَيريَّة.**
- **الدُّرُوز.**
- **الشيعة الاثني عشرية** الذين عندهم مسألة الباطن والظاهر؛ فهناك فئة من الشيعة الاثني عشرية تؤمن بالظاهر والباطن.

فهؤلاء أعجبهم هذا الأمر وانطلقوا فيه، ولكونه يخدمهم في مسألة النصوص الشرعية أن لها ظاهرًا وباطنًا.

فالفِرَقُ البَاطنيَّة أعجبهم هذا الإلحَاد الرُّوحيّ؛ لأنه يشبع ما عندهم.

- وكذلك **الصوفية الفلاسفة**؛ لأن عندهم الظاهر والباطن، وعندهم وحدة الوجود.

فهؤلاء أقبلوا على هذا الإلحَاد الرُّوحيّ، وتقبَّلوه تمامًا واندفعوا له؛ لكونه يحملُ هذا الفكر الباطني، وأن لحقائق الكون ظاهرًا وباطنًا:

- **فظاهره مخلوقاتٌ ونرى فيه تنوعًا:** فجبال وأشجار وسماء وأرض ونجوم وأفلاك.
- **وباطنه شيء واحد:** وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الحق.

الباطنُ في الإلحَاد الرُّوحيّ (الطاقة):

هؤلاء في الإلحَاد الرُّوحيّ سَمَّو بَاطِنَهُ: طاقة، وهذه الطَّاقة تشعُّ داخلَ هذا الكون وتمدُّه بالحياة، ولو أُزِيلَت هذه الطَّاقة الموجودة في هذا الكون وفي جميع المخلوقات الموجودة في هذا الكون= لانتهى الكون بأكمله.

فمن الذي يُمِدُّ هذا الكون بالحياة ويجعله مستمرًّا وفيه هذا التنوع وهذه الروح؟

هي هذه الطَّاقة؛ فينسبونها للطاقة الكونية.

الطَّاقة الكونية في الإلحَاد الرُّوحيّ:

الطَّاقة الكونية هي: تعبيرٌ يدلُّ على نفس ما يُعبَّر عنه في الإسلام بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإسلام يقول: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

- هو الذي يحفظ هذا الكون.
- وهو خالقه.
- وهو مالكه.
- وهو مدبره.

وأصحاب الإِلحَاد الرُّوحيّ ينسبون ما ننسبه نحن إلى الله في علاقته بهذا الكون لهذه الطَّاقة،

لكن يقولون: هذه الطَّاقة موجودة في كل ذرة من ذرات هذا الكون فهي:

- **بَاطنيَّة**.
- **وهي مُؤَلِّهَة**؛ فهي تقول بإلهٍ، لكن هذا الإله هو الإنسان وهو هذا الكون= فتؤلِّه الإنسان، وتؤلِّه الكون.

وهذا من نقاط التشابه والالتقاء بينهم وبين الإِلحَاد المادي.

درجات الإِلحَاد الرُّوحيّ:

لا بد أن نؤكد أن هذه الفلسفة متدرجة؛ لأنه قد يسمع هذه المحاضرة أحدٌ ممن هو منشغلٌ بفلسفة الطَّاقة الكونية فيغضب، ويقول: أنتَ تقول إننا نعتقد بوحدة الوجود، نحن لا نعتقدها!

فأنا أقول: أنت صادقٌ في كلامك، فأنت لا تعتقد بوحدة الوجود؛ **لأن هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ متدرجٌ يظهر بدرجات.**

فمن وصل إلى درجة من هذه الدرجات الثلاث ليس بشرط أنه يؤمن بما في الدرجة الثانية، والذي في الدرجة الثانية ليس بشرط أن يؤمن بما في الدرجة الثالثة.

وهذا صحيح لأنه متدرج؛ حتى إذا وصل الإنسان للدرجة الثالثة= آمن بالدرجتين السابقتين.

ففلسفة هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ له ثلاث درجات يظهر فيها:

الدرجة الأولىٰ: درجة الظواهر والتدريبات:

وهي درجةٌ تتعلق بالإنسان من ناحية الإرادة البشرية.

مثال: يأتي فيقدم لك:

- مسألة الصحة.
- ومسألة التدريبات الرياضية.
- والعلاج البديل.
- الاستشفاء.
- السعادة.
- الراحة النفسية.
- الطُّمأنينة الداخليَّة.
- وكيف تصبح لا تريد إلا الخير؟
- وكيف تتخلص من إرادة الشر؟

فهذه الدرجة تتعلق بقضية الإرادة البشرية، وتحاول في هذه المرحلة أن يُوصِلوا لك:

كيف تستطيع أن تتخلص من الإرادة البشرية التي يكون فيها شرٌّ وحقدٌ وغضبٌ؛ وأشياء ونوازع فطرية سيئة؟

فيريدون أن تفنى هذه الإرادة البشرية لتحلَّ محلها إرادة إلهية.

وهذا الكلام مشتركٌ عند جميع أصحاب الإِلحَاد الرُّوحيّ، فكلهم يبدؤون بهذه الدرجة.

مثال على ذلك: اليوغا؛ فعندما نذكرُ بعضَ التطبيقاتِ سيظهرُ هذا التدرج:

أولًا: اليوغا أول ما تبدأُ تبدأُ في درجةٍ تتعلقُ برياضةٍ بدنيةٍ روحيةٍ، فهي رياضةٌ بدنيةٌ فيها:

مثلا:

- تمدّد.
- استطالة.
- تنفس عميق.
- استرخاء.

فهذه بدايتها.

ثانيًا: ثم بعد ذلك: تكونُ هذه الأوضاعُ أوضاعًا رمزية؛ بحيث تجلس فيها جلسات معينة ترمزُ عندهم إلى شيء معين.

مثلا: **جلسة اللوتس:**

- ترمز إلى تحية الشمس.
- ترمز إلى جلسة بوذا.

وهكذا.

ثالثًا: ثم المرحلة التي بعدها فيها:

- **ترانيم مقدَّسة تقولها.**

مثل: اوم اوم اوم.

- **ولا بد أن يكون هناك معتقدات روحية؛** فعندما:
  - تمارس التمدُّد والاستطالة.
  - وتمارس التنفُّس العميق.
  - وتمارس الاسترخاء.

- وتجلس هذه الجلسات الرمزية.

عليك أن تقول وتتحدَّث عن الأصوات.

ثم هذه الأصوات والجلسات الرمزية مع هذا التنفس العميق وهذا التمدد والاستطالة= **من شأنه أن تفتح الشاكرات.**

الآن هذه المعتقدات بدأت تظهر؛ فهذه معتقداتٌ وقِيَمٌ روحية:

- **أن هناك شاكرات ستُفتَح.**
- **وأنها ستبدأ ويحدث لها عملية التنظيف.**
- **وتدخل فيها هذه الطَّاقة.**

فتصبح متحلِّيًا بجسمٍ سليمٍ شافٍ قويٍّ، ثم تبدأ أخلاقك تتحسن وهكذا.

فهذه الدرجة الأولى.

سبب إقبال الناس علىٰ الإلحَاد الرُّوحيّ:

أنه يظهر في مثل هذه الدرجة بالمظاهر فيَخدعُ الناسَ= فيقبلُ الناس عليه؛ فهذه الدرجة الأولى يهتمون بها ويظهرونها بمظهر: أننا نُنَمِّي البشر بهذه التدريبات.

مثال ثانٍ: الماكرو بيوتيك.

مثال ثالث: الأيروفيدا.

مثال رابع: الريكي.

فكل هذه الممارسات تبدأ بهذه الدرجة؛ ولذلك قد يأتي شخص ممن يمارسون:

- الريكي.
- أو الماكرو بيوتيك.
- أو الفونج شوي.

- أو ممن يمارسون بعض الرياضات البدنية القتالية وهذه الأشياء.

فكلهم يعني يقول: نحن ليس لدينا إلا هذا الأمر.

فنقول: نعم هذا صحيح؛ فهذه الدرجة الأولى، **ولا بد فيها من هذه المعتقدات الرُّوحيّة، وهي مسألةُ: أنَّ هناك جسمٌ أثيريٌّ، وأن هناك شاكرات.**

فهذه مشكلة الإلحَاد الرُّوحيّ، وهي مشكلة التصوف من القديم، فهو يظهر في مثل هذه الدرجة فيَخدعُ الناسَ= فيقبلُ الناس عليه؛ لكونه يقوِّي إرادة الإنسان، وتصبح إرادته إرادةً إلهية؛ فهو يريد السلام ويريد الخير ويريد هذه الأشياء.

فهذه الدرجة الأولى يهتمون بها ويظهرونها ويدربون عليها، ويظهرون بمظهر: أننا نُنَمِّي البشر من هذه الناحية، فيأتون بهذه التدريبات.

الدرجة الثانية: درجةُ الخوارق والقدرات:

وهذه مرحلةٌ تصل إليها بعد أن تمارس هذه التدريبات، فهي مرحلة أخرى تنتقل إليها، وليس بشرطٍ أن يصرَّح لك في الدرجة الأولى أنك لا بد أن تنتقل للدرجة الثانية، لكن من كان مهيأً ومن كان راغبًا فبعد ذلك ينتقل للدرجة الثانية.

فالدرجة الثانية هي: درجةُ الخوارق والقدرات، فالآن أنت تنتقل إلى مرحلةٍ وتتخلص من المرحلة الأولى، **وتتخلص من الإرادة البشرية لتحلَّ محلها الإرادة الإلهية.**

فتتخلص من الصفات البشرية المحدودة لتحل محلها صفات إلهية؛ فتخرج من حدود صفات البشر.

أمثلة على الصفات البشر المحدودة:

- محدود السمع.
- محدود البصر.

- محدود الحركة.
- محدود القدرات.

فأنت بعد أن مارست تلك التدريبات= تنتقل لممارسات ورياضات روحية أخرى، وخلوات وأشياء؛ لتنتقل إلى مرحلة القدرات.

فيُصبحُ عندك:

- قدرات معرفية.
- وقدرات بدنية خارقة.

فيحدث لك في هذه المرحلة شيءٌ من الاتحاد بالإله، وتصبح عندك صفات إلهية.

وهذه المرحلة يتحدثون فيها عن:

- **البراسيكولوجي.**
- ويتحدثون فيها عن **الإسقاط النجمي.**
- ويتحدثون فيها **عما في خواطر الناس.**

التشابه بين درجات التصوف الباطني والإلحاد الروحي:

وهذه هي نفس درجة الكشف عند الصوفية؛ فالصوفية عندهم نفسُ هذه القضية:

١. **يبدؤون بالدرجة الأولى** ويتحدثون فيها ويقولون: نحن نتمسك بالكتاب والسنة وغيرها.

٢. **ثم ينقلون المُرِيد إلى الدرجة الثانية**؛ وهي التي يذهبون بها للخلوات.

الإلحاد الروحي والتعامل مع الجن:

وهنا أيضًا في الإلحَاد المُعَاصِر عندهم مثلُ هذه الخلوات، **فهناكَ جامعةٌ اسمها: جامعة السيدونة فيها خلواتٌ**، وفيها أماكنٌ يسكنها الجن؛ فيذهبون إلى تلك الخلوات ويمارسون تلك

الرياضات وتلك التعبُّدات التي تمكِّنُ الجن من الدخول فيهم مدةَ ستة أشهر أو مدةَ سنة على حسب همتهم في استجلاب هؤلاء الجن إلى جسدهم.

فيصاب هؤلاء الناس بالمس وتبدأ الجن تساعدهم فتُهيِّئ لهم:

- الخروج من الجسد.
- قراءة خواطر الناس.
- التأثير في الأشياء عن بعد.

وهؤلاء جنٌّ أصبحوا متمكنين منهم، وهذا أمر لا شكَّ فيه.

وبعضهم يزعمُ أن عنده جنٌّ وهو يتحدث بالحدس، فهو لم يُصَب لكن عنده حدسٌ قويٌّ؛ فقد يخبر بأشياء ويقول: قد يحدث كذا وقد يحدث كذا؛ فهذا نوعٌ من الكهانة.

الخلاصة: **هذه المرحلة الثانية مرحلةٌ خطيرةٌ جدًّا في الإِلحَاد الرُّوحيّ، والإِلحَاد الرُّوحيّ يهتم بهذا وأنه:**

- يستطيع التخاطب مع أرواح الموتى.
- وأنه يستطيع استجلاب الجن.

والآن يقولون: إن هذا التعامل مع الجن لا شيءَ فيه؛ فهؤلاء كفرة وملاحدة فيقولون:

- لماذا لا نتعامل مع الجن؟!
- وهذا التعامل مع الجن علمٌ شريف وتعاملٌ طيب وهكذا.

وابتلي بعضُ المسلمين الآن في التعامل مع الجن، ويعتقدون أن هذا أمر جيد، ويقولون: وأنا لا أقدم لهم شيئا، وإنما أطلب منهم خدمات، وهم لا يأخذون مني مقابلًا أبدا.

فهذه هي المرحلة الثانية؛ ولذلك نقول: **هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ متدرجٌ ليس بصريح.**

المرحلة الثالثة: الفناء والنرفانا:

هذه المرحلة عند أصحاب الديانات الشرقية مرحلة صريحة، ففي هذه المرحلة يقولون: إنهم يرون أن الإنسان مشكلته في **مشكلة التناسخ**.

وعقيدة التناسخ تعني: أنه كلما خرج من جسدٍ عادَ إلى جسدٍ آخر بحسب قانون الكارما وبحسب أعماله السابقة.

فينتقل من جسدٍ إلى جسدٍ ويبقى في عذاب.

وفي النهاية لا بدَّ أن يذهب إلى مرحلة نهائية (إلهية فردوسية):

- النشوة.
- ومرحلة النرفانا.
- مرحلة الاتحاد مع البراهمة.
- وعند فلاسفة الصوفية مرحلة الاتحاد مع الإله.
- مرحلة الفناء الكلي.

فالآن بعد أن أصبحت نصفَ إلهٍ، وقد كنتَ إنسانًا ثم أصبحت نصف إله.

وفي المرحلة الثالثة مع التدريبات= تُفنِي ذاتك البشرية لتحلَّ محلها الذات الإلهية، وهي مرحلة وحدة الوجود.

وهذه المرحلة لا يصرّحون بها لكل أحد، إلا الكفرة من أصحاب الإِلحَاد الرُّوحيّ يصرِّحُ ويقول: إنه صار إلهًا وهكذا.

من يمارس اليوغا والفونج شوي ونحوها ويقول: لا علاقة لها بالعقيدة:

قد يقول هذا الذي يمارس اليوغا: أنا لا أصير إلهًا.

فنقول له: صحيح، لكن اليوغا في الأصل معناها:

- التوحُّد.
- الاجتماع.
- الاندماج.
- الوحدة.

فهذه معاني اليوغا في الأصل؛ **فاليوغا: وسيلةٌ تنتقل بك من درجة إلى درجة حتى تصل بك إلى الدرجة الثالثة.**

- وهكذا الماكرو بيوتيك.
- وهكذا الفونج شوي.

فكلها درجاتٌ؛ لكنها تظهرُ في العالم العربي والعالم الإسلامي في الدرجة الأولى وتتمكن من هذا الأمر، وقد تنتقل للدرجة الثانية والثالثة.

قد يأتي شخصٌ ويقول: **الفونج شوي هذا علمُ طاقة المكان فما علاقته بالعقيدة؟**

فالجواب: لا، فأنت:

١. تبدأ بعلم **طاقة المكان**.

٢. ثم ينتقل بك بسبب هذه الطَّاقة التي دخلَتْ في هذا المنزل= فتصبح عندك **قدرات خارقة**.

٣. ثم بسبب هذه الطَّاقة وهذه القدرات الخارقة عندك= **تتحول إلى إفناء الذات البشري وتحول مثل الذات الإلهية فتصبح إله.**

الخلاصة: كل تطبيقٍ من هذه التطبيقات ما تتأمل وتدرس فيه إلا وتجد الدرجات الثلاث موجودة فيه.

وينخدع الناس بأنهم لا يرون إلا درجةً واحدة، لكنك عندما تدرس الموضوع وتتعمق فيه سترى الدرجة الثانية وسترى الدرجة الثالثة.

تواري أصحاب الإِلحَاد الرُّوحيّ وراء المصطلحات:

فإشكالية هذه الاتجاهات: أنها الآن تستخدم مصطلحاتٍ ملفقة.

مثل:

- الإِلحَاد الرُّوحيّ.
- وفلسفة الطَّاقة الكونية.
- والفكر الباطني الحديث.
- والصوفية المُعَاصِرة.

وكانوا في القديم أصحاب التصوف يستخدمون مصطلحات شرعية.

مثل:

- الله.
- الإنسان.
- الملائكة.
- اليوم الآخر.

ويريدون من ورائها مصطلحاتٍ ومعانٍ بَاطنيَّة.

وهؤلاء مثلهم اليوم حيث إنهم الآن أصبحوا يستخدمون:

- العلم الحديث فيقولون: طاقة سلبية وطاقة إيجابية.

- ويستخدمون مصطلحات غريبة، فأنت عندما تسمعها تظن أن الإشكالية أنك لا تعرف معناها.

مثل:

- الريكي.
- الماكرو بيوتيك.
- الفونج شوي.

ويستخدمون مصطلحات غير معروفة وقد يظن الإنسان أنها مصطلحات علمية يستخدمونها كطبٍّ بديل وهكذا فلا بد أن ننتبه لهذا الأمر.

أبرز التطبيقات للإِلحَاد الرُّوحيّ:

ونذكر أبرز التطبيقات لتنتبه لها، فهناك تطبيقات تبدأ بزعمِ أنها مهتمة بمسألة الصحة والشفاء:

التطبيق الأول: الريكي:

ومعناها: الطَّاقة، لكن يقصد بها: طاقة الحياة المستمدة من الروح الكونية.

والريكي تتدرج على ما يأتي:

- تبدأ على أنها وسيلة للشفاء والعلاج.
- ثم بعد ذلك تُكسِبُ القدرات الخارقة في شفاء الآخرين.
- ثم بعد ذلك تُمَدُّ بالحياة الخالدة.

التطبيق الثاني: الأيروفيدا:

ويقصد به:

- علمُ إطالة العمر.
- أو فن الحياة.
- أو علم الحياة.
- أو الحياة الكبيرة.

التطبيق الثالث: الماكرو بيوتيك:

وله نفس المعنى السابق، فهو يقصد به الحياة الكبيرة، لكنه يقدَّم على أنه طعام.

فهذه التطبيقات التي ذكرناها تظهر فيها هذه الدرجات الثلاث:

١. درجة إنسان.

٢. درجة نصف إله.

٣. درجة الإله.

أو بتعبير آخر:

١. إرادة، وصفات ذات، وصحة وعلاج وسعادة.

٢. خوارق ثم نشوة وموكشا.

٣. ثم نرفانا وبراهما.

التطبيقات المتعلقة بالقدرات البشرية الخارقة:

وهي تطبيقاتٌ كثيرة منها:

- **أولا: البراسيكولوجي، أي: التخاطر:**

ويراد به: التواصل مع الآخرين.

كيف تتواصل مع الآخرين دون الوسائل المعتادة؟

فتنتقل المعلومات بين الكائنات الحية دون الاستعانة بأي حاسة من الحواس الخمس.

مثال:

- **التمكن من قراءة خواطر الآخرين** وما يجول في نفوسهم.
- **مسألة الاستبصار**؛ أي: معرفة الأمور الغيبية -الغيب النسبي- فيراها أمامه.

والمقصود: نمو قدراته في السمع والبصر والعلم؛ فَيَصِل للمعرفة بغير الطرق المعتادة فيصبح:

- يرى ما لا يراه غيره.
- ويسمع ما لا يسمعه غيره.

وهذا ما ذكرناه في التصوف في درجة الكشف.

- **ثانيًا: الإسقاط النجمي:**

ويقصد به: الخروج الإرادي من الجسد والذهاب إلى أماكن أخرى والالتقاء بأرواح أخرى، سواء كانت ميتة أو حية، والجوالان في عوالم أخرى.

فهذه التطبيقات ونحوها مبنيةٌ على:

١. أن الإنسان متى استطاع أن يتَّحد مع الطَّاقة المبثوثة في الكون بممارسة الرياضات الرُّوحيّة= **فإنه سيصل إلى قدراتٍ إلهية.**

٢. وتتحول صفاته من البشرية إلى الإلهية في معارفه وفي قدراته.

٣. ثم مع التدريب يستطيع أن يكون بعد ذلك هو الإله ويتحكم في هذا الكون.

وهناك تطبيقاتٌ متعلقة بجلب المنافع ودفع المضار وهي تطبيقات كثيرة، ومن أبرزها:

- **علم طاقة المكان أو هندسة المكان**؛ لتحسين مسارات الطَّاقة الكونية في البيت أو في ذلك المكان؛ لتحصيل السعادة والثراء.
- **أسوِرَة وقلائِدَ الطَّاقة** وهي: تمائم يعتقدون أن فيها ذبذبات من شأنها أن تحسِّن الصحة وتمدَّ الجسم بالحيويَّة والنَّشاط.

وهناك قوانين عندهم يسمونها، ومنها:

- **قانون الجذب والتركيز والامتنان:**

ويقصد به: أن الإنسان يستطيع أن يتحكَّم في أفكاره وفي مشاعره؛ لأنك عندما تفكِّر في شيء= فإن هذه الأفكار ستُرسِل ذَبذَبَات.

مثال: إذا كنت تُفكِّر في أشياء شريرة؛ فإن هذه الأشياء سترسل ذبذبات للكون شريرة تجذب ما يُشابِهُها= **فيحصل لك الشر.**

فيجب أن تتعلَّم كيفية التَّحكُّم في ذاتك؛ بحيث ما تُخرِج إلا طاقة إيجابيَّة، وما تخرج إلا نيَّات خيِّرة.

وهذه النوايا الخيِّرة -على حسب المدارس التي عندهم- إما:

- أن تذهب مباشرة للكون.
- أو تذهب إلى العقل الباطن.

ثم هذا العقل الباطن يرسل هذه الطلبات إلى الكون بوجود تلك الذبذبات؛ فيسحب الشبيه وهكذا.

فهذا شيءٌ غريب.

ومن القوانين عندهم:

- قانون الجذب.
- قانون الامتنان.
- قانون التركيز.
- قانون الاستحقاق.

المقارنة بين ما يقومون به وبين ما يقوم به المؤمن تجاه الإله:

ما نقوم نحن به مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

✓ بأنك تُلحُّ على الله جَلَّجَلَالُهُ وتطلُب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما تُريد.

✓ فتحدِّد ما تريد وتطلُبه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإلحاح.

✓ وتشعرُ بأنك مفتقرٌ إليه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتُظهِر فَقرَك لهذا الشيء الذي تريده من الله.

أما هم فيفعلون هذا الأمر مع هذه الطَّاقة المنبثة في هذا الكون، يفعلون تمامًا ما نفعله نحن مع الله سواء:

☒ إظهار الافتقار والاحتياج.

☒ والتركيز في الطلب؛ وبحيث لا يكون من قلب غافل عن الله.

فهم هكذا يفعلونه مع هذا الكون.

ومن أبرز التطبيقات لهذا الإِلحَاد الرُّوحيّ أيضا:

- **الأوبرا الصينية**، وكانت في الماضي كأنها بعيدة، لكن بعد ذلك أصبحت الأوبرا الصينية تعتمد على مسألة العقيدة في الشاكرات، ومسألة فتح هذه الشاكرات وهكذا.
- **العلاج بالبرانا.**
- **والعلاج بالطَّاقة.**
- **تطبيقات القدرات الخارقة.**
- **تحريك الأشياء عن بعد.**
- **المشي على الجمر.**
- **الأحجار.**
- **والبندول.**
- **والأهرامات.**
- **والتماثيل.**
- **المالكالفونكشوي ونحوها.**

أبرز المعتقدات لأصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ:

فمعتقداتهم في هذا الكون وهو خاص بمن يصلون للدرجة الثالثة:

أولًا: وحدةُ الوُجود، وأن الظاهر من الكون التعدُّد، وأن باطن هذا الكون: الوَحدَة.

ثانيًا: الشَّرَارة الإلهيَّة؛ وأن الإنسان هو إله مبطَّن، أو أن في داخل الإنسانِ شرارة إلهيَّة.

ولذا يُقرِّرُون أنه: متى استطاع الإنسان أن يُدرِّب نفسه حتى يستخرج هذه الإرادة الإلهيَّة وهذه الشَّرارة الإلهيَّة=

١. **ستصبح عنده إرادةٌ إلهيَّة.**

٢. ثم بعد ذلك متى تعامل معها وأحسن= **ستصبح عنده صفاتٌ إلهيَّة.**

٣. وإذا تعامل معها وأحسن= **ستصبح عنده ذاتٌ إلهيَّة.**

ثالثًا: عقيدة الاتِّحاد والاستِنَارة والإشراق؛ وهذا عن طريق الممارسة، فتستطيع أن تصل في مراحل الاتِّحاد مع هذا الكون؛ **فإذا اتَّحدتَ معه= تصبحُ إنسانًا مستنيرًا بمعنى: أنك تعرف وعندك الخوارق المعرفيَّة.**

رابعًا: يرون أن الأديان ظاهرها التعدُّد، وباطنها الوَحدَة؛ فالدين واحد وإن كان ظاهرها التعدُّد.

خامسًا: الحقائق ظاهرها أنها مُتميِّزة وأن هذا مختلف عن هذا، وفي الواقع هي واحدة.

سادسًا: يرون أن هذه الحقائق نسبيَّة، وأن الحق لا يوجد، فليس ثَمَّةَ حقيقةٌ مطلقة.

جذور الفكر الباطني:

وهذا موضوعٌ نمرُّ عليه مرورًا سريعًا وإلا فإن هذا يحتاجُ إلى شرح.

أولًا: في الديانات الشرقية:

- الهندوسية.
- البوذية.
- الطاوية.
- الشامانية، وتعليم السحر.

فأصبح الآن بعض النُّصيرين يذهبون إلى تلك الأماكن ويأخذون ماستر في الشامانية!

فهذه أيضا مشكلة.

ثانيًا: فِكر الصُّوفِيَا؛ وهو الفكر الجديد المُعَاصِر الآن.

ثالثًا: التيَّارات البَاطنيَّة في الغرب.

رابعًا: الدِّيانَات الوثنيَّة المُحدَثَة.

خامسًا: التَّصوُّف الفَلسفيُّ الغاليّ.

فهؤلاء كلُّهم جذورٌ لهذا الإِلحَاد الرُّوحيّ.

جمعيَّات وحَركَات الإلحَاد الرُّوحيّ:

هذا الإلحَاد الرُّوحيّ مرَّ بجمعيات وحركات منها:

- جمعيةُ الثِّيُوصُوفِيَا.
- حركةُ الفِكرِ الجَدِيد.
- حركةُ القُدُرَات البَشريَّة الكامنة.

ثم كل هذه الجمعيات الآن اتَّحَدَت تحت مسمَّى: حركةُ العَصرِ الجَدِيد، وهي آخر مظاهر الفكرِ الباطنيِّ الحديث؛ فالمعتقدات الموجودة عند:

- الثِّيُوصُوفِيَا.
- وعند الفِكرِ الجَدِيد.
- وعند حركة القُدُرَات البَشريَّة.

كلها استوعبتها: حركةُ العَصرِ الجَدِيد.

لكن الجديد فيها أنها: أضافت إليها صياغة علمية على التَّطبيقَات التَّدريبيَّة والاستِشفائيَّة؛ حتى يظن الانسان أن لها علاقة بالفيزياء وبالكيمياء وبالأحياء وهكذا.

أبرز رموز الفكر الباطني -الإِلحَاد الرُّوحي- في العالم الغربي:

يمكن أن نعدِّد هنا أهم رموز الإِلحَاد الرُّوحي المُعَاصِر، فمن أبرزهم:

١. **أوشو؛** وقد تُوفي وهلك، وهو: مُتصوِّفٌ هنديّ باطنيّ، ومن أبرز معتقداته:

- اعتقاد وحدة الوجود.
- يقول: الاستنارة أن تُدرِك بأنك أنت الإله.
- يشجبُ الأديان المنظمة جميعُها.

وهو بهذا جمع بين فساد المعتقد وفساد الأخلاق!

٢. **كار تولي؛** وهذا ألماني باطني مقيم في كندا، كان يرى نفسه إلهًا! وله كتب منها:

- كتاب: **(قوة الآن)**.
- كتاب: **(العرضة الجديدة)**.

٣. **ديباكت شوبرا،** وهو أمريكي هندي الأصل، طبيب يمزج بين الفلسفات الشرقية الإِلحَاديَّة وبين العلوم العَصريَّة.

٤. **واين داير.**

٥. **ديفيد هوكنز.**

٦. **اليزابيث براون.**

فهؤلاء من رموز هذا الفكر الباطني.

الخلاصة:

هذا الإِلحَاد الرُّوحيّ ماذا صنع؟

عَمِلَ حركةً بخلاف الإِلحَاد المادي، فالإِلحَاد المادي يقول: لا يوجد إله وانتهى الموضوع.

أما هؤلاء فقالوا: لا يوجد إله مفارق.

ثم جاؤوا بتطبيقات يظهر منها أنها فيها تنميةٌ للقدرات البشرية، وتنمية لهذا الانسان **فانجذب كثيرٌ من الناس لمثل هذه التطبيقات،** طالبين من ذلك الصحة والشفاء وتنمية القدرات البشرية.

ويصبح عند الإنسان قدرات عالية.

ولا يدري أن هذا الأمر كله قائم على:

- الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- والشرك بالله جَلَّ جَلَالُهُ -عياذًا بالله-.
- وخروجٍ عن ملة الإسلام.

وقد يوافقهم الإنسان في مثل هذه التدريبات ظاهرًا، ويزعم أنه لا يعتقد معتقداتهم، لكن هذه الموافقة في الظاهر لا بد أن تصل بالإنسان للموافقة في الباطن.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العافية.

فهرس الموضوعات

مَادَّةُ تَوحِيد الربُوبيَّة وأَقْسَامُها..... ٩

أهداف المادة: ٩

أهميَّةُ مادَّة تَوحِيد الربُوبيَّة: ١٠

ثمرات تَوحِيد الربُوبيَّة: ١١

مسألة: هل التَّمسُّك بالإِسلَام له حلاوة أم هو تعبٌ ومَشَقَّةٌ؟ ١٢

أثر تَوحِيد الربُوبيَّة على الفرد والمجتمع:..... ١٥

مُقَدّمة أَدِلَّة وُجودِ الله: ١٧

أولًا: تعريف الدين: ١٧

الدين في اللغة:..... ١٧

الدين في الاصطلاح: ١٧

ثانيًا: تعريف الدين الإسلامي:..... ١٨

الدين الإسلامي العام: وهو على طرفين: ١٨

الدين الإسلامي الخاص: ١٩

أقسام الدين الإسلامي:..... ١٩

مراتب الدين الإسلامي:..... ٢١

إطلاق اسم الإسلام والإيمان على الدين الإسلامي: ٢٢

أركان الإيمان: ٢٣
علاقة العبادات الظاهرة بالإيمان: ٢٤
أصلَيْ الإيمان بالله: ٢٥
أسباب عدم وُرود أدلة وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتب السلف: ٢٦

الوِحدَةُ الأُولَى: أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (١) ٢٨

موضوعات هذه المحاضرة: ٢٨
أولًا: دليل الفطرة: ٢٩
تعريف الفطرة ٢٩
مُقتَضَى الفطرة: ٣٠
المعارف الفطرية: ٣٠
أصول الدِّين من المعارف الفطريَّة: ٣٢
الأول: فطرية قانون السببية ودلالته على وجود الله: ٣٢
أسماء المعارف الفطرية: ٣٣
أصل العقل موجودٌ في الإنسان وينمو تدريجيًّا: ٣٣
الخلاصة: العقلُ له أربعة معانٍ: ٣٤
القوة العلميَّة والقوة الإرادية فطرة موجودة قبل الحِسّ: ٣٥
الثاني: ظهور فطرية الالتجاء إلى الله في الشدائد: ٣٦
الثالث: ظهور فطرية البحث عن الخالق عند رؤية الصنع المتقن: ٣٦
أدلة الكتاب والسنة على فطرية معرفة الله: ٣٨

أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٢) ٤٣

توضيح المراد بفطرية معرفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وتَوحِيده: ٤٣

القوة العلميَّة الفطرية: ٤٤

القوة الإرادية الفطرية: ٤٤

كيف نستدل بدليل الفطرة؟ ٤٤

ثانيًا: دليل الخَلقِ والإيجَادِ: ٤٦

كيف نستدل بهذا الدليل على وجود الله؟ ٤٦

معرفة كيفية الصنع ودقته تُقوي اليقين بصانعه ولا تدل على إنكار وجوده: ٥٢

سؤال: من خَلَق الله وتسلسل الفاعلين؟ ٥٤

دلالة الوحي على دليل الخَلقِ والإيجَادِ: ٥٥

خلاصة هذا الدليل: ٥٦

أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٣) ٥٧

ثالثًا: دليل الإحكَام والإتقَان: ٥٧

مُقَدّمَتَي دليلِ الإحكَام والإتقَان: ٥٩

المقدمة الأولى: يوجدُ إحكَامٌ وإتقَانٌ في أيِّ مخلوقٍ من مخلُوقاتِ الله. ٥٩

المقدمة الثانية: الإحكَام والإتقَان المُدرَك حِسًّا لا يمكن أن يكون من غير سبب، أو يوجد من ذاته ٥٩

دلالة الوحي على دليل الإحكَام والإتقَان: ٥٩

رابعًا: دليل التَّخصِيص: ٦٢

مقدِّمَتي دليل التَّخصِيص: ٦٢
المقدمة الأولى: أنه يوجد في المخلوق خواصٌّ مميزةٌ له عن غيره: ٦٢
المقدمة الثانية: هذا التَّخصِيص المُدرَك حِسًّا لا يمكن أن يكون من غير سبب ولا يمكن أن يوجد له لذاته: ٦٢
دلالة الوحي على دليل التَّخصِيص: ٦٣
خامسًا: دليل التَّقدِير: ٦٦
وَجهَيْ دليل التَّقدِير: ٦٦
مُقدّمتَي دليل التَّقدِير: ٦٦
المقدمة الأولى: ٦٦
المقدمة الثانية: ٦٧

أَدِلَّةُ وُجُودِ الله (٤) ٦٩

خلاصة الأدلة السابقة: ٦٩
الإِلحَاد ليس قائمًا على وجود أدلة تنكر وجود الله بل لعوامل خارجية: ٦٩
عوامل إنكار وجود الله تعالى: ٦٩
القوَّتَان العلميَّة الإرادية الفطريتان تقرران وجود الله: ٧١
سادسًا: دليل دلائل النبوة: ٧٦
أمثلة لبعض دلائل النبوة الدالة على وجود الله: ٧٦
المثال الأول: دلائل النبوة في قصة أبي هريرة رضي الله عنه: ٧٦
المثال الثاني: دلائل النبوة في آية الأعراف: ٨٠
المثال الثالث: دلائل النبوة في قصة أنس رضي الله عنه: ٨٢

سابعًا: دليل مكارم الأخلاق: ٨٣

الوِحدَةُ الثَّانِيَة: تَوحِيد الرُبُوبِيَّة..... ٨٥

موضوعات هذه الوِحدة: ٨٥

تعريف تَوحِيد الرُبُوبِيَّة: ٨٦

أولًا: تعريف التَّوحِيد:..... ٨٦

التَّوحِيد في اللغة: ٨٦

التَّوحِيد في الاصطلاح: ٨٦

حقيقة التَّوحِيد:..... ٨٦

المقصود بقول القلب وعمله:..... ٨٧

المقصود بقول اللسان: ٨٨

المقصود بعمل الجوارح:..... ٨٨

أقسام التَّوحِيد: ٨٩

أولا: أقسام التَّوحِيد من جهة ما يقوم به العبد: ٨٩

القسم الأول: التَّوحِيد العلميّ (أو القولي أو الخبري): ٨٩

القسم الثاني: التَّوحِيد العملي الإرادي: ٩٠

ثانيًا: أقسام التَّوحِيد من جهة ما يستحقه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ٩١

القسم الأول: تَوحِيد الرُبُوبِيَّة: ٩٢

القسم الثاني: تَوحِيد الألوهيَّة: ٩٢

القسم الثالث: تَوحِيد الأسماء والصفات: ٩٣

أدلة أقسام التَّوحِيد:..... ٩٣

الواجب علينا في تَوحِيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ٩٦
الواجب علينا في الخبر: ٩٨
الواجب علينا في الطلب: ٩٨
الخلاصة: ٩٨
ستة قواعد في خبر الله: ٩٨
قواعد في الطلب: ١٠١

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٢) ١٠٦

مراجعة للدرس السابق: **١٠٦**
موضوعات هذه المحاضرة: **١٠٩**
الموضوع الأول: تعريف تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١١٠
أولًا: تعريف الرَّب والرُّبُوبِيَّة: ١١٠
ثانيًا: الأصول التي يقوم عليها تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١١٢
ثالثًا: أنواعُ ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخَلقِه: ١١٣
الموضوع الثاني: أدلة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١١٤
الأدلة العامة لتَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١١٤
الموضوع الثالث: مكانة تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة في دين الإسلام. ١١٧
هل يصح الإنكار على من يتحدث عن تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة؟ ١١٧
فطريَّةُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١١٩
غالب مشركي الأمم مقرون بأصل الرُّبُوبِيَّة: ١١٩
الموضوع الرابع: معنى لا إله إلا الله: ١٢١

هل الخلاف في معنى كلمة التَّوحِيد له ثمرة؟ أم هو خلافٌ لفظيٌّ لا ثمرة له؟ ١٢٢
نقد أدلة القائلين بأن معناها: لا خالق إلا الله ١٢٤

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٣) ١٣٠

موضوعات الدرس السابق: ١٣٠
موضوعات هذه المحاضرة: ١٣١
الموضوع الأول: أهم خصائص الرُّبُوبِيَّة: ١٣٢
أولا: الغنى التام: ١٣٢
أَثَرُ سورَة الإِخلَاص في الإِيمَان بالرُّبُوبِيَّة: ١٣٢
ثانيًا: الخَلْق: ١٣٥
خلق الله لأفعال العباد: ١٣٦
ثالثًا: الملك: ١٣٨
رابعًا: التدبير: ١٣٩
خامسًا: الاستقلال بالفعل: ١٣٩
سادسًا: العطاء والمنع: ١٤٠
سابعًا: الخفضُ والرفعُ: ١٤٠
ثامنًا: العزُّ والذُّلُّ: ١٤١
الموضوع الثاني: مقتضيات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٤٢
المقتضى الأول: ١٤٢
أسماء الله وصفاته حال الإطلاق وحال التقييد: ١٤٣
المقتضى الثاني: ١٤٤

المقتضى الثالث: ١٤٥
المقتضى الرابع: ١٤٦
الموضوع الثالث: نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٤٧
الناقض الأول: ١٤٧
الناقض الثاني: ١٤٨
الناقض الثالث: ١٤٩
الناقض الرابع: ١٥٠
خلاصة هذه المحاضرة: ١٥١

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٤) ١٥٣

موضوعات المحاضرة السابقة: ١٥٣
الموضوع الأول: خصائِصُ الرَّب جَلَّ جَلَالُهُ: ١٥٣
الموضوع الثاني: مقتضياتُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٥٥
الموضوع الثالث: نواقض تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٥٨
موضوعُ هذه المحاضرة: ١٦٠
نواقِضُ تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٦٠
أولًا: إضافةُ النِّعم إلى غَيرِ الله تعالى: ١٦٠
أنواع شكر نعمة الله: ١٦١
أقسام الناس في إضافة النعم: ١٦٢
ثانيًا: شركُ الألفاظ: ١٦٢
المراد بشركِ الألفاظ: ١٦٢

المثال الأول لشركِ الألفاظ: ١٦٣
حكم شركِ الألفاظ: ١٦٣
المثال الثاني لشرك الألفاظ: ١٦٤
ثالثًا: الحلف بغير الله: ١٦٥
حكم الحلف بغير الله: ١٦٧
رابعًا: الإقسام على الله تعالى: ١٦٩
خامسًا: الاستشفاع بالله على خلقه: ١٧٠
سادسًا: سبُّ الدهر: ١٧١
حكم سَبِّ الدَّهر: ١٧١
سابعًا: سبُّ الريح: ١٧٢
ثامنًا: الاعتراض على القضاء والقدر: ١٧٣

تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة (٥) ١٧٦

موضُوع المحاضرة السابقة: **١٧٦**
موضوعُ هذه المحاضرة: **١٧٧**
ثمرات تَوحِيد الرُّبُوبِيَّة: ١٧٧
أولا: قوة التمسك بدين الإسلام، ويجد فيه حلاوة وسعادة. ١٧٧
ثانيًا: استشعار عقيدة القرب الإلهي من المخلوقات: ١٨٢
الأول: القرب العلميّ: ١٨٢
الثاني: القرب العملي: ١٨٣
قول: أعطني إن شئت: ١٨٧

ثالثًا: شجاعة وقوة في القلب: ١٨٩
رابعًا: زيادة الاعتزاز بالإسلام والشرع: ١٩١
خامسًا: زيادة التعلق بالله: ١٩٢

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإلحَاد (١) ١٩٣

موضوع المحاضرة السابقة: ١٩٣
الوحدة الثالثة: قضية الإلحَاد: ١٩٥
موضوعات هذه المحاضرة: ١٩٦
الموضوع الأول: تعريف الإلحَاد: ١٩٧
أولًا: الإلحَاد في اللغة: ١٩٧
ثانيًا: الإلحَاد اصطلاحًا: ١٩٧
ثانيًا: تعريف الإلحَاد في العصر الحاضر: ١٩٧
الموضوع الثاني: أنواع الإلحَاد: ١٩٩
النوع الأول: الإلحَادُ في آياتِ الله الكَونيَّة: ١٩٩
النوع الثاني: الإلحَادُ في آيات الله الشَّرعيَّة: ٢٠٠
الإلحَاد الرُّوحي أو الرُّوحَاني: ٢٠٠
الموضوع الثالث: أقسامُ المَلَاحِدة في العصر الحاضر: ٢٠٢
القسم الأول: الإلحَاد السَّلبي: ٢٠٢
القسم الثَّاني: الإلحَاد الإيجابيّ: ٢٠٢
الخلاصة في هذا الموضوع: ٢٠٣
الموضوع الرابع: أسباب ظهور الإلحَاد في أوروبا: ٢٠٥

عامة الإلحاد المُعَاصِر يرجع إلى عوامل نفسية، وردود فعل بسبب الدين المحرَّف كالنصرانيَّة: ٢٠٥

الموقف الصحيح في التعامل مع الملحد لعوامل نفسية: ٢٠٦

عامة الإلحاد المُعَاصِر ردة فعل للنصرانية المحرفة (تشويه التصور الإلهي – طغيان التشريع الكنسي): ٢٠٦

الأمر الأول: تشويه التصور الإلهي: ٢٠٦

الأمر الثاني: طغيان التشريع الكنسي: ٢٠٧

حوار واقعي مع ملحد بسبب عوامل نفسية: ٢٠٧

تناقضات الديانة النصرانيَّة وأثرها في ظهور الإلحاد المُعَاصِر: ٢٠٩

أولا: تشويه التصور الإلهي في النصرانيَّة: ٢٠٩

ثانيًا: طغيان وخرافية التشريع الكنسي: ٢١١

ثالثًا: الطغيان والفساد الكنسي: ٢١٣

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإلحَاد (٢) ٢١٧

موضوعات المحاضرة السابقة: ٢١٧

موضوعات هذه المحاضرة: ٢١٩

الموضوع الأول: مراحلُ نشأةِ الإلحَاد في أوروبا: ٢٢٠

المرحلة الأولى: طغيان الكَنِيسَة العلميَّة: ٢٢٠

ظهور النظريات العلميَّة المصادمة للكَنِيسَة: ٢٢٢

المرحلة الثانية: قوةُ أصحابِ الكُشُوفَات العلميَّة: ٢٢٣

المرحلة الثالثة: صعودُ نَجم أصحابِ الكُشُوفَات العلميَّة: ٢٢٥

المرحلة الرابعة: مرحلة الرُّبُوبِيِّين: ٢٢٨
أثر نَظَرِيَّة نيوتن: ٢٢٩
المرحلة الخامسة: تأليه الإنسان: ٢٢٩
الأول: المذهب العقلي: ٢٣٠
الثاني: المذهب الطبيعي: ٢٣١
المرحلة السادسة: دين الإِنسَانيَّة: ٢٣٢
والعبادة في الديانة الإِنسَانيَّة نوعان: ٢٣٢
النوع الثاني: عبادة جماعية: ٢٣٣
طبقات المجتمع في الديانة الإِنسَانيَّة: ٢٣٣
المرحلة السابعة: الدعوة للإِلحَاد المُعَاصِر: ٢٣٥
الموضوع الثاني: أسباب اجتهاد المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي ووسائلهم في ذلك: ٢٣٧
أولًا: أسبابُ اجتهادِ المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي: ٢٣٧
ثانيًا: وسائلُ المَلَاحِدة في نشر الإِلحَاد في العالم الإسلامي: ٢٣٩
أولًا: الكتب الإِلحَادية والرِّوَايَات: ٢٣٩
ثانيا: القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت والإعلام الجديد: ٢٣٩
ثالثًا: اللقاءات المباشرة: ٢٤٠
الموضوع الثالث: أسباب تسلُّل الإِلحَاد للعالم الإسلامي: ٢٤١

الوِحدَةُ الثَّالِثَة: قضيّة الإِلحَاد (٣) ٢٤٣

موضوعات المحاضرة السابقة: ٢٤٣

موضوع هذه المحاضرة: ٢٤٦

الموضوع الأول: مُرتَكَزَاتُ الإلحَاد المُعَاصِر: ٢٤٧

الحالة الأولى: أن تكون هذه الكُشُوفَات العلميَّة صحيحة: ٢٤٧

الحالة الثانية: أن تكون الكُشُوفَات العلميَّة غير صحيحة: ٢٤٧

أبرز النظريات التي يزعمون بها إثبات عدم وجود إله: ٢٤٨

النَظَرِيَّة الأولى: نَظَرِيَّة التطور لداروين: ٢٤٨

نَظَرِيَّة التطور لداروين تقوم على أصلين: ٢٤٨

إشكالية (حيوان الأميبيا) وحيد الخليَّة: ٢٤٨

والرد على هذه النَظَرِيَّة: ٢٥٠

أثر نَظَرِيَّة داروين على التيار الإلحادي: ٢٥١

أمثلة على استفادة الملحدين من نَظَرِيَّة التطور: ٢٥٢

النَظَرِيَّة الثانية: نَظَرِيَّة الانفجَار العَظِيم: ٢٥٤

النَظَرِيَّة الثالثة: المَذهبُ الحِسِّي في المَعرِفَة: ٢٥٦

النَظَرِيَّة الرَّابِعَة: المَذهبُ العَقلِيِّ في المَعرِفَة: ٢٥٦

النَظَرِيَّة الرَّابِعَة: نسبيَّة الحقائق: ٢٥٦

الموضوع الثاني: آثار الإلحَاد على الفرد والمجتمع: ٢٥٨

ضوابط الاستفادة من العلم الحديث في الرد على الملاحدة: ٢٦١

ما موقف المسلم من قضية الإلحَاد؟ ٢٦٣

ما الواجب علينا تجاه قضية الإلحَاد؟ ٢٦٤

كيف نتعامل مع من فُتِنَ بالإلحَاد؟ ٢٦٤

موضوعات المحاضرة السابقة: ٢٦٦

موضوع هذه المحاضرة: ٢٦٧

الإلحَاد الرُّوحيّ: ٢٦٧

الفرق بين الإلحَاد الرُّوحيّ والإلحَاد المادي:..... ٢٦٧

لماذا سمِّي الإلحَاد الرُّوحيّ بهذا الاسم:..... ٢٦٨

أسماء الإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٦٨

لماذا سُمِّي أصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ ملاحدة وهم يؤمنون بما وراء الطبيعة؟ ٢٦٩

لماذا استطاع أن يَصِلَ سريعًا أسرع من الإلحَاد المادي؟..... ٢٧٠

فيم يختلف الإلحَاد الرُّوحيّ عن الإلحَاد المادي:..... ٢٧١

حقيقة الإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٧٢

الباطنُ في الإلحَاد الرُّوحيّ (الطاقة):..... ٢٧٣

الطَّاقة الكونية في الإلحَاد الرُّوحيّ: ٢٧٣

درجات الإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٧٤

الدرجة الأولى: درجة الظواهر والتدريبات: ٢٧٥

سبب إقبال الناس على الإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٧٧

الدرجة الثانية: درجةُ الخوارق والقدرات:..... ٢٧٨

التشابه بين درجات التصوف الباطني والإلحاد الروحي:..... ٢٧٩

الإلحاد الروحي والتعامل مع الجن: ٢٧٩

المرحلة الثالثة: الفناء والنرفانا:..... ٢٨١

من يمارس اليوغا والفونج شوي ونحوها ويقول: لا علاقة لها بالعقيدة:..... ٢٨٢
تواري أصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ وراء المصطلحات:..... ٢٨٣
أبرز التطبيقات للإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٨٥
التطبيق الأول: الريكي:..... ٢٨٥
التطبيق الثاني: الأيروفيدا:..... ٢٨٥
التطبيق الثالث: الماكرو بيوتيك:..... ٢٨٥
التطبيقات المتعلقة بالقدرات البشرية الخارقة:..... ٢٨٦
المقارنة بين ما يقومون به وبين ما يقوم به المؤمن تجاه الإله: ٢٨٨
ومن أبرز التطبيقات لهذا الإلحَاد الرُّوحيّ أيضا: ٢٨٩
أبرز المعتقدات لأصحاب الإلحَاد الرُّوحيّ:..... ٢٩٠
جذور الفكر الباطني:..... ٢٩١
جمعيَّات وحَركَات الإلحَاد الرُّوحيّ: ٢٩٢
أبرز رموز الفكر الباطني -الإلحَاد الرُّوحي- في العالم الغربي: ٢٩٣
الخلاصة:..... ٢٩٤